شاعر الكرنك

أحمد فتحي

حياته وشعره وقصائده المجهولة

جمع وتحقيق ودراسة

محمد رضوان



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب: شاعر الكرنك أحمد فتحي
حياته وشعره
اسم المؤلف: محمد رضوان
رقم الإيداع : 17883

الطبعة الأولى ٢٠١٢



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

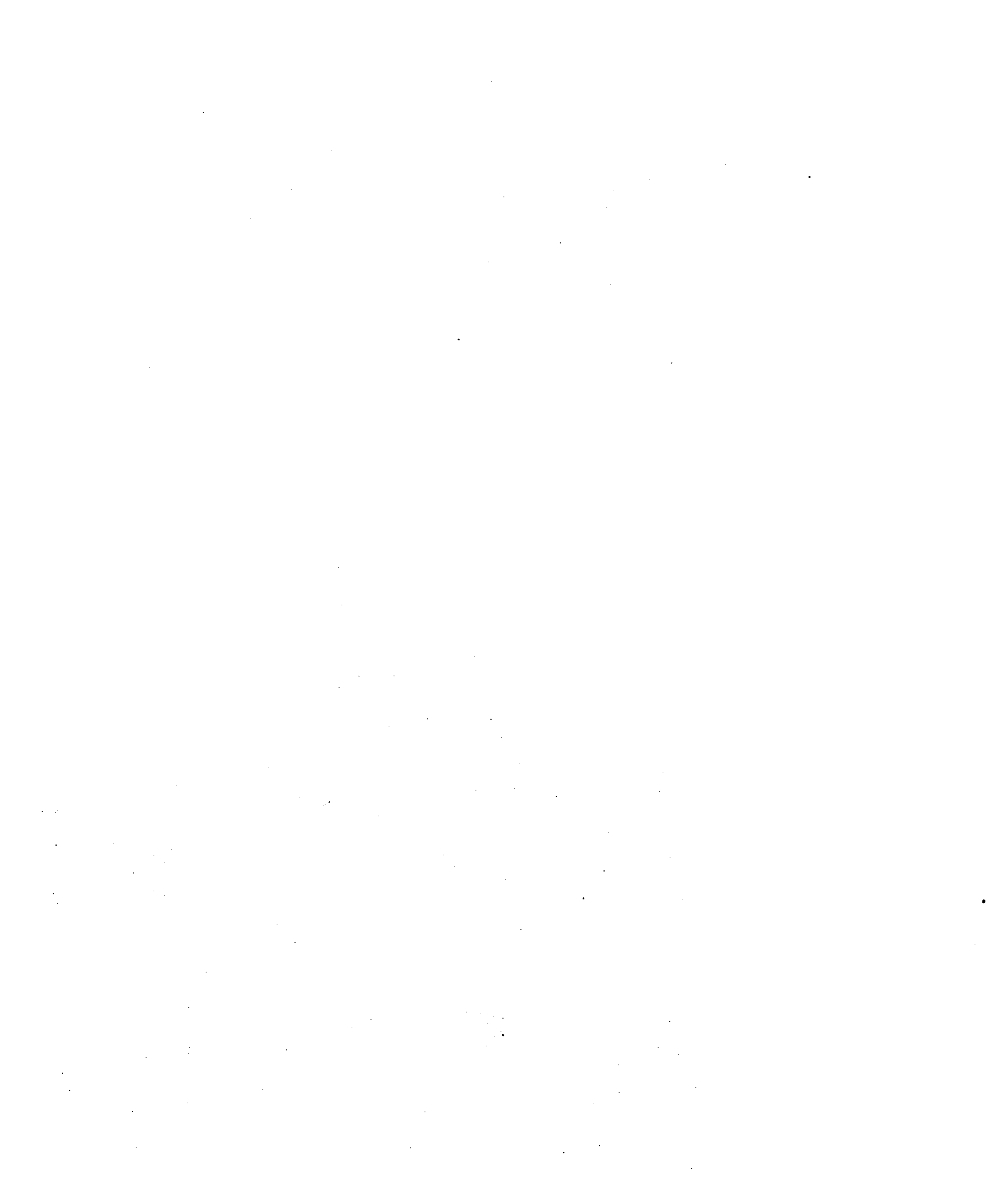
أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي

أنت الذي بدأ الملالة والصدود وخان حبي

فإذا دعوت اليوم قلبي للتصافي فلن يلبي



أحمد فتحي



شاعر الكرنك.. وقصة الأمس!

تقديم الشاعر الكبير: فاروق شوشة

هذا كتاب جديد عن «شاعر الكرنك» حياته وشعره وقصائده المجهولة للباحث والأديب والكاتب الصحفي محمد رضوان، الذي وقف قلمه على إنصاف كثير من الأدباء والشعراء، ونشر المجهول من أعمالهم الإبداعية وإعادتهم إلى قلب الذاكرة الأدبية ، من هنا كان اهتمامه بالكتابة عن «صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك» ، و«الصعلوك الساخر عبد الحميد الديب» ، وشاعر النيل والنخيل «صالح جودت» ، وشاعر الأطلال «ناجي» ، وشاعر الجندول «علي محمود طه» ، وشاعر الهمسات «أحمد عبد المجيد».

وقد حلل محمد رضوان قصيدة «قصة الأمس» في هذا الكتاب، باعتبارها أشهر قصائد أحمد فتحي المغناة ، فقد تغنى محمد عبد الوهاب بقصيدته «الكرنك» ، وتغنى رياض السنباطي بقصيدته «فجر» ، وشدت أم كلثوم بقصيدته «قصة الأمس» ، فأحدث نقلة نوعية في اهتمام المستمعين، وقراء الشعر وجمهور الحياة الأدبية بهذا الشاعر ، الذي مازال شعره متناثرًا عبر الصحف والمجلات الأدبية ، لم يجمع منه إلا أقل القليل، ولا تزال قصائده الثلاث المغناة هي كل ما يتردد من شعره على ألسنة الناس وأقلامهم ،.وبقيت في الظل قصائد أخرى للشاعر لا تقل عنها جمالا وقيمة فنية، بالإضافة إلى كشفها عن الآفاق التي حلق فيها هذا الشاعر الذي اتسعت حياته المضطربة والمتقلبة لكثير من الأحداث والمواقف والمحن العاطفية والاجتماعية، وهو يمارس العمل الصحفي، ويخوض مجال العمل الإذاعي في القاهرة ولندن وجدة ، ويتعرض شعره للإهمال ، حتى يقوم بجمع بعضه أصدقاؤه ورفاق حياته.

ويجمع الباحثون في شعر أحمد فتحي على أن قصيدته «قصة الأمس» هي قصة حياته العاطفية ، والتجربة التي زلزلته من الأعماق، وصبغت حياته بعدها

بطابع مأساوي حزين ؛ لذا فقد اهتم محمد رضوان بتحليل هذه القصيدة، والكشف عما تمثله من ذروة في التعبير والتصوير عن ملامح وعلامات في سيرة الشاعر أحمد فتحي ، وكان الباحث يقوم بتقديم صورة حية لهذا الشاعر المجهول، الذي أدى به انطواؤه وتكوينه النفسي إلى العزلة الحياتية أولًا ، والعزلة الأدبية ثانيًا ، فالتمعت أسماء ناجي ، وعلي محمود طه ، وصالح جودت ، وأحمد رامي ، ومحمود حسن إسماعيل ، ورفاقه في الاتجاه الشعري ، وفي الأفق الذي ظللته عباءة أبوللو ، وبينما كانت دواوين هؤلاء الشعراء تنهمر وتصنع لهم مكانهم ومكانتهم في ديوان الشعر الحديث ، اكتفى أحمد فتحي بنشر مجموعة أولى من قصائده بعنوان : «قال الشاعر عام ١٩٤٩» ، وهو ديوان لا وجود له الآن في أي مكان.

من هنا كان اهتمام محمد رضوان – في كتابه – بتضمينه مجموعة سماها «أحلى قصائد فتحي» ، علها تلقى المزيد من الضوء على شاعرية هذا الشاعر، الذي أصبح مجهولًا ، وتعويضًا عن ديوانه الكامل ، الذي لم ير النور بعد، وبينما قصيدة القصائد في شعر أحمد فتحي ، وهي قصة الأمس التي يقول فيها:

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي

أنت الذي بدأ الملالة والصدود وخان حبي

فإذا دعوت اليوم قلبي للتصابي لن يلبي

كنت لي أيام كان الحب لي

أمل الدنيا ودنيا أملي

حين غنيتك لحن الغزل

بين أفراح الغرام الأول

ثم يقول أحمد فتحي:

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي

وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي

يا لذكراك التي عاشت بها روحي على الوهم سنينا

ذهبت من خاطري إلا صدى يعتادني حينا فحينا

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدي

وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي

وأماني حسان رقصت في معبدي

وجراح مشعلات نارها في مرقدي

وسحابات خيال غانم كالأبد

لا يختلف شعر أحمد فتحي كثيراً أو قليلاً عن شعر نظرائه ، الذين التمعت أسماؤهم في الأربعينيات والخمسينيات ، ومثلوا حركة شعرية رومانسية جامحة، تثور على تقاليد القصيدة العمودية ، وتفسح مكاناً رحباً لشعر الوجدان، وتغمر قصائدها بأحزان الاغتراب الوجودي والقلق الروحي، وتخوض مواقف «الوطنية» و«الصراع الوطني» من خلال نفس رومانسي ، وعاطفة متقدة جامحة تعيد للرومانسية معناها الثوري التي بدأت به لدى شعرائها الغربيين، ويبقى للباحث الدؤوب محمد رضوان أنه يلفت انتباهنا بشدة – في كل كتاباته – إلى كثير ممن لم يحظوا بالاهتمام الذي يستحقونه، داعياً إلى جمع إبداعاتهم المتناثرة، وإعادة توثيقها ونشرها ، تمهيداً لدراستها والكشف عن قيمتها الأدبية ، ولا شك أن أحمد فتحي في طليعة هؤلاء المستحقين للإنصاف، وقدر من الضوء الجديد، بعد أن كتب عنه الشاعر صالح جودت كتابه «شاعر الكرنك»، وأنجز عنه محمد رضوان هذا الكتاب عن شاعر الكرنك ، حياته وشعره وقصائده المجهولة.



سيرة شاعر الكرنك وشعره

مقدمة بقلم : محمد رضوان

دخل شاعر الكرنك أحمد فتحي (١٩١٢ ـ ١٩٦٠) دائرة النسيان منذ رحيله عن الحياة في القاهرة قبل نصف قرن من الزمان ولم يعد يذكره أحد إلا من خلال عدة أغنيات شهيرة هي أنشودة الكرنك التي لحنها وتغنى بها الموسيقار محمد عبد الوهاب سنة ١٩٤١ وقصيدة «فجر» التي لحنها وتغنى بها الموسيقار رياض السنباطي سنة ١٩٤١ أيضًا وقصيدة «قصة الأمس» التي لحنها الموسيقار رياض النسباطي وتغنت بها كوكب الشرق سنة ١٩٥٨ ، أما قصيدته «حديث عينين» التي لحنها رياض السنباطي ، وتغنت بها «أسمهان» سنة ١٩٣٨ ، فلم يعد يذكرها أحد ؛ لأنها لم تعد تذاع ولا يكاد يعرفها أحد إلا المتخصصون في عالم الموسيقى والغناء والطرب .

أما تراثه الشعري فلا يكاد لا يعرف أحد عنه شيئًا ، إلا ديوانه الوحيد «قال الشاعر» الذي أصدره الشاعر في القاهرة سنة ١٩٤٩ ويرجع تعرفي على شعر أحمد فتحي إلى الفترة التي تعرفت فيها على الشاعر الكبير صالح جودت في مارس ١٩٦٨ أثناء دراستي الجامعية حين ترددت عليه بمكتبه بمجلة المصور بدار الهلال بوسط القاهرة ، وعرضت عليه دراسة مخطوطة لي عن «عبقرية زكي مبارك» ، فكتب مقدمته وفوجئت بمقال للشاعر الكبير في أحد أعداد مجلة الكواكب في مايو ١٩٩٦ تحت عنوان «مأساة شاعر سنتريس» و«مأساة شاعر الكرنك» روي فيه قصة رفض كتابي من الهيئة المصرية للكتاب عندما وجدوا أن كاتب مقدمته هو الشاعر صالح جودت الذي كانوا يناصبونه العداء يومئذ لمواقفه الفكرية الحاسمة حيث سبق ورفضوا ديوان أحمد فتحي الكامل الذي سبق وقدمه لهم بعد أن سهر على جمعه وتصنيفه لعدة سنوات من مختلف المصادر والمراجع فأخبروه أنه فقد منهم حيث لم تكن توجد إلا تلك النسخة التي قدمها

لهم الشاعر الكبير فأضاعوها نكاية في خصمهم اللدود !

ولن أدخل الآن في تفاصيل هذه المؤامرة التي راح ضحيتها ديوان أحمد فتحي ، والذي دارت العديد من الأقاويل والشائعات حول أسباب اختفاء هذا الديوان المنحوس حيث شكك البعض في ضياعه ، واتهم البعض الآخر أحدهم بسرقته إما استثماراً بنشره فيما بعد وإما لحساب أحد الشعراء العرب الميسورين الذي سبق وانتحل عشرات القصائد لأحمد فتحي وأصدرها باسمه لقاء بضعة دينارات لا تسمن ولا تغني من جوع ، وهذه حكاية أخرى لا مجال لنشر تفاصيلها في هذا الحيز .

ونعود إلى حكايتي مع شعر أحمد فتحي حيث تعرفت على المزيد من المعلومات عنه من خلال كتاب شاعرنا الكبير صالح جودت عنه والذي أصدره في ديسمبر سنة ١٩٧٣ كتاب الهلال تحت عنوان «شاعر الكرنك أحمد فتحي» حياته و«شعره» ، فبدأت أبحث عن ديوانه الوحيد وكل ما يتعلق بتراثه الشعري المجهول والاستزادة من أسرار حياته الخاصة .

وقد سبق وزودني الشاعر صالح جودت عام بهاتف الشيخ محمد إبراهيم سليمان الأخ غير الشقيق لأحمد فتحي الذي التقيت به في منزله في ١١ يونيه عام ١٩٧١ واكتشفت من خلال حواري معه بحكم تكوينه الديني ودراسته في الأزهر الشريف عدم رضاه عن سيرة أخيه وعن شعره العاطفي لكنني استطعت الحصول منه على بعض المعلومات عن نشأة أخيه الراحل ومراحل طفولته.

ومن خلال اقترابي من الشاعر الكبير صالح جودت تعرفت خلال عام ١٩٧٤ على المحامي الأديب أنور أحمد الذي كان يتردد على صديقه صالح جودت بمكتبه بالمجلة ، وبالمناسبة فقد قام بدور الزعيم مصطفى كامل في فيلم سينمائي مصري يحمل هذا الاسم .

وأدرك أنور أحمد شغفي بكل ما يتعلق بشعر أحمد فتحي ورغبتي في التعرف على المزيد من حياته خلال مراحلها المختلفة لإعداد دراسة عنه ، فوعدني بتزويدي ببعض المراسلات بينهما ، وبالفعل زرته بمنزله بجاردن سيتي بوسط

القاهرة وزودني بحوالي عشر رسائل بخط أحمد فتحي الدقيق المنمنم أرسلها له أحمد فتحي على فترات متباعدة في نهاية حقبة الثلاثينيات ومطالع الأربعينيات من القرن العشرين فيها الكثير من أسرار حياة أحمد فتحي العاطفية والإنسانية مما زودني بحصيلة ثرية من المعلومات دفعني لإصدار كتابي الأول عن أحمد فتحي تحت عنوان « اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي » الذي لم يصدر إلا في عام ١٩٨٧ عن وزارة الثقافة المصرية كشفت فيه الكثير من الجوانب المجهولة في حياته وشعره .

ثم طبعت على نفقتي الخاصة بعض المختارات الشعرية لأحمد فتحي عام ٢٠٠٧ لكنني اليوم آثرت أن أقدم الأعمال الشعرية الكاملة لشاعر الكرنك ، بعد أن حصلت على نسخة من ديوانه الأول «قال الشاعر» واستكملته بشعره المجهول المتناثر هنا وهناك في المجلات والصحف المصرية القديمة حيث غطيت فترة قصائده الأولى في مجلة أبو للو (١٩٣٣ ـ ١٩٣٤) ثم قصائده في مجلة الموظف (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) ثم قصائده التي نشرها في سنواته الأخيرة في صحيفة الأهرام خلال عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ بما في ذلك قصيدته «قصة الأمس» التي شدت بها كوكب الشرق أم كلثوم فجلبت للشاعر شهرة واسعة يومئذ عوضت تواريه عن الأضواء ، ونسيان الناس له .

وقد حرصت وأنا أقدم شعر شاعر الكرنك ، أحمد فتحي وديوانه وقصائده المجهولة أن قدم أيضًا غنائياته المجهولة التي قام بتلحينها صديقه الموسيقار رياض السنباطي (١٩٠٦ ـ ١٩٨١) الذي لحن وغنى العديد من قصائد أحمد فتحي أشهرها قصيدته «فجر» التي لحنها رياض السنباطي وغناها بصوته الشجي عام ١٩٤١ ومطلعها :

كل شيء راقص البهجة حولي هاهنا

أيها الساقي بما شئت اسقنا ، ثم اسقنا

واملأ الدنيا غناء وبهاء وسنا

كما لحن العديد من قصائده ومنها «حديث عينين» غناء أسمهان سنة ١٩٣٨ ، ومطلعها :

يـا لعينيـك ويـالي مـن تـسابيح خيـالي
فيهما ذكري من الحب ومن سهد الليالي
عـبرات الأمـل المـسحور في دنيـا الجـمال
وشحوب من ضنى اللوعة والسقم بدا لي

كما تغنى الموسيقار رياض السنباطي أيضًا بأجمل قصائد أحمد فتحي ومنها «النيل مجد الزمن» وعلى ضفاف النيل وذلك خلال الفترة بين عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤٣ بجانب قصائده الأخرى التي تغنت بها لور داكاش والمطرب السكندري جلال حرب والمطربة رجاء عبده والمطربة حياة محمد بخلاف أزجاله باللهجة العامية التي تغني بها بعض المطربين والمطربات .

والأمر الذي يدعو للأسف والدهشة معًا أن معظم هذه الأغنيات النادرة لم تعد تذاع ولا يعرف المستمع المتذوق مصيرها مما يدعو للتساؤل : هل ما زالت هذه الأغنيات مسجلة على شرائط ؟ أمر هل فقدت أو ضاعت كما ضاع الكثير من تراثنا الأدبي والفني وطوته يد النسيان .

والأمل كل الأمل أن نجد بعض هذا التراث لدى أسرة الموسيقار الكبير رياض السنباطي ، لعله قد احتفظ بها قبل أن تتعرض للضياع والنسيان قبل رحيله .

❖ ❖ ❖

حرصت في هذا الكتاب أن أقدم لمحات من حياة أحمد فتحي وشعره لشاعر لم يعد يذكره الناس إلا من خلال غنائياته الشهيرة النادرة «فجر» و «الكرنك» و«قصة الأمس» لأساطين التلحين والغناء والطرب في مصر والعالم العربي : رياض السنباطي ، ومحمد عبد الوهاب ، وأم كلثوم » أما القصيدة التي تغنت بها أسمهان «يا لعينيك ويالي» فلم نعد نسمعها على الإطلاق كما أن شعر أحمد فتحي لم يعد متاحًا للنقاد والدارسين فأغفل اسمه وشعره في الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت معظم إبداعات أعلام الشعر العربي المعاصر ، فأصبح نسيًا منسيًا رغم شعره الوجداني الرصين ، ورغم شعره الغنائي الذي يمثل

علامة مهمة في مسيرة الغناء العربي المعاصر في القرن العشرين .

◆◆◆

واليوم ، ونحن نقدم في هذا الكتاب حياة شاعر الكرنك وشعره وقصائده المجهولة ، بما في ذلك غنائياته المجهولة ، فإنما نقدم صفحة مضيئة من صفحات تاريخنا الأدبي المعاصر لشاعر كبير طوته يد الإهمال والنسيان منذ رحيله قبل نصف قرن من الزمان فليكن هذا الكتاب تذكيرًا بصفحة مضيئة من صفحات شعرنا العربي المعاصر ، بإلقاء الضوء على مسيرته الحياتية والشعرية منذ مولده في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩١٢ حتى رحيله عن الحياة في الثالث من يوليو عام ١٩٦٠ وفاء للأدب والتاريخ .

القاهرة أغسطس ٢٠١١

محمد رضوان



ميلاد شاعر

كان ذلك في حوالي عام ١٧٩٠م تقريبًا حين هاجرت أسرة «فايد» من «نجد» بالحجاز وحطت رحالها أولاً في قرية «تل مشتول» بمديرية الشرقية ولكن اختلفت أسرة فايد مع سكان «تل مشتول» الأصليين فقامت بينهما معارك طاحنة انتهت بانتقال أسرة فايد إلى موضع يقال له «كفر الحمام» ونصبوا خيامهم هناك ثم عمروها وبنوا البيوت والدور .

واتجهت الأسرة إلى تعليم أبنائها في الأزهر الشريف ..

وكانوا يملكون موهبة قول الشعر على السجية ..

وفي هذه القرية نشأ الشيخ إبراهيم سليمان وقد أتم تعليمه بالأزهر وأصبح من علماء الأزهر يدرس في المعاهد الدينية .. وكان شيخًا مثقفًا ورعًا ينظم الشعر ويلقيه ..

وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ شارك بمنظوماته وخطبه في إشعال نيران الثورة وطفق يعقد الاجتماعات الوطنية الملتهبة وقد زج به في السجن وتعرض بيته لغارات الشرطة عدة مرات ..

وكان الشيخ إبراهيم قد تزوج وهو طالب ، وأنجب ولدًا واحدًا هو الشيخ محمد ، وبعد أن توفت زوجته تعددت زيجاته حتى تزوج السيدة «فاطمة حسن العويضي» ، وهي بنت عمدة بلدة «فراشة» ناحية (أبو كبير) بالشرقية فأنجب منها أول ما أنجب شاعرنا أحمد فتحي ثم ثلاث بنات هن : عفاف ، وعواطف ، وعنايات [١] .

---

(١) أخبرني بهذه المعلومات فضيلة الشيخ محمد إبراهيم سليمان وهو أخ غير شقيق لشاعرنا أحمد فتحي في لقاء يوم ١١ يونية عام ١٩٧١م بمنزله في ضاحية «دير الملاك» بالقاهرة .

ولد فتحي إبراهيم سليمان بقرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية في الحادي عشر من أغسطس عام ١٩١٢ م .

وكان طفلاً وسيمًا أزرق العينين متوسط القامة يشبه والده ، وقد ورث زرقة عينيه عن والده..

وبعد مولد أحمد فتحي انتقلت الأسرة إلى الإسكندرية بحي «الجمرك» حيث كان أبوه يعمل مدرسًا بالمعهد الديني بالإسكندرية ..

وألحق أحمد فتحي بالكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وجوده ...

ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت للقاهرة حيث عمل الأدب مدرسًا بجامعة الأزهر ، وألحق أحمد فتحي بمدرسة العقادين الابتدائية وأقامت الأسرة بشارع حيدان الموصلي قسم الدرب الأحمر بحي الأزهر ..

وأظهر أحمد فتحي تفوقًا ملحوظًا على أقرانه خاصة في اللغة العربية واللغة الإنجليزية وظهر ميله الشديد إلى القراءة ..

وكان يحلو له أن يسهر بجوار أبيه وهو يقرأ حتى منتصف الليل ، يتطلع إليه في صمت ثم يحاول قراءة الكتب التي تحويها مكتبة الأب ، وكانت المكتبة تضم أمهات الكتب في الأدب العربي والتراث العربي مثل: دواوين المتنبي ، وأبي العلاء ، والشريف الرَّضِي ، وأمير الشعراء أحمد شوقي ، فضلاً عن الكتب الدينية والأدبية الأخرى مثل: كتاب الأغاني ، ومقامات الحريري .

وذات ليلة قرأ أحمد فتحي أبياتًا من الشعر في أحد الدواوين ، فنقلها ، وذهب لأبيه يقرؤها عليه، وكانت تقول :

ما مقامي بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

أنا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

وحين سمعها الأب راح يشرح لابنه معانيها وعرف أحمد فتحي أن صاحبها شاعر كبير اسمه «المتنبي» وأعجب أحمد فتحي بهذا الشاعر ، فعاد إلى مكتبة أبيه من جديد وراح يقرأ كل ما كتب عن المتنبي وما نظمه هذا الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .

ثم اتسعت قراءاته لتشمل دواوين البحتري والشريف الرضي وشوقي وحفظ الكثير من القصائد المطولة واستوقفه بصفة خاصة شعر شوقي ، لما فيه من قوة المعنى وحلاوة الجرس ، وجمال الموسيقا .

ثم أنجز شاعرنا دراسته الابتدائية والتحق بالمدرسة الثانوية ولكنه تعثر فيها لأنه انغمس في تلك السن المبكرة في مغامرات عاطفية جامحة وتأرجحت حياته بين شيطان الحياة وشيطان الشعر.

فالتحق شاعرنا بمدرسة الفنون التطبيقية (الفنون والصنائع) التابعة لجمعية العروة الوثقى بالإسكندرية .

ويتحدث عن تأثير الإسكندرية في حياته وفى شعره فيقول [1] :

« وفي الإسكندرية كان ميلادي وعلى صدر شاطئها الجميل ترعرعت ، وعن صفاء ، بحرها الصداح أخذت ما كان في بواكير أفكاري وأشعاري من صفاء وأنغام .

وماتت أم شاعرنا عام ١٩٢٣ ، وعمره يومئذ عشرة أعوام فقط أثناء دراسته الابتدائية ماتت ، وبعد أن وضعت مولوداً سموه «محمودًا» وأصابتها « حمى النفاس» ، وكانت في ذلك الحين داء عضالا وأخطأ الأطباء ، وأصابت الأقدار ، ولم يكن عمرها يوم اختارها الله لجواره قد تجاوز ثلاثين ربيعاً ، وقد خلفت وراءها أربعة أطفال كان شاعرنا أكبرهم ، وكان في العاشرة من عمره وكانت الفجيعة كبيرة فيها ...

شبابها الذي اختضر وأطفالها الأربعة الذين حرموا حنان الأمومة ورعايتها قبل أن يشبوا عن الطوق ، فشعر بحزن عميق فتزوج والده بسيدة من أقاربه كانت غاية في الرفق ، وحسن المعاملة لأحمد فتحي وشقيقاته الثلاث ولكن الفراغ الذي تركته أمه في صدره راح يبحث عن عواطف جديدة .

وفي تلك الحقبة بدأ شاعرنا ينظم قصائد وجدانية يبث فيها بوح قلبه وأشواق روحه ويعبر فيها عن عواطفه الجياشة لمن يحب ...

---

(١) صحيفة الشعب / القاهرة / ١٧ أغسطس ١٩٥٧.

واتسمت تلك القصائد بالرقة والعذوبة والطلاوة...

واشتد المرض بالشيخ إبراهيم سليمان فانتقل إلى مسقط رأسه كفر الحمام حيث توفى بها عام ١٩٢٩ ، تاركًا ابنه أحمد فتحي وهو في السادسة عشرة من عمره ، الذي فجع بتيتمه وهو ما زال في عمر الزهور ، فازدادت أحزانه ، بعد أن أصبح وحيدًا فمضى ينظم قصائد حزينة باكية عكس فيها أحزان روحه وأحزان نفسه وإحساسه الحاد بالاغتراب الروحي .

وتخرج أحمد فتحي في مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠ م وعينه خاله المهندس أحمد حسن «مدير جمرك الإسكندرية» موظفًا بالجمرك وشهدت له مغاني الإسكندرية صولات وجولات سجلها في قصائد عاطفية رقيقة ، ولم يستمر طويلاً في هذا العمل فعمل مدرسًا بمدرسة الصناعات ببولاق بالقاهرة ثم مدرسًا بمدرسة الصناعات بالسويس حوالي عام ١٩٣٢ م .

وفي السويس كانت له أيضًا تجارب ومغامرات عاطفية ، فقد كان دومًا يعشق الحسن ويهفو للجمال .

◆◆◆

مع جماعة أبوللو

ومن السويس بدأ يراسل مجلة « أبو للو » ..

ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسي الحالم الذي يغلف أحلامه بأحزان روحية شفافة ، وغلبت على تلك القصائد في تلك الحقبة الروح الشاكي الحزين وأفصحت عن نفسية قلقة حزينة لشاب لم يتعد العشرين من عمره بعد ... فقد كان إحساسه بالاغتراب الروحي يلازمه منذ مطالع شبابه، لقد كان طموحه أكبر من إمكاناته وآماله أكبر من واقعه.

ولعل مفتاح شخصيته في تلك الحقبة والذي ظل ملازما له طيلة حياته يتلخص في إحساسه «بالاغتراب الروحي » الذي كان يضنيه ويعذبه...

وكانت أول قصيدة نشرها بمجلة «أبو للو» وكان يبلغ العشرين يومها

قصيدة يبث فيها أحزان روحه وآلام نفسه لأبيه الراحل بعنوان «نجوى وشكاة» وهي قصيدة تتسم بالروح الشاكي الحزين والنغمة الباكية الهامسة رغم شبابه الغض يقول فيها[1] :

أبي قُم ونحِّ الرَّجم عنك وناجني
أتسلمني للدهر وهو خؤونُ ؟
مضى بالَّذي خلّفتَ لي ثم فاتني
وقلبي ثخينٌ بالجراح طعينُ
به من لظى وجدي عليك لواعجٌ
تضرم نيراناً به وشجون
ولولا جلالُ الموت قلتُ نسيتني
وألهتك عني في الحياة شؤونُ

◆◆◆

تمثّلت في ذهني فأجفل خاطري
وعهدي به في النّازلات رصينُ
وماذاك من خوفي لقاك وإنما
عراني من هول المقام جنون
حنانيك ، هل تبكى لحالي رحمةً
أعندك ماذا في غد سيكون ؟
لعل زماناً أوثق العهد إنه
سيقلب لي ظهر المجنّ يمينُ
فنم واسترح واهدأ بقبرك إنما
حُظوظ البرايا شمالٌ ويمين

(١) أبو للو / أكتوبر ١٩٣٣م / ص :١٠١ .

ولــو أنــه يبقــى عــلى امــرئ
فمــثلى بإبقــاء الزَّمــان قمــين

◆◆◆

ألا أيهــا المــوتُ الــزؤام مُعَجّــلٌ
يناديــك ، ميعــادي متــى ســيحين
صريــع همــوم طــال بالوجــد عهــدهُ
تمــرُّ بــه الــساعات وهــى ســنين
فتخشى ويـستجديك مـن فـرط مـا بـه
وأنــتَ عليــه يــا حِمَــام ضُــنينُ!

◆◆◆

ثم ينشر قصيدة في عدد أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان «الوهم» بتوقيع أحمد فتحي المهندس يغلب عليها الطابع الشاكي الحزين الباكي رغم شبابه الغض نلمس فيها سوداوية قاتمة وأحزان قلب كبير لا تناسب سنه الصغيرة التي لم تتجاوز العشرين بعد يقول في تلك القصيدة [(١)] :

أمــن الأشــجان آلٌ وصــحابْ ... ومِــنَ الــدّمْعِ نــدَامَى وشرابْ ؟!
وكــذا الــدّنيا شَــجونٌ لا تَنــى ... ودُمــوعٌ لاينــي عَنْهَــا انــسكابْ
لا أرَى في الـــرَّوْضِ إلاَّ صــادحاً ... مُرْسِــلَ الألحــانِ يحْــدُوهُ انتحــابْ
أيُّ وَهـــمٍ لم يَـــزَلْ يَحْفِزُنَـــا ... فعــلى الــوهمِ صِرَاعٌ وَغِــلاَبْ ؟!
كــم سَــحَابٍ لَمْ يَجُــدْنَا غَيْثُــهُ ... خطــفَ الأبــصارَ بــالبَرْقِ وغــابْ !

◆◆◆

وكــلامٍ نَحْتَــهُ رِيــشتْ قَنــى ... هُــوَ في ظــاهِرِهِ شَــهدٌ مُــذابْ
والــذي نَحْــسَبُهُ ريَّ الــصَّدَى ... هُوَ مَهما قد روي الصادي سَراب

---

(١) أبو للو / أكتوبر ١٩٣٤م / ص : ٢٣٨ - ٢٣٩ .

أيّهـــذا المـــدلج الســـاري إلى

أمـــل يحـــدوه أقـــصر في الطـــلاب

أإلى الآمـــال كـــدحٌ قاتـــلٌ

وإلى الآمـــال ظعـــنٌ واغـــتراب ؟

مـــا أراهـــا باعثـــاتٍ مـــن بـــلَى

أو مُعيـــداتٍ إلى الـــشيبِ الـــشبابْ

صـــاحب الحاجـــة ذو هـــمٍّ بهـــا

فـــإذا أدركهـــا هـــان المـــصاب

ضـــيعةٌ للـــرأى تُـــذكي نارهـــا

آفنـــةٌ في المـــرء مُـــذْ شـــبَّ وشـــابْ

شـــامخٌ بـــالأنفِ مـــن أوهامـــهِ

لم يـــزل ينـــشدُ أطبـــاقَ الـــسحاب

حـــسب الكـــون رهينـــاً بالـــذي

يـــشتهى وهـــو رهـــينٌ بكتـــاب

❖ ❖ ❖

كانت قصائد أحمد فتحي في تلك الحقبة وهو ما زال في سن العشرين تعد إرهاصات لمولد شاعر وجداني كبير .



ليالي الكرنك

وبعد عمله بمدينة السويس انتقل إلى الأقصر مدينة التاريخ العريق والآثار الخالدة ، ليعمل مدرساً بمدرستها الصناعية الثانوية .

وفي هذه المدينة الصامتة الهادئة التي يخيم عليها جلال التاريخ التليد ، صمته وهيبته ، أحس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذي تعود أن يقضي أيامه بين مجالي الأنس والطرب وأطايب الجمال هرباً من عذابه الروحي الممض وشعوره الحاد بالاغتراب الروحي .

ويشعر بالحنين إلى أضواء القاهرة وليالي القاهرة ، فيكتب إلي صديقه أنور أحمد بعد ثمانية أيام فقط من وصوله للأقصر يبثه ضيقه وحزنه لبعده عن أجواء القاهرة ولياليها الساحرة ، فيقول[1] :

« تصور أنني أنفقت هنا أياما ثمانية ، كانت في حساب قلبي أعواماً ثمانية» .

« لو أنك رأيتني الآن لأنكرتني : شحوب وذهول ، وعبرات لا ترقأ وكفاتها أبداً ، وظلال من الذكريات الغائمة لا تميل عن المخيلة المكدودة .

« لقد أقفرت كل دنياي من مباهجها ، وهل شيء أبعد أثراً في نفس الشاعر من أن يصبح وحيه أحجاراً جاثمة وأطلالاً قائمة ، وهذه الأناشيد الحزينة التي تفلسف الأحزان وتجعل من الوحدة المكتئبة ضجيج مهرجان وصخب أعياد وقدس مثول في حضرة آلهة السماء ...

« لو كنت في القاهرة ...

« يرحم الله أيامي بالقاهرة ، أو رحمني بعدها » .

كانت هذه أحاسيس شاعرنا في الأيام الأولى لوصوله إلى الأقصر ...

ولكن سرعان ما تبدل الوضع بصورة مختلفة ..

---

(١) من رسالة خاصة ضمن عدة رسائل اطلعت عليها عند صديقه أنور أحمد عام ١٩٧٤ .

كان شاعرنا يقضي جل وقته - في الليل - بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالي المقمرة ، أن يتأمل جلال التاريخ وجمال الطبيعة ويسرح بعيداً في سموات الخيال ..

وسرعان ما أصبح يهفو إلى ليالي الكرنك يتأمل ويستوحي ويستلهم أجمل الخواطر وأعذب الصور ..

وفي ذات ليلة من تلك الليالي الشاعرية الحالمة كان القمر مضيئاً ينثر أشعته الفضية على المعابد الضخمة فيضفي عليها سحراً وبريقاً ، استوحى شاعرنا أروع قصائده الوصفية التصويرية «أنشودة الكرنك» .

التي يقول مطلعها [1] :

حلـــمٌ لاح لعـــين الـــساهر

وتهـــادىَ في خيـــالٍ عـــابرٍ

وهفـــا ، مـــلء ســـكون الخـــاطر

يـــصل المـــاضي بـــيُمْن الحـــاضر

ثم يسرح بعيداً إلى جلال التاريخ وأمجاده حيث ملوك الفراعنة وأمجادهم الغابرة التليدة وتوحي كل هذه الأحاسيس والخواطر بصور شعرية رائعة :

هـــا هنـــا الـــوادي ، وكـــم مـــن ملـــك

صـــارع الـــدهر بظـــل الكرنـــك

وادعـــا يرقـــب مـــسرى الفلـــك

وهـــو يـــستحيي جـــلال الغـــابر

ثم يمضي يساءل الأطلال في حيرة ونشوة في آن واحد :

أيـــن يـــا أطـــلال جنـــد الغالـــب ؟

أيـــن آمـــون ، وصـــوتِ الراهـــب ؟

وصـــلاة الـــشمس ، وهمـــى طـــا ربي

---

(١) ديوان قال الشاعر / ص ١٢٣ - ١٢٥ / أحمد فتحي ١٩٤٩ م ، القاهرة - دار النيل للطباعة .

نـــشوةً، تـــزري بكـــرم العـــاصر

وتستغرقه النشوة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابد الكرنك الخالدة تحت ضوء القمر وبين جلال المعابد وصور التاريخ الفرعوني التليد تحيط به من كل جانب :

أنـــا هـــيمان ويـــا طـــول هيـــامى

صـــور المـــاضى ورائـــى، وأمـــامى

هـــى ، زهـــري وغنـــائى ، ومـــدامى

وهـــى في حلمـــى جنـــاح الطـــائر

ويصور لنا في هذا المقطع التصويري الرائع الطائر الجريح الذي ما زال يغرد أعذب النغم وأرقه بين الرياض الناضرة :

ذلـــك الطـــائر مخـــضوب الجنـــاح

يـــسعد الليـــل بآيـــات الـــصباح

ويغنـــــى في غــــدو ورواح

بـــين أغـــصان وورد نـــاضر

ثم يختتم أنشودة الكرنك بهذا المقطع الجميل ، فيقول :

في ريـــاض نـــضَّر الله ثراهـــا

وســـقى مـــن كـــرم النيـــل رُباهـــا

ومـــشى الفجـــر إليهـــا ، فطواهـــا

بـــين أفـــراح الـــضياء الغـــامر

وتغنى محمد عبد الوهاب بأنشودة الكرنك عام ١٩٤١م فلاقت نجاحاً كبيراً واتسعت شهرة الشاعر وأضفت عليه صيتاً ذائعاً ، وهكذا اقتران اسم الكرنك بأحمد فتحي ، وأصبح الناس يعرفونه باسم «شاعر الكرنك» .

وبالمناسبة لم يتقاض الشاعر عن هذه الأنشودة الناجحة إلا ثلاثة جنيهات من الإذاعة المصرية حينئذ ...

❖ ❖ ❖

وهكذا روض شاعرنا روحه على التصوف بين معابد الأقصر الخالدة وأصبحت أجمل أوقات حياته تلك التي كان يقضيها بين المعابد الشامخة : فاستوحى أنشودة الكرنك من معابد الكرنك .. واستوحى أنشودة «نداء الغروب» من وحي «وادي الملوك» وهي قصيدة تتسم بالصور الشعرية المحلقة والخيال الغني المجنح ، يقول فيها [1] :

عادت الطير إلى أغصانها .. تتغنّى

حين ذاب النور في ألحانها .. وتثنّى

◆◆◆

وجرى في أدمع الذكرى شراعي

مُذْ دعاه من فم الأجيال داع

◆◆◆

وكسا النيل وشاحُ الذهبِ

في الأصيل

وروي الموجُ حديثَ الحقبِ

للنخيل

◆◆◆

طاف بي همس بعيد كالنداءِ

أيها الساري على غير اهتداء

قف تأمل

هاهنا وادي الخلودْ

وتمهلْ

كلُّ من فيه رقودْ

◆◆◆

(١) ديوان قال الشاعر ، نداء الغروب ، ص : ١٣٧ ، ط دار النيل للطباعة القاهرة ١٩٤٩ .

لا تنبِّـــه أعينـــاً طـــال كراهـــا

ســـحرها صـــان عـــلى الـــدهر حماهـــا

◆◆◆

أيـــن منـــك الفـــنُّ والمجـــد العريـــقُ

قـــــــف تمهـــــــل

فـــسحةٌ مـــن أمـــل الـــوادي وضـــيقُ

فتأمـــــــــــــلْ

◆◆◆

ســـأل الرمـــل ، وقالـــت زهـــراتُ

أيُّ ســـارٍ ســـبقته العـــبراتُ ؟

◆◆◆

أنـــا صـــدّاحك يـــا وادي الجـــلال

نَـــمْ ودعنـــي

أبـــصر الـــدنيا بقلبـــي وخيـــالي

فـــــــأغني

◆◆◆

أخـــذتني وحـــشةُ الـــساري الغريـــب

وتنبهـــتُ عـــلى صـــمتِ الغـــروب

◆◆◆

وتمهلـــــتُ ، لعـــــلي أســـــمعُ

رجعـــــة الهمـــــس البعيـــــد

◆◆◆

وتأملـــتُ ، وعينـــي تـــدمع

صـــور العهـــد العهيـــد

وجـــرى في أدمـــع الـــذكرى شراعـــي

❖ ❖ ❖

وحاول شاعرنا أن تغني أم كلثوم هذه الأنشودة الرائعة ولكنه أخفق في محاولته .

❖ ❖ ❖

وكان هناك عامل جديد حبب لشاعرنا الإقامة في الأقصر في تلك الحقبة بعد أن روض روحه على التصوف بين معابدها الخالدة ..

لقد مر بتجربة عاطفية عنيفة انتهت بالفراق .. فلجأ إلى الأقصر «منفاه المحبب» من القاهرة لينسى جراح قلبه وفرق أحزانه بين معابد الأقصر ولياليها الحالمة ..

ويصور شاعرنا أحاسيسه بعد هذه التجربة العاصفة ، فيقول في رسالة شجية له (١) :

« ولقد رجعت إلى منفاي مختاراً طائعاً لا ألوي في طريقي على شيء وعكفت على مكتبي أنفق فيه سحابة النهار وشطراً من الليل ، كما أفعل الآن .

« وماذا أصنع بهذه الصورة التي تطارد ذهني في اليقظة والكرى ؟

« وماذا أفعل بهذا الخافق الوثاب الذي لا يقر ولا يهدأ ؟

« وماذا أفعل بهذه الذكريات الموجعة التي تحف ظلالها بطريقي على الدوام؟

«ولمن أشكو هذا كله ، وأنا إنسان وحيد في هذه الدنيا ، مثلي كمثل الشجرة اليانعة النابتة في جوف صحراء جديبة موحشة مقفرة من كل كائن حي ؟

❖ ❖ ❖

ثم انتهت مرحلة الأقصر لتبدأ مرحلة جديدة في حياة شاعرنا وشعره هي مرحلة الفيوم ...

❖ ❖ ❖

(١) تاريخ هذه الرسالة ٩ سبتمبر عام ١٩٤١م ، وقد اطلعت عليها عند الأديب أنور أحمد .

في جنة الفيوم

أخذ شاعرنا يسعى لينقل إلى القاهرة ..

وأخيراً أفلح في أن ينقل إلى الفيوم - وهي قريبة من القاهرة - مدرساً بمدرستها الصناعية في سبتمبر عام ١٩٤١م ..

وعاش شاعرنا بين جمال طبيعتها وسحرها حيث النخيل والسواقي السبع تحوطها عيون «السليين» وعيون «الفد يمين» و «الحدائق المعلقة » و «بحيرة قارون» .

ويسعد شاعرنا بقربه من القاهرة وتبهجه طبيعة الفيوم الساحرة فيكتب إلى صديقه أنور أحمد يقول له :

« والسواقي تكاد تطغى على نداءات خواطري وأنا أكتب لك ، ومع هذا فإنه لنواح حبيب .. يا ليتني أستطيع أن أسجله في أبيات كما سجله رامي في قصائد ...

« إنها بلدة طيبة وادعة جميلة .. ولكن ليس لها سحر وادي الملوك ، وجلال جواره الكريم» .

ويستوقفنا هنا حديثه عن سحر وادي الملوك وجلاله مما يفصح عن مدى استغراق شاعرنا في هذا الجو التاريخي الحالم في مرحلة الأقصر بعد أن كان يشكو مر الشكوى من إحساسه بالوحشة في ظلاله .

وقد استوحى أحمد فتحي من جمال الطبيعة في الفيوم وسحرها عدة قصائد رقيقة .

استوحى من وحي سواقي الفيوم قصيدته «صوت السنين» التي تتسم بجمال اللفظ ورقته وحسن صياغة الكلمات والموسيقا الهامسة فضلاً عن

رومانسيتها الحالمة المبدعة .. يقول فيها [1] :

أي ســحر بعثــت شــمسُ الأصــيل
في ضــياء شــاحب اللــون خجــول
ونــسيم واهــن الخطــو عليــل
راح يلتــفُّ بأعنــاق النخيــل

◆◆◆

ضــحك الزهــر ، وغنــى بلبــلُ
وحكــى المــوج ، وأصــغى الجــدولُ
وتــراءى في الــروابي أمــلُ
آخــر الأيــام فيــه أولُ

◆◆◆

آه مــن ذكــري مــع الليــل تعــودُ
هــي طيــفٌ ناحــل ، واهٍ ، بعيــدُ
يمــلأ الآفــاق ، والقلــب وحيــدُ
يبعــث النجــوى ويبــدي ويعيــدُ

◆◆◆

طــال حرمــاني وصــبري وحنينــي
وســما بي خــاطري مــلء الــسكون
أُرهــف الــسمع إلى صــوت الــسنين
هــائماً بــين فتــوني وذهــولي

---

(١) ديوان : قال الشاعر ، صوت السنين ص : ١١٥ .

يا خيالي هذه الدنيا لنا
ليس إلا أنت ، فيها ، وأنا
نقهر الدهر ، ونطوي الزمنا
ونرى في كل واد وطنا

❖❖❖

فيم نشكو العمر والجرح القديما
والهوى اليائسُ واللوعةُ ، فيما ؟
نحن صوَّرنا من الوهم نعيما
في ربيع باسم ضاحٍ ، جميلا

❖❖❖

ولعل انتقال شاعرنا إلى الفيوم كان بمثابة الواحة التي ينشد فيها الراحل المجد ، بعض الراحة من وعثاء الطريق ، ووقد الهجير ، وإنك لتحس برد الراحة الذي أظل نفسه من خلال شعر مطرب كانت موسيقاه تردده مع سواقي الغدير التي تترجم عن الحنين والنفس الملتاعة .

في قصيدته «صوت السنين» التي أوردناها ، نسمع منه لأول مرة نغماً مؤنساً، وأملاً ندياً، وحناناً طوى مرارة دفينة ، واستقبل فجراً بساماً .

وكانت هذه المرحلة (١٩٤١ ـ ١٩٤٣م) رغم قصرها من أكثر الفترات استقراراً في حياة شاعرنا وأحفلها بالإنتاج الشعري الخصب الذي يتسم بالتفاؤل والرومانسية الحالمة والإقبال على الحياة ولكن هذه المرحلة لم تستمر طويلاً ، فسرعان ما بدأت مرحلة حاسمة في حياة شاعرنا القلق الملول !



الاغتراب الروحي

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة في حياة شاعرنا ..

كان شاعرنا قلقاً دائماً حزيناً لا يستقر على حال يعذبه شعوره «بالاغتراب الروحي» فهو دائماً يشعر بغربة روحية موحشة .. لم يجد الاستقرار والأمان في المرأة أو الكأس أو المجد أو المال أو التنقل والسفر .

ويكتب لصديقه يعبر عن ضيقه وملله من خياله ويصور له أحاسيسه المرهفة نحو السعي إلى الجديد الذي ينفض عنه أثقال الكآبة ورتابة الملل ، فيعلن له زهده في القاهرة ولياليها ، فيقول:

«كرهت القاهرة .. ومللت حياتي بها . إن كل ركن في العاصمة يثير دفيناً من الشجن ، ويهيج ساكناً من الذكرى ، ويرتد بالقلب المثخن بجراحه إلى صور من الماضي الحافل بآثامه ومباذله، الذي شاء القدر أن يضع له هذه الخاتمة الأليمة.

« فلأقنع راضياً أو غاضباً بهذه الحياة البليدة التي أحياها .

« هنا بعيداً عن مراتع شبابي المسكين .. ولعل البعد ينسى أو يسلي ، ولا أمل في حياة عاطفية مستقبلة ، بل لا رغبة في شيء من ذلك على وجه الإطلاق .

« لقد أحببت كثيراً وتعذبت كثيراً كما تقول مريم المجدلية ولا أظنني مستطيعاً أن أعالج حياة الشاعر من جديد ...

«ولهذا قر قراري على أن أودع هذا الفن العزيز فيما عدا نفثاتي السانحة على ماضي الفار ، الذي يعاودني كلما بسط المساء جناحه على روحي الهائمة في القفار والمجاهيل » .

كانت حياة أحمد فتحي في تلك الحقبة حياة تعسة شقية فضلاً عما كان يعاني من آلام نفسية تعذبه وتضنيه ...

وينتهي شاعرنا إلى قرار خطير يعد نقطة حاسمة في حياته ...

لقد قرر أن يستقيل من عمله ويغادر الوطن، ليلتحق بالجيش البريطاني.

« ومهما يكن في قراره هذا من إغراب أو مروق، فإن عوامل كثيرة قد اجتمعت على الشاعر المسكين، فحملته على اتخاذ هذا القرار في ساعة يأس:

« حب ضائع، وصحة منهارة، وأمل مفقود في وظيفة بالقاهرة، وسخط على الحياة والفن، وخصاصة تتركه في ضائقة من العيش، وهو بين كل هذه العواطف وحيد.. لا زوجة ولا ولد ولا أهل [1].

كانت الحرب العالمية الثانية قائمة في ذلك الحين، فانضم شاعرنا لقوات الحلفاء وأخذ يندد بقوات المحور ويرحل إلى الميدان ويودع محبوبة العمر في الفيوم بقصيدة رقيقة يقول فيها [2]:

أغاريدُ من ذكرى هواكِ وأنغامُ
تعود، فهل عادت ليالٍ وأيامُ؟
هنا... كان لي قلب وفيٌّ ومرتع
رضيٌّ، وآمال حسانٌ وأحلامُ
وكان هوانا يملأ الرَّحب بهجةً
يصوِّرها في صفحة الكون رسام
تسابق فيكِ المغرمون، وقُسمت
حظوظ، فمظلوم لديك وظَلاَّم
تخلف قلبي في الزحام، وخانني
إلى نبعك المورود صبرٌ وإقدامُ
أقابلك في ضعف الغريب بذلِّه

(١) صالح جودت، مأساة شاعر الكرنك، مجلة الهلال، ديسمبر ١٩٦٦.
(٢) أحمد فتحي، ديوان قال الشاعر، ١٩٤٩، قصيدة «الأيام»، ص ١٤٣.

أغالب دمعي وهو بالوجد نمّام

لقيتُ الروابي ضاحكات، كعهدها

كأن لم ترُعْها مِن غيابك آلام

وفي كلِّ شيء هاهُنا منك فكرة

وملء خيالي منك وحيٌ وإلهام

يخيَّل لي أني أراك، وأنني

تصافح سمعي من حديثك أنغام

فأغفو على وهم اللقاء سويعةً

وأصحو، وما بيني وبينك أعوام

هنيئاً لك الدنيا، فإن خواطري

إذا هبطت آفاقَ دنياك، آثام

وما دام في بعدي لقلبك راحة

فلا خطرت بي في رحابك أوهام

◆◆◆

ويصبح شاعرنا ضابطاً بقوات الحلفاء في الصحراء الغربية المصرية .. ولكن كيف حدث هذا؟

لا أحب أن أعرج على ما اضطرب فيه أحمد فتحي خلال تلك الحرب من تصرفات مبعثها فكر أضر به الحرمان الباكر في صدر حياته، وأتلفه نهم للذاذات تورث السقم في الجسد وفي العقل، إلا برأي لا ينفي عنه العتب بقدر ما يبحث له عن مخرج يرى منه القارئ شعاعاً من العذر.

مما لا شك فيه أن أحمد فتحي تأثر من قراءاته في كتب الغرب، بما كان يحدث لمن تتجهم له الدنيا حتى تضيق به أرجاؤها، أو لمن يخفق في حب عنيف

لا يرى بعده حقاً له في العيش أو أملاً في أمل .. وكان أولئك المصابون بهذه المآسي ينخرطون في «الفرقة الأجنبية» التي كانت تؤلف في فرنسا من متطوعين من كافة الأجناس . لم يكن هم هؤلاء المتطوعين الدفاع عن قضية ، أو بلوغ غاية نبيلة أو مبدأ سام أو إحقاق حق ضائع بقدر ما كانوا ينخرطون في هذه الفرقة من أجل البحث عن الموت عن طريق آخر غير الانتحار . إن شاعرنا يلقى بنفسه الضوء على تلك الحقبة الغريبة من حياته في رسالة أدبية ممتعة بعث بها من «برقة» في ٢٠ مايو سنة ١٩٤٣م إلى صاحبه تفصح عن نفسية قلقة تحاول أن تجد في ميدان الحرب ملاذاً أو مهرباً من الشعور بالغربة الروحية وتفصح الرسالة عن مدى إحساسه الحاد بالقلق وعدم الاستقرار والغربة الروحية لشاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد يقول فيها[1] :

« وبعد ، فإنك لتسأل ماذا حدا بهذا الشاعر المفتون أن يهجر داره إلى غير أمل في رجعة، ولقد كانت حياته في أرض الوطن هنية لينة ، إن أخطأها البذخ ، فقد كان فيها ترف ورخاء ؟

« وفي الحق أني لأسأل نفسي بمثل ذلك اليوم ، وإنها لتجيبني إجابة فيها غموض وإبهام ومراوغة .

« أنت تدري أنني رجل لا سبيل للمال إلى استمالته ... ولكن حدث أنني سعيت إلى الشهرة سعي المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت في سبيل ذلك ما بذلت من نضرة شبابي ونور عيني .

« فلما بدأ نجمي يتألق في سماء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة إقبال المشوق ، كان ما تبقى لي من نفسي ذماء لا يكاد ينتفع بالحياة في جملتها ولا في تفصيلها .

« فقدت نصف قلبي منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقي منذ أيام ...

« ولقد فزعت إلى الشراب من مواجعي وعذاب دنياي ، فما زادني إلا ضعفاً عن احتمال الحياة ، ومواجهة متاعبها ، وعادت علة الجسد تزيدني من يقظة جراح قلبي ، وأصبحت حياتي كلها مقاساة ونكراً .

---

(١) من رسالة خاصة لصديقه أنور أحمد .

« وتلفت حولي ، فإذا أنا .. ولا ناصر ولا معين .. وإذا بمثلي كمثل الكسرة من الخبز العفن ملقاة في عرض الطريق ، إن وجدت تقياً يرفعها إلى جانب الحائط ، فإنها لن تجد من يأكلها بأي حال.

« قلت لنفسي .. لعلنا نصطنع لنا وطناً جديداً ، وعملاً جديداً ، وآفاقاً جديدة ، يرتع في ظلالها الإحساس الجريح والخيال مهيض الجناح .

« ولعل تغيير الجو المحيط ، وتبديل الوسط وتجديد المعالم لعل ذلك كله أن يعين على طي صفحة الماضي بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير قط.

« وفي بضعة أيام ، أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور أحداً ولم أستأنس برأي أحد ، وحضرت رحلي أطياف الشباب ، ورحلت وأنا لا أدري إلى أين ..

« ولست أدري حتى الساعة ماذا يراد بي ، فإن كان خيراً ، فقد أسلفت من الصبر والتجمل ما يثبت حقي أن أنعم بما بقي لي في صحبة الحياة من أمد ..
« وإن كان شراً ، فقد : تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر » ، ويبعث لمحبوبته من الصحراء بقصيدة «همسات» التي يقول مطلعها :

أنا همس الحب في سمع الوجود ... فاسمعيني

كان هذا تحليل شاعرنا للظروف والعوامل النفسية التي دفعته إلى الزج بنفسه في أتون الحرب هرباً من قسوة الواقع ومرارة الهزيمة النفسية التي تعذبه وتضنيه ...



وفي نفس الرسالة يشكو من هجر شيطان شعره الصادح في «برقة» بليبيا فيقول :

« ولكن شر ما أكابد الآن ، هو هجر شيطاني الصادح الذي طالما هششت إلى هزجاته بين تجهم أيامي وفي أمسياتها العابسة ، فما عدت أهتف ببيت من الشعر واحد ، ولا عاد يطرقني طيف من أطياف الخيال » .

ثم تمضي الليالي ممضة ثقيلة على شاعرنا وهو يتنقل مع قوات الجيش البريطاني في الصحراء الليبية وهناك يستطيع أن ينشئ علاقة عاطفية مع حسناء أوربية ، فيعود شيطان شعره الهارب ويستلهم منها قصيدة رقيقة بعنوان « الجارة الحسناء » يقول فيها :

أشرقـتِ في ليـل أراق ظلامه
في خـاطري ، ليزيـد فيه عـذابي
فرأيـتُ ثغـرك ضـاحكاً عـن دُره
متألقـاً في بـشره الخـلاب
وتبـسمتْ روحـي إليـكِ ، وعادهـا
طيـفُ التغـزل بعـد طـول غيـاب
وشـكا فـؤادي ظلـم مـا حملته
ليـصون عهـد أحبتـي الغيـاب
وجـرت عـلى شـفتي ظـلال تحيـة
تـسعى إليـك بهمـسة الإعجـاب
فهتفـت والـذكرى يلـم خيالهـا
فـيرد آثـامي عـلى الأعقـاب
يـا جـارتي الحـسناء ، مالـك موضـع
في القلـب بعـد تفـرّق الأحبـاب
في ناظريـك مـن الـصبا وفتونـه
يبـدو سـؤال ظـامئ لجـوابي
لكـن مـشغول الفـؤاد يعـوذ مـن

سـحر العيـون بدمعـه المنسـاب

ثم يتذكر محبوبته التي تركها في مصر فيقول :

لي في رُبى الـوادي الـسعيد فريـدة

في حـسنها ، تـشتاق يـوم إيـابي

عنـدي لهـا بـاقي الوفـاء ، وعنـدها

لهـواي إعـزاز وحـسن ثـواب

ولعلنـا بعـد النـوى أن نلتقـي

فتقـرّ عين شـبابها وشـبابي

ويزداد إحساس شاعرنا «بالاغتراب الروحي» في الصحراء حيث الوحدة والسكون والتأمل والليالي الطويلة المسهدة ...

ويسترجع شريط حياته فيجدها باطل الأباطيل وقبض الريح وتنتابه سوداوية قاتمة وإحساس مظلم بكل أمل له في الاستقرار والحياة الهادئة وبقيمة ما يكتب ويسجل هذه الأحاسيس الحزينة في رسالة ، خاصة إلى صديقه أنور أحمد فيقول :

« لا أكتمك ما أحس من فقدان كل أمل في الحياة المنتظمة والاستقرار وأؤكد لك أن خيال العش الجميل والأليفة والأطفال لم يعد يداعب عيني أبداً .

« ولقد أصبحت رجلاً بلا ماض ولا مستقبل ، ولا رجاء في المستقبل .

« ولا تحسب هذا مصدر ألم لي فقد رضت نفسي عليه رياضة كافية ، وأصبحت أستمتع بالحياة الفردية الموحشة إلى غير حد ، وأصبح كل همي أن أركز كل جهدي في العمل الذي أكسب منه القوت .

«وفي وقت فراغي متسع أقفه على العمل الأدبي والإنتاج الفني ، وقد يشاء الله أن أظفر منها بعد بعض الوقت بشيء تكون له قيمة تاريخية تذكر .. فمن يدري ؟ » .

وفي رسالة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس عام ١٩٤٣ يمضي شاعرنا فيسجل نفس أحاسيسه الحزينة القاتمة ، وكأنه يرثي نفسه في عنفوان الشباب وفتوة العمر، فيقول :

«منذ أيام قليلة ، ودعت عامي الثلاثين ، ودخلت في الحلقة الرابعة ، ولا أكذب عليك ، فإن خوفي من الشيخوخة الباردة العاجزة لا حد له ..

«وأخشى ما أخشاه أن تكون خطواتي في سبيل الفناء سريعة من حيث لا أشعر » .

ويقول في موضع آخر مصوراً أحزانه وآلامه :

« أجدني حقيقة ضائقاً بالزمان والمكان ، ويزيد المرض من حدة هذا الضيق.

« أذكرتني العيد .. ولا بأس من أن أقول لك أن حياتي لم يعد فيها مكان للأعياد ... وإذا أمكن استثناء الأفراح الصغيرة الهادئة التي يقيمها قلبي لآلهاته الجاحدات ، تستطيع أن تزعم أن كلمة العيد قد محيت من قاموس أيامي ولياليِ .

«وفي السقم والعلة والضعف ، يدرك رجل مثلي فداحة جرمه في حق نفسه، إذ آثر منذ زمن بعيد هذا النوع من الحبس الانفرادي الحافل بالشقاء ، بدلاً من سعادة الأسرة وفرحة الحياة بالعيش الهادئ ، والعصافير الصغيرة المغردة » .

كانت هذه خواطر شاعرنا الحزينة في قلب الصحراء حيث ألقى بنفسه في أتون الحرب لاجئاً إليها فراراً من عذابات نفسه وأحزان روحه عله ينسى وترتاح نفسه لكن ذلك لم يزده إلا حزناً وضيقاً على ضيق .. وكانت هذه حلقة ترسم أبعاد مأساته العاصفة التي كان يتجه إليها بسرعة في عنفوان شبابه الغض.

ولعل أصدق ما يعبر عن إحساسه بالاغتراب الروحي من شعر قوله في قصيدة تفصح عن نفسية قلقة مفتاحها الاغتراب الروحي [1] :

ظمئتُ ، على قربي ، من النهل والعلِّ

---

(١) مجلة الرسالة ، من وحي الصحراء ، ٢٧ يونيه ١٩٣٨ م .

فهل عاف عذبَ الورد ظمآن من قبلي؟

وضقتُ بليلى، ساهداً، ولو أنني

تعزيت لم أشك التسهد في ليلى

وغشَّت حياتي وحشة ليس ينتهي

مداها، ودوني سائر الصحب والأهل

❖❖❖

هذه ملامح لأحزان شاعرنا منذ مطالع شبابه ندرك من خلالها مدى عمق المأساة التي عاشها أحمد فتحي من مولده حتى إلى يوم رحيله .. ومن هنا كانت مأساة حياته العاصفة .

على أنه بعد أن عمل ضابطاً بالقوات البريطانية في الصحراء الليبية إبان الحرب العالمية الثانية انتقل إلى جزيرة صقلية حيث عمل في قسم الدعاية والنشرات الحربية ...

ثم ما لبث إن عاد إلى القاهرة في أوائل عام ١٩٤٤ م وحاول أن يجد وظيفة مناسبة في القاهرة فأخفق ..

فلجأ إلى صاحبه محمد سعيد لطفي ـ مدير الإذاعة المصرية يومئذ ـ وقد كان على صلات طيبة بالإنجليز، فتوسط للشاعر عندهم فعينوه مذيعاً بالإذاعة البريطانية بلندن ...

واستعد شاعرنا للسفر إلى لندن لتسلم مهام عمله الجديد .. لتبدأ مرحلة جديدة في حياته وفي شعره ...



ليالي لندن

عين أحمد فتحي بالإذاعة البريطانية بلندن مذيعاً ومترجماً للأخبار بالقسم العربي بها في أواخر شهر فبراير عام ١٩٤٤م .

وكانت لندن تعاني في تلك الحقبة من فترة مظلمة ظالمة تكاثرت فيها القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية في عنفوان اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية .

ووسط ظلام لندن الحالك في تلك الحقبة المظلمة حاول أن يدفن أحزان روحه وآلام نفسه في الكأس والمرأة والسفر فأطلق لبوهيميته العنان وكان من أغرب نزوات شبابه في تلك الحقبة أنه تعلم الطيران في بقعة من أجمل بقاع الريف ، في جنوب انجلترا ونجا من الموت في محاولاته الأولى بأعاجيب غريبة ولم يحاول أن يقيد نفسه بمواعيد ثابتة أو بعمل معين ومرجع هذا كله إحساسه الحاد بالاغتراب الروحي والوحشة النفسية مما جعله ينطلق في بوهيميته وعدم التزامه بقيودها .

ويروي صديقه الشاعر صالح جودت صفحة مجهولة من حياة أحمد فتحي في تلك الحقبة فيقول [(١)] :

« على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته .. لقد أحب هناك أحب شابة إنجليزية اسمها «كارول» وهي من بنات الطبقة المتوسطة ، وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، وتزوجها، ورزق منها طفلة سماها «جوزفين»[(٢)] .

ولكن كان لشاعرنا نشاط خصب ومثمر في العاصمة الإنجليزية ، فبجانب صولاته وجولاته العاطفية كان له نشاطه الثقافي ..

في إذاعة لندن كان يقدم أحاديث أدبية وقام أثناء الحرب بترجمة خطب الزعيم البريطاني ونستون تشرشل .

---

(١) بلابل من الشرق ١٩٦٠ .

(٢) في بعض اعترافات شاعرنا أن اسمها عائشة وأن الزواج تم عام ١٩٤٥ م .

وفي إحدى رسائله يتحدث عن جانب من نشاطه ، فيقول [1] :

« عادوني النشاط الأدبي بعد أن استقر بي المقام ، وقد فرغت من سلسلة أحاديث عن رحلتي إلى الصحراء ، وبدأت سلسلة أخرى عن الشعراء المعاصرين » .

وفي رسالة لاحقة بتاريخ ٢٦ سبتمبر عام ١٩٤٤م يقول :

« بدأت كتابة مؤلف جديد عن لندن في زمن الحرب ، وربما استغرقني بضعة شهور، وقد بدأت أمس قصيدة غنائية وهي تبشر بشيء من طراز «الكرنك» وإن كان فيها روح أبيقوري ، ربما قاد إلى خاتمة بلون وطني » .

« ثم تأتي مأساة المآسي في حياة شاعرنا ..

تعود شاعرنا أن يفرط في الشراب ، فلا يكاد يفيق منه ، وهكذا لم يستطع أن ينهض بتكاليف الحياة الزوجية ، وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الإنجليزية أن تجدد إقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ويبحث عن أي مصير . كانت هذه مأساة المآسي في حياة أحمد فتحي.

وودع زوجته وابنته في لندن وهو يبكي وينشد بأسى:

إذا ضربتْ بيني وبينك فرقةٌ ... وطال عليّ الشوق، والشوق فاجعُ

وأقفرتْ الأكوان دوني فإنها ... خراب، وحتى الأقربين بلاقعُ

وأظلمتْ الدنيا وعُطِّل مسمعي ... فلا أنا بالرائي، ولا أنا سامعُ

فررتُ إلى كأسي أناجي حُبابها ... وقلبي خفاق، وطرفي دامعُ

واستقال شاعرنا من الإذاعة البريطانية في يونية عام ١٩٤٦ وعاد إلى مصر ولم يتح أن يرى ابنته إلا عام ١٩٥٥م لآخر مرة وبعد وفاته بفندق كارلتون بالقاهرة عام ١٩٦٠ م وجدت صورتها وهو يحتضنها بين يديه بحب وأمل ...

---

(١) تاريخ هذه الرسالة صيف عام ١٩٤٤م ، وهي من ضمن مجموعة رسائله لصديقه الأديب أنور أحمد ، أطلعني عليها كاملة.

في الأراضي المقدسة

أثناء وجود شاعرنا بلندن تعرف على الشاعر السعودي الرقيق الأمير عبد الله الفيصل صاحب ديوان «وحي الحرمان» وبعد أن عاد شاعرنا إلى مصر من لندن حوالي عام ١٩٤٧م بعد أن مكث بلندن لفترة بعد استقالته من دار الإذاعة البريطانية ذهب إلى الأراضي المقدسة حوالي عام ١٩٤٨م، وعين مراقباً عام للبرامج بإذاعتها، بمدينة جدة.

وكان له أثناء ذلك نشاط خصب، فكان يشارك بالبرامج الجديدة وإلقاء أجمل ألوان الشعر العربي قديمه وحديثه وغلب على الإذاعة الطابع الثقافي اللطيف وأحدث تجديدات كبيرة في برامج الإذاعة كما شارك في النهضة الأدبية بالسعودية ...

وفي تلك الحقبة كان يصطحبه صديقه الشاعر الأمير عبد الله الفيصل في رحلاته الصيفية بين مغاني أوربا وربوعها في باريس ولندن وروما وما لبث أن استقال من الإذاعة حوالي عام ١٩٤٩م واستمر يعمل بالمقاولات في الأراضي المقدسة وجلب له عمله الجديد بعض المال ...

وكانت لرحلات شاعرنا إلى مصايف أوربا وربوعها وشواطئها الفسيحة آثار عميقة في شعره فأمده بزاد وفير من المشاعر والأحاسيس عكسه في شعره وفي أدبه النثري فيما بعد ...

وكانت هذه الرحلات البلسم الذي داوى أحزان روحه لبعض الوقت بعد ليالي الحرمان والأحزان والوحشة.

ولكن سرعان ما عاد شاعرنا إلى مصر عام ١٩٥٣ م بعد أن ظل بضع سنوات في الأراضي المقدسة في بحبوحة من العيش والرفاهية ليبدأ فصلاً جديداً آخر في حياته الخصبة العريضة.

أحمد فتحي صحفياً

عاد شاعرنا إلى مصر في حوالي عام ١٩٥٣م ومعه بعض المال ولكنه كان مسرفاً، فأنفقه عن آخره في فترة وجيزة ..

وظل يحرر في بعض المجلات والصحف ينشر فيها مقالات وقصصاً مترجمة قصيرة ويضع قصائد حتى ألحقه صلاح سالم بصحيفة «الشعب» ليحرر صفحتها الأدبية ... ويبدأ أحمد فتحي يحرر فيها بابا أدبياً شيقاً تحت عنوان «سوانح وذكريات» ضمنه خواطره الفنية والأدبية والذاتية .. واتجه منذ حوالي عام ١٩٥٥م إلى الكتابة الأدبية وإلى النقد وإلى الحديث عن الكتب وما يصدر منها في مختلف شؤون الفكر والثقافة والفنون. وكان لتمكنه من اللغة الإنجليزية دور في ترجمة بعض المؤلفات إلى العربية، منها كتاب «فن الحياة»، كما أعانته على أن يطلع على آدابها وفنونها ويغترف منها ما شاء له حسن ذوقه ورقة مشاعره وولعه بالطريف في النقد والأدب.

وأخذ أحمد فتحي يحرر تلك الصفحة الأدبية في صحيفة «الشعب» وكانت نتاجاً لتجاربه وقراءاته، وصدى لمعاناته التي لزمته طول حياته.

ولكل أديب بوجه عام، ولكل شاعر بوجه خاص، فكرة أساسية تتجلى في كل ما تجود به قريحته. فهي كالمركز المغناطيسي الذي تتجه إليه سائر أفكاره أو كمركز الدائرة الذي تتشعب منه جميع الأشعة في كل اتجاه.

وهذه القاعدة توشك أن تكون أزلية وعامة، فمن شعراء الجمال في الغرب نجد بايرون وكيتس وشيللي ولامارتين ومن شعراء الطبيعة نرى بوشكين وورد ذورث الذي سموه «شاعر البحيرات» ومن شعراء الدراما شكسبير وراسين وكورني وفيكتور هيجو، ومن شعراء الأدب المكشوف بودلير الذي أطلقوا عليه شاعر اللذة والألم، وزعيم الرمزية وهو صاحب مجموعة قصائد «أزهار الشر» التي كانت السبب في وقوفه أمام القضاء بتهمة انتهاك حرمة الآداب

العامة .

ومن شعراء الوطنية في العالم طاغور ودانتزيو وكبلنج وفردريك شيللر وفولتير الذي مهد للثورة الفرنسية وكان يسمى « شرارة الثورات » .

ومهما يكن من أمر هذا التخصص ، فإن الشاعر لا تقيده قيود ، ولاتقف في سبيله حدود، ولكن المركز المغناطيسي الذي أشرنا إليه هو الذي يجذب أفكاره ولا يغيب أثره عنه مهما انشغل في شأن من الشئون ..

وقد عرب أحمد فتحي في تلك الحقبة (١٩٥٥ ـ ١٩٥٩) عشرات القصص الغربية القصيرة لكبار كتاب القصة القصيرة ..

كما كتب عشرات المقالات التي تملأ عدة كتب أدبية قيمة ..

ومن خواطره الأدبية التي سجلها في تلك الحقبة في بابه «سوانح وذكريات» تلك الخواطر الشيقة بعنوان « أمواج وأشعار ونظريات» كتبها في رحلة إلى الإسكندرية يقول فيها [1] :

« من أسوأ عاداتي أو أحسنها ... لا أدري ...

أنني لا أستطيع النوم في ساعة مبكرة ..

« وكان الليل قد انتصف منذ ساعة أو نحوها عندما انصرف عني الأخوان، وتركوني وحيداً...

« ووجدتها فرصة سانحة للتريض سيراً على القدمين ، والخلوة بصديقي العظيم ، القديم، البحر ...

«ومشيت ، ومشيت ، والأفكار تداعب صفحة ذهني كما تداعب أنسام الليل صفحة الأمواج.

« وطافت بي ذكريات في الماضي القريب والبعيد ... الشقي والسعيد ووقفت أتأمل أنوار الطريق في مرآة الخضم الزاخر ، الذي ألقى عليها الليل

(١) صحيفة الشعب ، ٢٤ أغسطس ١٩٥٧م .

وشاحه القاتم وتمتمت شفتاي دون قصد بقولي في وصف الصورة نفسها منذ سنين :

على المــاء قلبـي ، في نـاره وفي المساء ألسنة من لهب

« وامتد بصري إلى صفحة الماء ورأيت فيها ألسنة اللهب تتراقص ، كأنها عبارات مضطربة في سياق قصة حب خالد ...

« ثم نفذ بصري إلى حنايا ضلوعي : كان قلبي هناك : بلا نار ولا نور .. مجرد رماد بارد !..

« وضللت طريقي في زحام السنين ، والتي جرفني موكبها العامر أمام عين خيالي ، صورة بعد صورة ، وكلمة بعد كلمة ، وظلالا بعد أشعة ، وأصداء بعد أنغام .

« وودعت الليل الراحل إلى لقاء قريب ، ورحبت بالصباح الوافد لغير بقاء وقلت للبحر : هكذا حظك في الدنيا ، وحظي أنا ، ودوام الحال من المحال » .

وكتب تحت عنوان «الحساب الختامي» بمناسبة حلول عام جديد يقول [1] :

« لعل من أكبر مشكلاتي أنني أحب مناجاة أحداث الماضي ، أكثر مما أحب التطلع والتشوق ، إلى احتمالات أحداث المستقبل ، وأنني كثيراً ما أنسى نفسي ، بين غدي وأمسي .

« ومع اعترافي بخوفي من تعقيد الحياة ، وعزوفي الدائم عن وضع العثرات في طريق موكب أفكاري ، لا أجد مندوحة عن التساؤل والاستفسار ، لقد مضي عام كامل بأفراحه وأتراحه ، وأحداثه ، الكبار والصغار ، وأقبل على ، وعلى أعصابي وعلى عواطفي ، وعلى أصدقائي ، وعلى غير أصدقائي في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، عام جديد ، كلنا يرجو أن يكون عاماً سعيداً ، وكلنا يرجو أن تنبجس أيامه ولياليه ، عن خير شامل ، ونعمة سابغة ، وراحة بال ، واستتباب السلام العام ...

(١) صحيفة الشعب ، ٣ يناير ١٩٥٧م .

« فهل تصدق الأحلام ؟ من يدري ... لعلها تصدق ...

« إذا صدقت الأحلام ، فبها ، ونعمت .

« وإذا لم تصدق ، فلا حول ولا قوة .

« أحلامي ، وأحلامك ، لا يمكن أن تصدق جميعاً .

« آلامي، وآلامك ، لا يمكن أن تصدق جميعاً .

« مرحباً بالعام الجديد ، الذي لابد أن يحمل إلينا بعض الخير ، ولابد أن يروعنا ببعض الشر، لأنه لا يمكن أن يكون كله خيراً ، ولا يمكن أن يكون كله شراً ، فالدنيا دواليك ... يوم لك ويوم عليك ، وتلك سنة الحياة .

« في باكورة الشباب ، وفي ريعانه ، كنا نشيع العام الماضي فرحين مستبشرين، غير جازعين لفراقه ، ولا باكين عليه .

« وبعد الأربعين أصبحنا نبكي لفراق كل عام ذهب ونوجس خيفة من كل عام يقبل ، وهذا منطق من يراجع حساب الختام في نهاية كل عام » .

❖❖❖

وبعد ، فقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة شاعرنا نشاطاً ملحوظاً في مجال النثر ، فقد ترجم عدة كتب منها «فن الحياة » لأندريه موروا و«جان كريستوف» لرومان رولان ولخص كتاب «عظماء معاصرون» لتشرشل وترجم مختارات من شعر ميلتون وبعض كتب برناردشو ، بجانب مؤلفاته التي نشرت في مطالع شبابه وهي قصة «الله والشيطان» وهي أقرب إلى الحوار الفلسفي منه للقصة وديوانه اليتيم «قال الشاعر» الذي صدر في القاهرة عام ١٩٤٩ وكان شعره فيه يندرج تحت ثلاثة أبواب هي :

١ ـ مناسبات : يغلب عليها القصائد السياسية والحزبية مثل محنة العرب ـ مؤتمراً أريحا ـ الدستور والانتخابات ـ يا حمامة السلام ... إلخ .

٢ ـ خصوصيات : يغلب عليها الطابع العاطفي والوجداني مثل قصائد : أحزان البيان ـ الرسم المحترق ـ الدمية الحسناء ـ وحي راقصة ـ لوم .. إلخ .

٣ ـ أغاريد : وتجمع هذه القصائد بين الشعر العاطفي والشعر التصويري الوجداني مثل : الكرنك ـ فجر ـ حديث عينين ـ همسات ـ أنت ـ نداء الغروب ـ إليها وهي قصائد تغني بها كبار المطربين مثل الموسيقار محمد عبد الوهاب والموسيقار رياض السنباطي وأسمهان ولوردكاش ومحمد صادق .



المرأة في حياته

ملهمة قصة الأمس

كانت في حياة أحمد فتحي قصة حب كبير ... ألهمه أجمل قصائد الحب وأرقها في سنواته العشر الأخيرة ...

كان حباً تحوطه الأشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة وكان حباً عنيفاً عاصفاً دام بين مد وجزر لعشر سنوات كاملة ضاربين عرض الحائط بكل العقبات والأشواك التي تعترض حبهما العنيف .

يقول أحمد فتحي في بعض اعترافاته عن هذه التجربة :

« في هذه التجربة أحسست للحب طعماً ومذاقاً جديدين ...

« شعرت أنني أحيا حياتي من جديد ...

« كانت تبحث عن الحب مثلما كنت أبحث عنه والتقينا عند هدف واحد ..

« وتعانقت روحانا وشعرت يومها أنني كنت تائها بشراعي وسط محيط متلاطم وكانت هي المنار الذي أنقذني ..

« كانت علاقتنا تحوط بها الأسلاك الشائكة والألسنة الهامسة ...

« تحايلنا على الظروف ... كنا نلتقي وسافرنا إلى أراض بعيدة ، ثم عدنا مرة أخرى إلى القاهرة...

« ألهمتني شفتاها أجمل قصائدي ..

« وعلى صدرها ارتاحت أروع خواطري : وكانت كلها باسمة » .

وعاش شاعرنا هذه التجربة عشر سنوات كاملة ...

وأخيراً تغلب منطق العقل على صوت القلب والعاطفة فطلبت منه محبوبته الافتراق ، وقالت له:

ـ سأظل أذكرك دائماً ... ومن الجائز أن يكون الحرمان بالنسبة لك منجماً تستلهم منه أعظم أعمالك الأدبية ..

وافترقا وملء قلبيهما اللوعة والأسى .

واعتكف شاعرنا عن الناس ، يعايش وحدته القاتلة وليس له من صديق سوى الكأس والمصباح والذكريات ...

ألهمته قصيدته الوجدانية الرائعة « قصة الأمس » التي تنبض بالحرارة والصدق وحرقة الوجد والتي استلهمها من وحي هذه التجربة التي صهرته بالعذاب والتي يقول فيها :

أنا لن أعود إليك مهما
استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فإذا دعوت اليوم قلبي
للتصافي ، لن يلبي

❖ ❖ ❖

كنت لي أيام كان الحب لي
أمل الدنيا ودنيا أملي
حين غنيتك لحن الغزل
بين أفراح الغرام الأول

❖ ❖ ❖

وكنـــت عينـــي وعـــلى نورهـــا
لاحـــت أزاهـــير الـــصبا والفتـــون
وكنـــت روحـــي هـــام في سرهـــا
قلبـــي، ولم تـــدرك مـــداه الظنـــون

ثم يبلغ ذروة تأثره وعتابه لملهمته الظلوم ، فيقول :

وعـــدتني ألا يكـــون الهـــوى مـــا بيننـــا
إلا الرضـــــا والـــــصفاء
وقلـــت لي أن عـــذاب النـــوى
بـــشرى توافينـــا بقـــرب اللقـــاء

❖❖❖

ثـــم أخلفـــت وعـــودا
طـــاب فيهـــا خـــاطري
هـــل توســـمت جديـــدا
في غـــرام نـــاضر

ثم يطلق شاعرنا هذه الصرخة الحارة المتقدة من قلب حزين مكلوم على هذا الغرام الذاهب وهذا الحب الغارب :

فغرامـــــــــــــي راح
يـــا طـــول غرامـــي إليـــه
وانـــــشغالي في ليـــــالي
الـــسهد والوجـــد عليـــه

ثم تخفت النغمة في عتاب هادئ حزين :

وكنـــت روحـــي هـــام في سرهـــا
قلبـــي ولم تـــدرك مـــداه الظنـــون

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه لا يجد له أنيساً

إلا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي
وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي
يا لذكراك التي
عاشت بها روحي على الوهم سنينا
ذهبت من خاطري
إلا صدى يعتادني حينا فحينا
ذهبت من خاطري
إلا صدى يعتادني حينا فحينا

وتمر لياليه طويلة ممضة مفعمة بالجراح والأحزان تخايله أطياف الذكريات فتؤرقه في معبده الصامت :

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدي
وأمانيّ حسان رقصت في معبدي
وجراح مشعلات نارها في مرقدي
وسحابات خيال هائم كالأبد

وعندما تغنت أم كلثوم بهذه الأنشودة الرائعة بلحن رياض السنباطي الدسم عكف أحمد فتحي في غرفته يستمع إليها ويبكي وحيداً يعاني مرارة التجربة ويستنشق عبير الذكريات ..

وظل أحمد فتحي « شاعر الجراح والمصباح والأقداح » يحمل لهذا الحب أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة في حياته ...

كان عندي وليس بعدك عني
نعمة من تصوراتي ووجدي
يا ترى ما تقول روحك بعدي
في ابتعادي وكبريائي وزهدي

ثم تبلغ ذروة يأسه فيرجو محبوبه أن يعيش كما يهوي أما هو فسوف يعتكف وحيداً لا رفيق له سوى الجراح والمصباح والأقداح ونيالي السهر والوجد والشجن :

عش كما تهوى قريباً أو بعيدا

حسب أيامي جراحاً ونواحاً ووعودا

ولياليَّ ضياعاً ، وجحودا

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه لا يجد أنيساً له إلا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح والذكرى معي

وعيون الليل يخبو نورها في أدمعي

يا لذكراك التي عاشت بها

روحي على الوهم سنينا

ذهبت من خاطري

إلا صدى يعتادني حيناً فحينا



مأساة شاعر الكرنك

كان أحمد فتحي قد عانى منذ صباه ، ألم الحرمان من حنان أبويه اللذين رحلا عنه في صدر صباه الباكر ، ثم لم يلبث أن تقلب في أتون من عذابات القلق والحيرة والاكتئاب .

وطافت به مطالب العيش بين مختلف الأصقاع في غرب و شرق . وكان حظه من متاع الحياة أقل من القليل .

ولولا نوازع إنسانية في قلوب بعض من أحاطوا به لساء حاله عما كان عليه، فماذا تنتظر من هذا الشاعر الذي لقي من دهره كل هذا العناء من ضن النصيب وقسوة الحرمان ؟

عاش أحمد فتحي حياة قلقة مضطربة ، كما لو كان قارباً في محيط ، ضاع منه المجداف ، وانفصلت عنه دفته ، وتمزق من فوقه الشراع ...

وكان هو يطلب العلم في انجلترا (١٩٣٠ ـ ١٩٣٣) على نفس القدر من القلق والحيرة وهو في الأقصر (١٩٣٨) فلقد نشأ قلقاً منذ طفولته ولازمه قلقه الذي كان يسري مع دقاته حتى آخر يوم في حياته .

والقلق نعمة في صورة نقمة للشاعر الملهم . إنه من ذخائره من حيث لا يدري .. وهو من هواتفه من حيث ينحى عليه باللائمة وهو من قبل ومن بعد ، نار ونور ، يتلظى منها ساعة ، ثم لا يلبث أن تعكس حرقها نوراً على ما ينظمه من قصيد أو نشيد أو أغنية . إنه القائل :

نُوحي على قلق الغُصون ورَجِّعي
يا طيرُ آهاتِ الفؤادِ المُوجعِ
واستودعي الألحان مِنْ حُرق النوى
وشجونه ما شئت أن تستودعي

والنفس إذا استبد بها القلق والحيرة ، تنفس عن عنائها بالغناء تنظمه في شعر يفيض بالموسيقى العذبة الشجية .

والطير والغريب والمحروم والعاني ، سواءٌ في رقة ما يتغنون به . وكأنما تشاء قدرة الله وإرادته أن تعوضهم عما يعانون ، فتغدق عليهم من الملكات أروعها وهو الغناء والموسيقا .

وكان شعر أحمد فتحي في جملته يغني ، وترى ألفاظه وهي تصدح كأنها الوتر الحزين أو الكنار الشجي الباكي .

أنظره في هذه الموسيقا الشعرية :

قالوا يراعُكَ قد تنكَّب في القوافي قلت: إنه
ما فضلهُ إن لم يخلِّد مجد صاحبه وفنَّه
بالقافياتِ الرائعاتِ المُحدثات فُنونه

◆◆◆

كانت مأساة أحمد فتحي أنه لم يستطع أن يقيم توازناً بين أحلام قلبه وواقعه .. وكان دائماً لديه إحساس حاد بالاغتراب الروحي ، فعاش قلقاً حزيناً مشرداً في الأرض ، لا زوجة له ولا ولد ، ولا مال ولا صديق وفي ، لا ترى حوله إن شقي أو مرض أحد من ذويه ولا صاحب إلا الكأس، يرشفها في نشوة ، وتصرعه في قسوة .

ويلقى شاعرنا الأضواء على سر انغماسه في اللذة فيعلل سر أبيقوريته المنتشية المرحة ، فيقول[1] :

« إن تنشئني الموحشة قد ملأت قلبي ظمأ إلى أنس المجتمع ، ومباهجه السافرة ، كانت أيام شبابي الأولى ضروباً من الوحدة والضعف والألم ، وليس معنى هذا أنني كنت أحيا بمعزل عن سائر خلق الله ، كما تحيا الشجرة النابتة في

(١) أحمد فتحي ، الله والشيطان ، ١٩٣٩م ، ص : ٨ .

جوف الصحراء ، ولا معنى ذلك أنني نشأت مهيض الجناح معقل البدن ، ولا أنني كنت أعيش في بوتقة تنصهر فيها الدموع ... كلا ... ولكنني كنت في محيط أشعر في أعماقي أنه لا يمنحني من الحب بعض ما أمنحه ، وأرجو أن يمنحني ، وكان هذا يشعرني دائماً بأنني ضعيف بمن حولي ، فما كان بوسعي اعتبارهم قوة أصمد بها في وجه الأيام .

« وكان هذا الشعور يجعل حياتي معرضة لأحزان طائفة تغشى لحظات سعادتي على قلتها » .

من هنا كانت مأساة شاعر الكرنك ...

هرب إلى المرأة والكأس والسفر والحرب يحاول أن يجد فيها ملاذاً من أحزان قلبه وآلام روحه فتحطم ...

وكانت مأساة شاعر كبير حساس .

وفي سنواته الست الأخيرة (١٩٥٤ ـ ١٩٦٠) بلغت مأساته ذروتها ...

كان يذوب تدريجياً ...

كان في تلك الحقبة يعاني من علة الكبد ، وكان ساخطاً على الأدب والفن ، وقلة ذات اليد بالإضافة إلى أنه بين كل هذه العواطف وحيد لا زوجة ولا ولد ولا أهل .

وفي تلك الحقبة كانت الصدمة التي هزته من أعماقه هزاً عنيفاً ...

فقد قررت محبوبته اللمسة الحانية في حياته ولمحة الضوء في الأفق المظلم ـ قررت الافتراق عنه بعد حب دام سنوات ...

وأحس بالمرارة والضياع فلجأ إلى الليل وأهمل نفسه وصحته وهام بالعزلة وكلف بالوحدة وطفق يسرف في الشراب يدفن فيها أحزانه وانطوى على نفسه بعيداً عن المجتمع في وحدة قاسية ممضة لا رفيق له سوى المصباح والأقداح والذكريات :

يـــسهر المـــصباح والأقـــداح

والـــــــذكرى معـــــــي
وعيـــــون الليـــــل يخبـــو
نورهـــــا في أدمعـــــي

ثم راح يذوب تدريجياً ...

واشتدت عليه العلة ودخل المستشفى الإيطالي بالقاهرة وبعد أن خرج من المستشفى في شهر أكتوبر عام ١٩٥٩م خرج ومعه ذكرى لملاك أبيض رآه ... راهبة في ثيابها البيضاء زاهدة إلا من إنسانية لا تمن بها وإنما تحاول أن تعطيها وهي تحنو عليه مع جمال روح ورضاء نفس وابتسامة نقاء...

وكان أحمد فتحي يعيش في تلك الحقبة من حياته في جو من الروحانية والصفاء فكتب وهو على فراش المرض قصيدة بعنوان «أراهبة أم ملاك» يقول فيها[1] :

أجل والمسيح الحيِّ والجسد الفاني
لقد عاشَ في قلبي، مع الحبِّ، طيفان
رجاءٌ وشيكُ البُرء، ترقصُ روحهُ
بخفة مفتونٍ، ونشوة فنَّان
ويأسٌ قريرُ العينِ، يرنو خيالهُ
إلى جنَّة الفردوس، في العالم الثاني
فلا تجزعي، يا أختُ، إنكِ خاطرٌ
يُطلُّ على حَاني، ليسمَعَ ألحاني
وما الحانُ إلا معبدي، وبقُدسهِ

(١) الأهرام، ٢٨ أكتوبر ١٩٥٩م.

أقــيمُ صــلاواتي ، وأخلــو بــإيماني

وهبــتِ صــباهُ للــسَّماءِ ، فطهَّــرت

حمــاكِ ، فلــم يُـدنس ، بقــاصٍ ، ولا دانِ

وزُهــدك في دُنيــا الــورى ، ومتاعهــا

تُبلــورُ نفــسا ترتــضى كــلَّ حِرمــانِ

ويــا أخــتُ : هــذا الزهــدُ آيــةُ نعمــةٍ

مــن الله ، تــوحي باحتــسابٍ ، وغُفْــرانِ

فــداوى ســقام النَّــاسِ ، وابتــسمي لهــم

بِلطــفِ سَــماحٍ ، أو بــشاشة إحــسان

فــإن الثَّــوابَ الحــقَّ ، لــيس ينُالــهُ

ســوى قلــب وافٍ ، لا يــضنُّ بقُربــانِ

وعندما أقبل مطلع العام الجديد .. عام ١٩٦٠ م كتب قصيدة يكاد يرثي فيها نفسه .. والغريب أنه توفى في منتصف هذا العام بالذات ... يقول في هذه القصيدة [١] :

قــال لي ، والليــلُ يــسري بيننــا

نغــمٌ يــسري ، سُــؤالاً ، وجوابــا

مــا تــرى الأيــام ، في آثارنــا

مــسرعات الخطــو ، تنــساب انــسيابا ؟

مــا لنــا نُنكــر مــن موكبهــا

(١) الأهرام ، أول يناير ١٩٦٠ م : قصيدة «عام جديد».

أنـــه يـــدهمُ شـــيباً ، وشـــبابا

قلـــتُ: والفجـــر جبـــينٌ مـــشرقٌ

وجَنـــاحُ الليـــل في الأنـــوار ذابـــا

هكـــذا الـــدنيا ، وفي حالاتهـــا

حـــيرةُ الفكـــر ، يقينـــا ، وارتيابـــا

ذهـــب العـــامُ الـــذي روَّعنـــا

منـــهُ ، مـــا روع ، سُـــقماً ، وعـــذابا

مـــا تـــراني طمـــستْ آثـــارهُ

في خيـــالي لوعـــة ، الـــروح ، عقابـــاً

لم أعـــد أرجـــو ، ولا أخـــشى ، ولا

أحـــسب اليـــوم ، لأعـــوامي ، حـــسابا

وعندما اشتدت عليه العلة بجانب أحزان روحه في عامه الأخير (عام ١٩٦٠) كتب قصيدة عن رحيل الشتاء تفصح عن روح حزين ونفسية شقية تكشف عن أبعاد المأساة لشاعر في عنفوان رجولته ، يقول فيها [١] :

مـــالَ عنـــي الـــشتاءُ ، في شَـــفق العُمـــر

ومالـــت بشمـــسه الأنـــواءُ

رعـــدةٌ ، مـــن بـــرودةٍ ، وذبـــولٍ

مـــن جفـــافٍ ، قـــد طـــال فيـــه العنـــاء

وأعاصـــيرُ ذكريـــات ، كـــما تعـــوي

ذئـــابٌ ، يخـــافُ منهـــا الفـــضاء

(١) الأهرام ، ١٤ مارس ١٩٦٠م : قصيدة «وداع الشتاء».

وســـقام تـــدبُّ في جَـــسدٍ ذاوٍ

عليـــلٍ ، يـــسعى إليــه الفنـــاء

قـــال لي صـــاحبي : سَـــلِمتَ ، وهَـــلْ

يـــسلمُ ، طيـــف ، أعـــضاؤه أشـــلاءُ ؟

قلـــتُ : مـــالي وللربيـــع ، وروحـــي

غـــصنُ بـــان ، أوراقـــه صـــفراء

دع أزاهـــيرهُ ، لغـــيري ، ومـــا أكثـــر

مـــا تنتـــشي بهـــا الأهـــواءُ

ثـــم دعنـــي ، ووحـــدتي ، فلّعـــلي

تـــرحمُ الأرضُ وحـــدتي والـــسَّماءُ

لـــيس عِنْـــدي إلا الـــصَّدى ، ولَـــدىَ

النـــاس ، هتـــافٌ ، مُجلجـــلٌ ، وغنـــاءُ

وَبهـــم فَرْحَتـــي إذا فـــرحَ القـــومُ

ســـواءً إن أحـــسنوا ، أو أســـاءوا

وفي صيف عام ١٩٥٩م زار شاعرنا ملاعب صباه بالإسكندرية وذهب إلى شاطئ البحر يبثه همسات قلبه ونجوى روحه [(١)]:

قلـــتُ لمـــوج البحـــرِ: يـــا موكبـــاً

تـــراهُ عينـــي بـــين حـــينٍ وحـــين

أمواجُـــكِ الزرقـــاءُ تـــروي لنـــا

قـــصة حُـــبٍ عـــاش مـــلءَ الـــسنين

(١) الأهرام : ٧ يوليو ١٩٥٩ – قصيدة «همس الأمواج».

هــو الهــوى الخالــدُ ، يــسعى بــه

إلى ضــفاف الــشَّك همــسُ اليقــين

وهــو - عــلى قِلَّــةِ عِلمــي بــه -

آيــةُ جبــار الخطــى مــستكين

يــوحي إلى الــزورق أحلامــهُ

فَيهجــعُ الليــلُ وراء الــسُّكون

ولي ، شراعٌ ، ســابحٌ لونُــهُ

كلمحــةِ الفجــرِ يُــضيءُ العيــون

يهمــسُ للــشاطئ في رقَّــةٍ

تــذوبُ فيهــا عَــبراتُ الحنــين

مــا بــالُ هــذا الرمــلِ حبَّاتُــهُ

تــسمعُ مِنَّــا كــلَّ رَجْــعِ الــسِّنين

نــشكو إليهــا بــادرات الأســى

فــيما يكــون اليــومُ أو لا يكــون

ونــسكب الــسِّرَّ عــلى سَــمْعها

وقــد تــصونُ الــسرَّ أو لا تــصون

ورغم أن شاعرنا حاول أن يدفن في الكأس والشعر ذكريات غرامه الكبير لينسى إلا أن طيف الحب كان يطارد خياله في صحوه ومنامه ، فكتب يعاتب محبوبته بعد الفراق يقول (١) :

أنــا لــستُ أعفــو عنــكَ ، إنــكَ ظَــالمٌ

(١) الأهرام ، ١٦ أبريل ١٩٦٠ م : قصيدة «إليها».

والظلمُ لا أرضى ، ولا أخشاه

إن كان بي ضعفٌ إليكَ ، فقد مضى

عهدي به ، بشقائهِ ، ورضاه

أنت الذي أحرقتَ سِفْرَ غرامِنا

بجماله ، وضلالِه ، وهداه

ورسمت لي هذا الطريق ، فلم يَعُدْ

لي من طريقٍ في الحياةِ ، سِواهُ

أمضي به وحدي فَبعْدَكَ لم يكُن

لي ، غيرُ وحشته ، وطول ضناهُ

عَثراتُه لا تَنتهي ، وظلامُهُ

لا ينقضي ، وأقولُ : أين مداهُ ؟

مهما يَطُلْ بي السَّيرُ فيه ، فإنني

مترقبٌ لظلالهِ ، وصداهُ

ولكَ الثناءُ بما صنعتَ بمُهجتي

فلقد كشفتَ عن الفؤاد ، عَماهُ

وأعدتَ لي نفسي ، فكم من غائبٍ

قد ردَّ غُربته اشتدادُ جَواهُ

◆◆◆

ثم راح شاعر الكرنك يذوب تدريجياً .. حتى تحطم كشاعر ثم كإنسان ... وكما عاش وحيداً .. مات وحيداً في الغرفة التي قضى بها أعوامه الأخيرة بفندق كارلتون بوسط القاهرة .

وكانت العلة ـ علة الكبد من أثر الكأس ـ قد اشتدت عليه في عاميه الأخيرين ، وعاودته أكثر من نوبة حملته إلى المستشفى أكثر من مرة ، حتى كانت ليلة الأحد ٣ يوليو عام ١٩٦٠م حين أوى إلى غرفته بالفندق بعد منتصف الليل، وعاودته النوبة ، فاستنجد بطبيب من أصدقائه ، وجاء الطبيب ، فوجده قد أسلم الروح واستراح ...

ووجدت بجانب فراشه صورة ابنته الوحيدة «عائشة» البعيدة في لندن كما وجدت قصيدة على مكتبه ... كانت هي القصيدة الأخيرة التي كتبها ولم يجف مدادها بعد قبل رحيله ... وكانت قصيدة حب .. وكما بدأت حياته بالحب انتهت بالحب ، ورحل الشاعر وهو يهمس لمحبوبة قلبه الهاجرة :

أحبك جهد الحب ، بل فوق جهده

وأطوى إلى يوم اللقاء اللياليا

أحب خيالي فيك ، أبيض ناصعا

وأخضر ريان ، وأحمر قانيا

◆◆◆

مكانك عندي ليس عندي سوى المنى

بذلت قصاراها على الوصل ، والهجر

وعندي لك الدنيا ، فإن عدت

علينا الليالي ، فالمثوبة للصبر

◆◆◆

رمت بي إلى دنيا هواك المقادر

فلا أنا معذور ، ولا أنا عاذر

على أنها الأيام دارت مدارها

فلا أنا منهي ، ولا أنا آمر

وهكذا كان نصيبه من الدنيا .. الدنيا التي عاشها صفر اليدين .. وخرج منها صفر اليدين من كل شيء .. من المال ، ومن الحب ، وحتى من الذكرى .. إن الذين يذكرون أنشودته «الكرنك» وقصيدته «فجر» وقصيدة «قصة الأمس» الآن ، قد لا يذكرون اسمه .. أو يعرفون عنه شيئاً ..

لقد عاش أحمد فتحي لآخر لحظة من لحظات حياته - رغم أحزان قلبه وآلام روحه محباً للدنيا بكل ما فيها وبلغ توهجه مداه فاحترق فانطفأ ونغمات من الشعر على شفتيه ...

رحل شاعرنا في الثالث من يوليو عام ١٩٦٠ م وملء قلبه الحسرة والمرارة والأسى ودفن بمقابر الإمام الشافعي بالقاهرة .

تلك كانت ملامح مأساة شاعر عاش للحب وظل يغني للحب حتى آخر نسمة في حياته الخصبة العريضة ...

لقد كان شاعر الكرنك ، أحمد فتحي من أرق شعرائنا الرومانسيين ، عاش كالطائر الجريح : قلقاً ، حزيناً ، حائراً ، لا يجد للاستقرار سبيلاً أو للراحة معنى..

ومن هنا كانت مأساته ..

وقد قدمنا في الصفحات السابقة قصته مع الليل والمرأة والسفر والاغتراب الروحي .



مأساة شاعر المصباح والأقداح!!

كانت السنوات العشر الأخيرة في حياة أحمد فتحي سنوات معاناة نفسية وجسدية ومادية، مما أثار تعاطف كل أصدقائه ومعارفه ومحبيه، وقد بدأت محنته تلك بعد انتهاء عمله كمراقب للبرامج بالإذاعة السعودية بجدة وعودته إلى القاهرة حوالي عام ١٩٥٤ .

وقد اعتبر الشاعر السعودي حسن عبد الله القرشي عمله بالإذاعة السعودية إضافة مهمة كعنصر جديد ولخبرته ومواهبه وقوة شخصيته، فكان بارع الحديث، أنيس المجلس، طريف النكتة، كما كان راوية جيد للشعر العربي [١] .

وبعد عودته للقاهرة أقام في فندق كارلتون بشارع فؤاد (٢٦ يوليو) في غرفة خفيفة الأجر، ضئيلة القدر يعاني ضيق ذات اليد، وقسوة المرض .

ويذكر صديقه الشاعر الكبير صالح جودت (١٩٠٨ ـ ١٩٧٦) أن أحمد فتحي عاد إلى القاهرة وفي جعبته أخلاف مما كسب في السعودية لكنه ظل، كما كان طول حياته، متلافاً لا يحسب لما بين يديه حساباً، ولا يفكر في غد، أبداً فلم يتخذ له منزلاً يستقر فيه، ولم يعد يفكر في الزواج، بل جعل همه الكأس، لعله ينسى بها ما أهدر من شبابه، وما فقد من حبه الأول في عهد الصبا، وما عانى من حبه الأخير اليائس إذ هو في السعودية [٢] .

واتخذ مقاماً له في الغرفة رقم ١٤ من فندق كارلتون، وراح يقضي جل لياليه في حانة الفندق، مع نفر من الأصدقاء الذين أحبوه وعطفوا عليه وقدروا شعره، وجعلوا يدفعونه إلى الإنتاج دفعاً .

وفي هذه الفترة، استولت عليه السوداوية التي كانت تنتهي به في كثير من

(١) حسن عبد الله القرشي، عرفت هؤلاء، مؤسسة عكاظ الرياض ٢٠٠٧ .
(٢) صالح جودت، شاعر الكرنك، كتاب الهلال، عدد ديسمبر ١٩٧٣ .

الليالي إلى البكاء المر، كلما تذكر سلسلة الفشل التي اتصلت حلقاتها عبر حياته ، ونضبت أخلاف المال التي بين يديه ، فكتب إلى صاحبه الشاعر الأمير عبد الله الفيصل ، الذي استجاب له ، ووصله برفد شهري لا بأس به ، ولكن أنى لمثل هذا الرفد أن يواجه الحياة التي أراد شاعرنا أن يحياها عن سعة .

وهكذا وقع في الضائقة إثر الضائقة ، وعانى أكثر من موقف عصيب تجاه أصحاب الفندق حينما كان يعز عليه في بعض الأحيان أن يؤدي نفقات إقامته وطعامه وشرابه .

وقدمه بعض محبيه إلى المرحوم صلاح سالم ، وهو يومئذ المشرف على تحرير جريدة «الشعب» وأوصوه به خيراً ، ففتح له أبواب الرزق ، وفسح له مكاناً على صفحة الأدب بالجريدة .

لكن شاعرنا لم ينتظم في إنتاجه ، فلم ينتظم رزقه بالجريدة ، وظل يعاني أزمات المال فوق أزمات النفس حتى آخر يوم في حياته .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الفترة لم تخل من لمحات شعرية ، أكثرها عاطفي ، كانت صحيفة «الأهرام» تنشرها له على صفحتها الأخيرة ، ومنها قصيدته التي غنتها أم كلثوم والتي يقول مطلعها :

أنا لن أعود إليك مهما

.. استرحمت دقات قلبي

أنت الذي بدأ الملالة

والصدود وخان حبي

فإذا دعوت اليوم قلبي

للتصافي لن يلبي

لا ... لن يلبي

◆◆◆

وقد أبدع الموسيقار رياض السنباطي في تلحين هذه الأنشودة أيما إبداع ، وشدت بها أم كلثوم فبلغت الذروة في لقاء من اللقاءات النادرة بين الكلمة الرفيعة واللحن الرائع والصوت المعجز.

فماذا كان نصيب صاحبنا من هذه الأغنية ؟

لقد حققت له حلماً من أجمل أحلام حياته ... حلماً طالما راوده في فترة شبابه الأول ... حينما خذله عبد الوهاب ـ بعد أنشودة الكرنك ـ فأبى أن يغني له قصيدة «البحيرة» .. فاتجه يومئذ إلى أم كلثوم ينتقم بها من عبد الوهاب ، وبعث إليها بأكثر من أغنية .

ولكن أم كلثوم خذلته هي الأخرى في ذلك العهد ، عهد الشباب الأول .

ثم ها هي ذي تعود في أيامه الأخيرة فتغني له هذه الأنشودة العذبة .

ويسترد شاعرنا كل ما فقد من أمل ، ويحس أن القدر قد ابتسم له بعد طول عبوس ، ويبعث إلى أم كلثوم بقصيدة أخرى ، فلا تستجيب له هذه المرة ، فيعاود الكرة مع عبد الوهاب ، ولكن أبواب عبد الوهاب تقف صماء أمام مطلبه .

أما نصيبه المادي من هذه الأغنية ، فلا يزيد على خمسين جنيهاً ، ينفقها في غمضة عين ، ويعود إلى حانته ليغرق همه في الكأس ، ويستسلم لموجة قاتلة من اليأس .

ويصعد ذات ليلة ، هي ليلة ٤ يوليو عام ١٩٦٠ ، إلى غرفته رقم ١٤ بفندق كارلتون ، ويحس أنه متعب مكدود ، ويحاول أن يظفر بأحد من أصدقائه الأطباء، فلا يجد منهم أحداً .

ويصبح صباح حزين ...

أما السفير الشاعر أحمد عبد المجيد (١٩٠٥ ـ ١٩٨٠) فيسترجع بعض ذكرياته وانطباعاته عن شاعر الكرنك فيقول [١] :

---

(١) محمد رضوان ، رحلتي مع القلم ، سقط ١٩٨٥ .

«كان يكتم في نفسه ما يراه من حوله من ثراء ينعم فيه من لم يكد في تحصيله، أو يشقى كشأنه، في تحصيل بعض فتاته.

وما سمعته يوماً ينفس على إنسان حظه من السعادة ، أو يتطلع إلى ما في يد غيره ، ما دام هذا قسمه ، ونصيبه من الرزق المقسوم ، ولم أكن ألقاه إلا في فترات متباعدة ، كلما حللت بالقاهرة في عطلة من عملي ، وكان هو منحازاً إلى نفسه وإلى جماعة ضيقة من الأصدقاء ، وكان يختارهم بذوقه الرفيع ، وكأنما هم بعض ملبسه الذي يحب أن يتأنق به .

ولم أكن أحس معه بمرور الوقت ، الذي كنا نقطعه في الحديث عن شعر الأولين والمحدثين ، وعن الجديد مما نظم أو كتب أو قرأ .

وهو كما قدمت ، في عنايته باختيار أصدقائه ، فكان هذا هو شأنه في اختيار ما يقرأ ، في اللغة العربية أو الإنجليزية ، وكأنه النحلة التي لا تروم إلا رحيق الزهر غذاء . وأشهد أني ما سمعته يتناول أحداً في غيبته بسوء ، بل لقد كان ينبري لرد من يقوم على ذلك ، ورجائه في أن يدعنا فيما نحن فيه من شأن !

وكنا نتراسل وأنا بعيد المزار عن مصر وأبدي له ما يعن لي من رأي فيما يكتب ، فكان يتلقاه بالعناية والدرس والتحليل والتعليق .

وكان يحدثني عن حبه حديث المكتوي بجواه في رضا بحظه الذي هو مقسوم له في كل مناحي الحياة .

ولم يكن ليرضى بجور الحبيب ، إلا من قبيل الدخول في تجربة تنصهر في بوتقتها روحه الهائمة، تعكسها فيما ينظم أو يكتب .

وكان يعتقد أن الحب واجب حتم على كل شاعر أن يذوقه ويصلى ناره حتى يرق شعوره ، ويصفي شعره وترسخ في أعماقه معارف من هذه العاطفة التي تولد معنا بدرجات ونسب مختلفة .

ولقد قيل لشاعر عربي ، لم سكت عن نظم الشعر ، فأجاب بأنه قد غدا «لا يحب ولا يكره ولا يثار» ، وهو لا يقول الشعر إلا في واحد مما ذكر .

وقد أطلق أحمد فتحي لنفسه العنان في انتهاب اللذات بنهم ، لا اعتدال فيه! فقد كان شعاره في الحياة :

مـا مـضى فـات والمؤمـل غيـبٌ   ولـك الـساعة التـي أنـت فيهـا

لقد كان يشكو لي فقد المذاق في كل ما يرى أو يحس أو يأكل أو يشرب ! وكنت لا أملك نصحه وأنا أعلم أن نصحي ذاهب مع الريح ، أو هو قبض الريح إن استطعت إلى ذلك سبيلا!

وكنت في كل ليلة ألقاه فيها ، أفتح عيني في صباحها على السؤال عنه ، من توقعي ما كان يوده، وما كنت أخشاه ، حتى انتهي إلى بعد سنوات قليلة ، نبأ وفاته وأنا بعيد المزار عن مصر ، لا أملك إلا الأسى والحسرة على فقده ، والإشادة بمآثره .

◆◆◆

أما الأديب كمال النجمي فيقدم لنا هذه الصورة الأدبية لشاعر الكرنك وبعض ذكرياته عنه[1]:

« قبل أربعين عاماً كنت أسكن في «نزل» أو في «بنسيون» كما يسمونه بالإفرنجية ، يتوسط شارع سليمان باشاً في القاهرة «اسمه الآن شارع طلعت حرب» ، وكان مسكني هذا في الحي الذي يسميه القاهريون «وسط البلد» ، حيث تحتشد المسارح ودور السينما والفنادق والمتاجر والمطاعم والمقاهي ، وتسهر المدينة إلى ما بعد منتصف الليل .

كان هذا الحي - حينذاك - يتلألأ بالأضواء ، وتنطلق في شوارعه ليلاً أسراب الحسان من مصريات وأجنبيات ، حتى أطلق عليه الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك : « جنة العشاق » .. وقال إن ملتقى شارع فؤاد الأول « اسمه الآن شارع ٢٦ يوليو» مع شارع عماد الدين ، هو أجمل مكانٍ في العالم ، وأنه عاش في باريس سنوات طوالاً فلم ير فيها أجمل من ذلك المكان ، أو ذلك الملتقى ...

(١) مجلة سطور ، شاعر الخورنق (كمال النجمي) يناير ١٩٩٧ .

كان ذلك في الماضي البعيد ، أما الآن فقد أخنى الزمان على «وسط البلد» .. واختفت الطبقة الوسطى المثقفة التي كانت روح عمرانه وازدهاره ليلاً ونهاراً .. وانتقل «وسط البلد» الجديد إلى مجموعة الفنادق ذات النجوم التي تحيط بشاطئ النيل ، وفي هذا الوسط الجديد تتألق الطبقة الجديدة كل ليلة ، بعد أن اختفت من الوجود جميع مقاهي وسط البلد القديم وجميع مطاعمه ومشاربه ، وأناخ الزمان بكلكله على كل شيء هناك !

وكان لي أيامئذ صديق ينزل بفندق يسمى «كارلتون» على مقربة من البنسيون الذي أسكنه ، فكنت أزوره من وقت إلى آخر ..

وذات ليلة رأيت كهلاً مديد القامة يدخل الفندق ثم يدلف إلى الأسانسير » صاعداً فقال لي صاحبي : هذا أحمد فتحي الملقب بشاعر الكرنك ، ينزل في غرفة مجاورة لي في هذا الفندق ..

كان أحمد فتحي قد عاد إلى القاهرة حينذاك واستقر فيها - بلا عمل - بعد أن عمل سنوات في إذاعة إحدى الدول الخليجية .. وقال لي صاحبي إن «شاعر الكرنك» عاد من هناك بقليل من المال، ولكنه يبسط يده ببذخ كأنه من أصحاب الملايين ، ويجلس كل ليلة في «بار الفندق» يشرب كثيراً ، ويدخن كثيراً ، ويسهر الليل بطوله وعرضه ، ويعيش حياته بين السهر ليلاً والنوم نهاراً ..

ولم يكن «شاعر الكرنك» أيامئذ يزيد على الخامسة والأربعين من عمره ، إلا أنه يبدو كأنه في الخامسة والستين من عمره ، لفرط إسرافه على نفسه في السهر والشراب والدخان ، وإنفاقه من صحته بغير حساب ، فضلاً عن إنفاقه المال إنفاق من لا يبالي بما يجيء به الغد !

رأيت «شاعر الكرنك » بعد ذلك عند صديقه وصديقنا الشاعر «صالح جودت» في المؤسسة الصحفية التي أعمل بها - دار الهلال - وجلست إليه في مكتب «صالح جودت» مرتين أو ثلاثاً ، وكان يحضرنا أحياناً الشاعر عبد الرحمن صدقي ، وأحياناً الأديب الفنان أنور أحمد الذي أدى دور الزعيم مصطفى كامل باشا في فيلم سينمائي حمل اسم هذا الزعيم وشاهده جمهور

الخمسينيات ..

أما آخر مرة شاهدت فيها شاعر الكرنك فلم تزد على لحظة في مدخل دار الهلال بعد أن غنت له أم كلثوم قصيدته التي لحنها رياض السنباطي ، وبدايتها :

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي ..

أنت الذي بدأ الملالة والصدود وخان حبي !

.. وما زالت هذه القصيدة تذاع ويطلبها المستمعون من برامج الإذاعة حتى الآن .. ولكن هذه نهاية القصة ، فقد توفي أحمد فتحي بعد أن غنت له أم كلثوم هذه القصيدة بمدة قصيرة أنفق خلالها أجره الذي تقاضاه عن القصيدة ، وهو خمسون جنيهاً مصرياً ، وكان أجراً جسيماً في حينه!..

اشتهر أحمد فتحي بلقب «شاعر الكرنك» بعد أن غنى له محمد عبد الوهاب قصيدة الكرنك التي يقول في مطلعها :

حلم لاح لعين الساهر ... وتهادى في خيال عابر

... وكانت هذه القصيدة (سنة ١٩٤١) حدثاً فنياً مشهوداً ، ولبثت الإذاعة تبثها بلا انقطاع حتى انصرف عنها الجمهور بعد سنوات ..

ظن أحمد فتحي بعد أن غنى عبد الوهاب قصيدته هذه أنه سيواصل غناء قصائده كما تفعل أم كلثوم مع قصائد أحمد رامي مثلاً ، ولكن عبد الوهاب أغلق أبوابه في وجه الشاعر المتفائل، وصدمه بانصرافه عنه ، فانهارت أحلامه التي راودته وقال يومئذ إن الزجال الغنائي «حسين السيد» هو الذي أساء إليه عند عبد الوهاب وأغراه بالانصراف عنه ، وكان عبد الوهاب يستجيب لكلام حسين السيد لأنه ينظم له الأغاني مجاناً ، بل يزيد عليها إهداءه لعبد الوهاب أقفاص الفواكه والطيور ، لأن حسين السيد كان من تجار الطيور والفاكهة ، وكانت أقفاصه المليئة بالمانجو والتفاح والكمثرى والحمام والدجاج لا تنقطع عن بيت عبد الوهاب ! ..

هكذا قيل وقتذاك ، وهكذا قال أحمد فتحي ، وامتلأ يأساً من عبد الوهاب ،

وضاع ذلك الأمل الذي بعثته فيه قصيدة «الكرنك» التي كتبها وهو جالس أو واقف بين أطلال معبد الكرنك في مدينة الأقصر الأثرية المشهورة.

وكان أحمد فتحي قد أقام في الأقصر مدة، لا سائحاً يتأمل الآثار ويستوحيها، ولكن موظفاً مطروداً من القاهرة على إثر معركة بينه وبين رئيسه في العمل..

ذلك أن أحمد فتحي كان مدرساً في مدرسة «الفنون والصنائع» بحي العباسية في القاهرة، ولم يصل إلى هذه الوظيفة إلا بصعوبة بعد أن تخرج في مدرسة الفنون التطبيقية، وكانت في عهدها القديم مدرسة متوسطة، وهي الآن كلية تابعة لجامعة حلوان، واضطر قبل أن يظفر بهذه الوظيفة أن يعمل كاتباً في جمرك الإسكندرية ثم ساعده بعض ذوي النفوذ فحصل على وظيفة التدريس بتلك المدرسة...

انغمس شاعر الكرنك في الحياة الليلية حتى أضناه السهر مع الدخان والشراب وما بينهما، واهتزت أعصابه فأصبح حاد التصرفات والألفاظ، فلم يكد «ناظر المدرسة» يوجه إليه بعض الملاحظات حتى اشتبك معه في معركة حامية انتهت بقرار من وزير المعارف بنقله مغضوباً عليه إلى الأقصر، وبينها وبين القاهرة مسيرة أربع وعشرين ساعة بقطار السكة الحديدية «نصف السريع أو نصف البطيء»!.

يقول صديقنا الشاعر صالح جودت رحمه الله، في كتابه الموجز عن شاعر الكرنك:

« من وحي هذه الأحجار الجاثمة، والأطلال القائمة، نظم قصيدته «أنشودة الكرنك» التي أصبحت أظهر أعمال حياته في نظر الناس.. ومن يدري لعله لو لم يذهب إلى الأقصر، ولو لم يستوح هذه الأحجار الجاثمة والأطلال القائمة، ما عرف الناس شيئاً من أمره، ولا سمعوا بيتاً من شعره»!

لم يجد أحمد فتحي شيئاً يعمله بعد فراغه كل يوم من التدريس بالمدرسة الصناعية إلا الطواف بتلك الأطلال في قصر «آمون» الذي سماه العرب

«الخورنق» وسماه السيّاح الأوروبيون «الكرنك» وهو تحريف اسم «الخورنق» الذي أطلقه عليه العرب تشبيهاً له بقصر الخورنق المعروف في بلاد العرب قديماً..

وسهر ليلة عند الخورنق أو الكرنك، ثم عاد إلى مسكنه وقد استوحى الأطلال حلماً من أحلام الشعر، وانطلق يكتب ذلك الحلم في أنشودة شعرية، من بحر «الرمل» - بفتح الميم - مقسمة إلى كوبليهات، وكأنه دون أن يقصد، يعدها للتلحين والغناء:

حلـــم لاح لعـــين الـــساهر وتهـــادي في خيـــال عـــابر

وهفـــا بـــين ســـكون الخـــاطر يـــصل المـــاضي بـــيمن الحـــاضر

طـــاف بالـــدنيا شـــعاع مـــن خيـــالي حـــائر يـــسأل عـــن سر الليـــالي

يـــا لـــه مـــن سرِّهـــا البـــاقي ويـــالي لوعـــة الـــشادي ووهـــم الـــشاعر

.. اكتملت القصيدة عشرة «كوبليهات» ولم يفكر الشاعر في إرسالها إلى الإذاعة لكي تأخذ طريقها إلى هذا الملحن أو ذاك، ثم إلى هذا المطرب أو ذاك ممن تتعامل معهم الإذاعة باعتبارهم «معتمدين» رسمياً من لجان الاستماع التي كان من أعضائها أم كلثوم وعبد الوهاب..

في ذلك الوقت كان الشاعر قد بلغ الحادية والأربعين من عمره دون أن يغني له أحد المطربين أو المطربات، إلا «محمد صادق» وهو مطرب متوسط الشهرة، مع أن الأمنية الكبيرة التي يرى الشاعر نفسه جديراً بتحقيقها هي أن يغني شعره محمد عبد الوهاب كما غنى شعر زميله خريج مدرسة الفنون التطبيقية «على محمود طه» فصار هذا الشاعر بين يوم وليلة أشهر الشعراء عند الجمهور، وانتشرت قصيدته «الجندول» على ألسنة الشبان والشابات في كل مكان..

وفي هذا الوقت بالذات جاءته رسالة من صديقه الأديب أنور أحمد - وكيل النائب العام المقيم في القاهرة - وكأنما نبهته الرسالة إلى شيء كان غائباً عنه،

فكيف لم يرسل الشاعر قصيدته الأقصرية هذه إلى الإذاعة المصرية في القاهرة ، لعله يتلقى أجراً عن بعض القصائد أو عن واحدة منها فقط ، فتنفرج ضائقته المالية ؟! وكان أجره عن القصيدة في سنة ١٩٤٠ ثلاثة جنيهات ، ولم يكن أجراً ضئيلاً ، فالجنيه في ذلك الحين كان يساوي مائة من جنيهات الأيام الراهنة ! ...

تردد الشاعر قليلاً ثم حزم أمره وأرسل قصيدته إلى سعيد بك لطفي مدير الإذاعة المصرية ، وكان سعيد معجباً بالشاعر مشجعاً له ، وقد مهد له من قبل الطريق إلى ميكروفونها ليلقى فيه بعض أشعاره ..

قرأ سعيد بك لطفي - وهو شقيق أحمد لطفي السيد باشا الملقب بأستاذ الجيل - قصيدة الشاعر، واتصل بمحمد عبد الوهاب وقرأها عليه ، وقال له إنها - من وجهة نظره - تبدو كقصيدة «الجندول» التي نالت نجاحاً جماهيرياً واسعاً .

قال عبد الوهاب - بعد أن سمع القصيدة ، إنها - فعلاً - تصلح للغناء ولكن بعد إجراء تعديلات في بعض ألفاظها ، وحذف معظم كوبليهاتها العشرة .

أعاد سعيد بك لطفي قصيدة الكرنك إلى أحمد فتحي في الأقصر وطلب إليه إدخال التعديلات المطلوبة ، ولكن لم يخبره أن عبد الوهاب هو الذي سيغنيها !

سارع الشاعر إلى إجراء التعديلات على قصيدته وانتظر أن ترسل إليه الإذاعة أجرها وقدره ثلاثة جنيهات !

وذات ليلة كان يجلس في المقهى وحيداً ، وإذا بالراديو يعلن أن عبد الوهاب سيغني في تلك الليلة أغنية جديدة تسمى «أنشودة الكرنك» !

لم يعرف الشاعر أن هذه أنشودته إلا بعد أن غنى عبد الوهاب الشطر الأول من البيت الأول : «حلم لاح لعين الساهر» .. وفاته في غمرة الدهشة أن يتبين أن المذيع قد ذكر اسمه كمؤلف لهذه الأنشودة !

فجأة وجد أحمد فتحي نفسه وقد صار من أشهر مؤلفي الأغاني ، وتلقى من الإذاعة خمسين جنيهاً ثمن أنشودة الكرنك ، لأن الذي غناها عبد الوهاب وليس مطرباً آخر من فئة الجنيهات الثلاثة !

وسافر أحمد فتحي إلى القاهرة باحثاً عن «واسطة» تنقله إلى القاهرة ليكون دائماً على مقربة من الإذاعة ومن عبد الوهاب ، وربما أم كلثوم أيضاً ، وظفر بعد جهد بنقله إلى «الفيوم» وهي تبعد عن القاهرة مسافة ساعتين فقط بالسيارة بينما تبعد الأقصر أربعاً وعشرين ساعة بالقطار ..

لقد ظن الشاعر أن أنشودة الكرنك يمكن أن تفتح له أبواب الوظائف الدسمة ، ولكنه لم يحصل إلا على وظيفة «أمين متحف السكة الحديد».. وهي خير من وظيفته القديمة على كل حال!..

نظم الشاعر قصيدته الجديدة وقدمها إلى عبد الوهاب ، متوسلاً إليه بشفاعة صديقه سعيد بك لطفي مدير الإذاعة ، ولكن عبد الوهاب رفض هذه القصيدة كما رفض كل قصيدة أخرى تقدم بها إليه الشاعر برغم شفاعة سعيد لطفي ..

عندئذ قال الشاعر : لن أعرض أي شيء آخر على محمد عبد الوهاب فقد ثبت لي «فساد ذوقه» في الشعر ، ويكفيه أن يغني لصديقه تاجر الفاكهة والدواجن حسين السيد ، وربما لمأمون الشناوي أيضاً وهو مجرد زجال ! ..

انهارت أحلام الشاعر في الثراء والمجد عن طريق تأليف الأغاني ، وأدرك أنه لن يبلغ شهرة أحمد رامي ولا شهرة علي محمود طه ، ولن يستطيع مجاراة حسين السيد ومأمون الشناوي في تأليف الأزجال لعبد الوهاب ، فاتجه إلى فريد الأطرش وأعطاه قصيدة تقول :

يا لعينيك ويا لي ... من تسابيح خيالي
فيهما ذكرى من الحب ... ومن سهد الليالي

.. مضت مدة دون أن يعرف مصير القصيدة ثم التقى برياض ذات ليلة فقال له رياض إن أسمهان أعطته قصيدته «يا لعينيك ويا لي » ليلحنها لها ، فطار الشاعر من الفرح ، فها هو ذا باب الأمل ينفتح أمامه من جديد !

لكن باب الأمل أغلق مرة أخرى بعد أن غنت أسمهان هذه القصيدة ، وفشل الشاعر فشلاً ذريعاً في الوصول إلى بلاط أم كلثوم في ڤيللتها بالزمالك ، الموصدة الأبواب !

كانت الحرب العالمية الثانية قد اشتدت معاركها في تلك الآونة ، والتحق بخدمة قوات «الحلفاء» - كما كانوا يسمونها - كل من كان يجيد الإنجليزية في مصر ، ومن بينهم شاعرنا هذا الذي كان يجيد الإنجليزية .

وبعد الحرب عين مترجماً ومذيعاً بالإذاعة العربية في لندن ، وقضى هناك عامين ، ثم ترك الإذاعة وتقلب في الأعمال الحرة حتى إنه افتتح هناك مكتباً للاستيراد والتصدير ! ..

لم يفلح الشاعر في وجهته الجديدة هذه ، فعاد إلى مصر وليس في جيبه من المال ما يكفيه شهرين أو ثلاثة ، وكان من الممكن أن تطحنه الأزمة طحناً لولا أن قدره أمير عربي كريم تقديراً خاصاً وأعفاه من مذلة الحاجة .

ولكن الشاعر البوهيمي الذي نقل مقر إقامته من مصر إلى البلد العربي ، لم يستقم هناك على الجادة ، فرفضوا أن يجددوا له الإقامة .. وعاد مرة أخرى إلى مصر وكأنه مطرود من هناك ، بل كان مطروداً فعلاً ! ..

عاد بثروة قليلة ، وأقام في فندق كارلتون بجوار البنسيون الذي حدثتك عنه، وأنفق بلا حساب وصارت الغرفة رقم ١٤ من ذلك الفندق مزاراً لأصدقائه، ولكن المال تبخر من يديه بسرعة، وانفضّ عنه أصدقاؤه ، ونسوا الغرفة رقم ١٤ وصار عاجزاً عن الوفاء بأجرتها كل ليلة، فضلاً عن عجزه عن ثمن الطعام والشراب !

ووسط هذا الضنك نظم قصديته التي أولها : «أنا لن أعود إليك» ونشرتها جريدة الأهرام ، وإذا برياض السنباطي يتصل به ويبشره بأن قصيدته هذه نالت إعجاب أم كلثوم وأنه - أي السنباطي - سيلحنها لها ! ..

قبض الشاعر ثمن قصيدته خمسين جنيهاً فأنفقها في ساعات ، وعندما جلس قبالة الراديو ليسمع أم كلثوم تغني قصيدته لأول مرة في حفلتها الشهرية كان مفلساً تمام الإفلاس ، مفتقراً إلى ما يكفيه من الطعام والشراب !

لقد تهدم الشاعر معنوياً وجسدياً ولم يعد له في الحياة مأرب ولا هدف ، فلم تفلح قصيدته التي غنتها أم كلثوم في انتشاله من الهوة التي تردّى فيها ، وصار

أطلالاً كقصر الخورنق أو قصر الكرنك ، وصار بعضهم يسميه «شاعر الخورنق» سخرية أو إشفاقاً ، أو إعجاباً تختلط فيه السخرية بالإشفاق ! ..

وفي إحدى ليالي شهر يوليو ، تموز سنة ١٩٦٠ داهمته أزمة قلبية وهو راقد على فراشه في الغرفة رقم ١٤ بالفندق ، فحاول أن يستنجد بطبيب يعرفه ، ولكن الطبيب لم يصل إلا بعد أن فارق الشاعر الحياة .

كانت سلسلة طويلة من الفشل تلك التي اختنق بها الشاعر منذ عمل في الجمرك ثم في المدارس الصناعية ثم في متحف السكة الحديدية ، ومنذ غني عبد الوهاب قصيدته «الكرنك» ورفض أن يغني له قصيدة أخرى ، ثم بعد أن غنت له أم كلثوم إحدى قصائده ...

ترى .. ماذا كان يحدث للشاعر لو أن عبد الوهاب لم يغلق أبوابه في وجهه بعد قصيدة الكرنك؟! ..

إن مأساة الشاعر أحمد فتحي كلها تعلقت على إجابة هذا السؤال ، ولما غنت له أم كلثوم كان قد وصل إلى النهاية ، ووراءه سبعة وأربعون عاماً عاشها يتقلب على الجمر ، من مصر إلى شمال إفريقيا إلى لندن إلى الخليج إلى الغرفة رقم ١٤ التي انسدل فيها عليه الستار الأخير ! .



غنائيات أحمد فتحي

كانت لقصائد أحمد فتحي بما تحمله من موسيقا عذبة ، وكلمات موسقة دور كبير في أن يتغنى بها عدد كبير من مطربي ومطربات عصره منذ ثلاثينيات القرن العشرين ، ويلغت ذروة تلك الغنائيات بغناء الموسيقار محمد عبد الوهاب لقصيدته «الكرنك» سنة ١٩٤١ ، وغناء الموسيقار رياض السنباطي لقصيدة «فجر» سنة ١٩٤٤ ، وغناء كوكب الشرق أم كلثوم لقصيدته «قصة الأمس» سنة ١٩٥٨ .

والشيء الملفت للنظر أن صداقته الحميمة للموسيقار رياض السنباطي أثمرت تلحينه وغناءه لعدد كبير من قصائده أصبحنا لا نكاد نسمعها، ولا ندري مصيرها، هل توجد في سجلات الإذاعة ، أم ضاعت واختفت؟ ومنها قصائد «النيل» ، «همسات» ، و«حديث عينين» ، وبصرف النظر عن أزجاله بالعامية التي تغنى بها عدد من المطربين والمطربات، فإن قصائده المغناة على لهاة أسمهان «حديث عينين» سنة ١٩٣٩ ، ولور دكاش «الأيام» ، وغيرها قد سجلت اسمه كشاعر غنائي مرموق ترك بصماته على تاريخ الغناء المصري والعربي المعاصر ، ويكفي أننا حتى الآن مازلنا نطرب لغنائياته الشعرية بأصوات عبد الوهاب ، وأم كلثوم ، ورياض السنباطي ، وأسمهان .

وقد روى لنا الباحث القدير د. نبيل حنفي محمود حكاية أحمد فتحي مع الشعر الغنائي، ودوره في الغناء المصري والعربي المعاصر ، فقال: «لست أدري في أي عام من خمسينيات القرن العشرين عندما استمتعت من إذاعة القاهرة بعد ظهر يوم خميس، وقبل نشرة الثانية والنصف إلى صوت محمد عبد الوهاب يردد بأسى غامض أغنيته الخالدة «الكرنك» ، فشفني حزن وشجن عجيبان، لم أدر يومها سببًا لهما ، هل كان لحن محمد عبد الوهاب للأغنية والذي جاء من مقام الكرد الشرقي المغرق في الشجن هو السبب؟ أم أن كلمات أحمد فتحي شاعر

الأغنية من نوعية «طاف بالدنيا شعاع من خيالي / حائر يسأل عن سر الليالي» التي تلهب المشاعر هي مصدر الحزن والشجن؟ أم تراه صوت محمد عبد الوهاب الذي بلغ في عام ١٩٤١- ويوم أن سجل هذه القصيدة للإذاعة - أوج تألقه ونضجه هو ما أحزنني وأشجاني؟ ولكنني وبتقدمي في العمر وتفتح مداركي، أيقنت - ومنذ عهد ليس بالقريب - أن ما ينتابني حتى الآن من حزن وشجن حال استماعي لتلك القصيدة الرائعة ، إنما يرجع إلى تلك الأسباب الثلاثة مجتمعة ، وبشكل ما أصبح اسم ناظم تلك القصيدة: الشاعر أحمد فتحي مرتبطًا في مستويات الوعي عندي بالأسى والحزن والشجن.

النشأة والتكوين:

ولد أحمد فتحي بالإسكندرية في الثاني من أغسطس عام ١٩١٣م ، كان والده الشيخ إبراهيم سليمان - وهو من علماء الأزهر - ينحدر من أسرة فايد ذات الأصول العربية ، والتي استقرت بقرية كفر الحمام، وهي إحدى قرى مركز القنايات بمحافظة الشرقية، وقد انتهى المطاف بالشيخ إبراهيم في منصب شيخ معهد الإسكندرية الديني حال ميلاد ابنه أحمد فتحي ، كانت والدة أحمد فتحي هي الزوجة الثانية للشيخ إبراهيم ، وقد تزوجها الشيخ بعد وفاة زوجته الأولى، ولما كان الشيخ إبراهيم وفديًا ، فقد تفتحت عينا الصغير أحمد فتحي في سنوات ثورة ١٩١٩م ، وما تلاها من سنوات على غارات رجال الشرطة الليلية ، وهي تقتحم منزل والده ، وذلك بسبب ما يردده الشيخ إبراهيم في مجالسه من هجوم على القصر.

تدرج الفتى أحمد فتحي في تعليمه بالإسكندرية من المدرسة الابتدائية وحتى المدرسة الثانوية ، ولكنه أخفق في الحصول على شهادة «الكفاءة» بعد وفاة والده في عام ١٩٢٨م ، حيث مثلت وفاة الشيخ إبراهيم سليمان نقطة التحول الأولى في حياة أحمد فتحي، وقد عبر البعض من أقاربه عن هذا التحول بقولهم: «إنه - بعد وفاة والده - انحرف عن جادة الصواب، وبدأ يمارس لذاته الحسية، ويصاحب الكأس وهو ابن خمسة عشر عامًا ، فتعثر في دراسته، ولم يظفر

بشهادة «الكفاءة» على تواضعها[1].

وإزاء ذلك التحول.. ألحقه خاله: أحمد حسن – الذي كان يعمل أيامها مديراً لجمرك الإسكندرية بمدرسة الفنون التطبيقية ، حيث حصل على دبلوم صناعي متوسط بتخرجه منها عام ١٩٣٠م ، ليقوم خاله بتعيينه بعد ذلك في إحدى الوظائف بجمرك الإسكندرية.

ورث أحمد فتحي موهبته كشاعر عن أسرته ووالده، فقد عرف عن آل فايد حبهم للشعر وقرضهم بطبيعتهم له جزلا سليم الأوزان والقوافي ، وأما والده: الشيخ إبراهيم سليمان فقد أثر عنه حب الأدب ومعالجة الشعر، حيث تشير المصادر التي تحدثت عن أحمد فتحي إلى اقتناء والده لمكتبة طيبة، وإلى كونه – أي الوالد – شاعراً من شعراء ثورة ١٩١٩م، وهكذا تضافرت عوامل الوراثة والتعلم – ممثلا في مطالعته للآثار الشعرية – لتخلق من الفتى الذي عرف الضياع مبكرًا شاعرًا عبقرياً.

أبوللو والغناء:

تفتحت موهبة أحمد فتحي الشعرية مع ظهور جماعة أبوللو من الشعراء الرومانسيين والعاطفيين في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، أسس تلك المدرسة ، وكان رائدها أحمد زكي أبو شادي، وضمت من الشعراء أسماء مثل: خليل مطران ، إبراهيم ناجي، علي محمود طه ، صالح علي الشرنوبي، محمود حسن إسماعيل ، وصالح جودت، تمثلت تلك السمات الفنية لإبداعات تلك الجماعة في: الإيمان بذاتية التجربة الشعرية – الولع بالطبيعة– الميل لاستخدام الرمز وبعض الكلمات الأعجمية ، بالإضافة إلى التشاؤم والاستسلام للأحزان.

ومن الواضح أن تلك السمات لاقت هوى في نفس أحمد فتحي، أو كانت هي بذاتها معبرة عما يختلج في نفسه من مشاعر، وقد بعث أحمد فتحي بأولى قصائده إلى مجلة «أبوللو» - لسان حال الجماعة – في بداية عام ١٩٣٤م ، وعندما كان مدرسًا بمدرسة الصناعات بمدينة السويس، كانت القصيدة التي نشرت في عدد أبريل ١٩٣٤م من مجلة «أبوللو» تبدأ بالأبيات التالية:

(١) صالح جودت: شاعر الكرنك أحمد فتحي كتاب الهلال ديسمبر ١٩٧٣م.

نـوحي عـلى قلـق الغـصون ورجعـي

يـــا طـــير آهـــات الفـــؤاد الموجـــع

واسـتودعي الألحـان مـن حـرق النـوى

وشـــجونه مـــا شـــئت أن تـــستودعي

ولما كانت قصائد شعراء أبوللو – ونظرًا لسماتهم الفنية – أصلح ما في الشعر للغناء ، فسرعان ما جرت أشعار أحمد فتحي على حناجر المطربين والمطربات ، حدث ذلك بعد عودته للقاهرة إثر نقله إلى مدرسة الفنون والصنائع بالعباسية.

ومن أوائل ما قدمته الإذاعة المصرية من أشعار أحمد فتحي المغناة، ثلاث من القصائد قدمت جميعها في عام ١٩٣٩م كانت قصيدة «وحي جديد» هي أول ما قدمت الإذاعة من شعر أحمد فتحي في عام ١٩٣٩م ، وقد أذيعت القصيدة التي لحنها وتغنى بها المطرب محمد بخيت بعد عشرين دقيقة من العاشرة مساء السبت ١٤/ ١/ ١٩٣٩م ، وجاءت الأبيات التالية في مستهل هذه القصيدة:

هـــذه الـــسمرة العجيبـــة مـــاذا	راح يغـــري بوصـــفها الحـــاني
أيـن شـعري منهـا وأيـن خيـالي	هـــي فـــوق الخيـــال والتبيـــان
أنـا منهـا في مهـبط الـوحي مهـما	عقـــد الحـــب في ذراهـــا لـــساني
غـير أني مـستلهم سـحر عينيـك	للمعـــاني ويـــا لهـــا مـــن معـــاني

وأما القصيدة الثانية وهي قصيدة «البطل» ، فإنها قصيدة وطنية من تلحين وغناء جلال حرب ، وقد قدمها الإذاعة للمرة الأولى في حفل أذيع على الهواء مباشرة من نادي التجارة العليا بالقاهرة، وفي العاشرة من مساء الأربعاء الأول من نوفمبر عام ١٩٣٩، جاءت تلك القصيدة في سياق مجموعة من الأغنيات.. اختلط معنى الوطنية بمفهوم الولاء لملك البلاد، وهو ما يلحظه القارئ في المقطع التالي من قصيدة «البطل» التي تغنى بها المطرب والملحن جلال حرب في الحفل المشار إليه هنا:

إنـــــما أمـــــضي لمجـــــد الـــــزمن

وأفـــــدى بحيـــــاتي وطنـــــي

ومليـــك النيـــل رب المــــنن

إن روحـــي يـــا مـــصر الخلـــود

ولفــاروق البقــاء ولواديــك الــسعيد

إن ما تضمنته الأبيات المتبقية من هاتين القصيدتين من صور وأخيلة ومعان قد لا يتوقف عندها القارئ المعاصر كثيراً ، ولكنه – أي القارئ المعاصر كثيرًا ، سوف يتوقف مطيلا التأمل والتفكر أمام مطلع القصيدة الثالثة التي قدمتها الإذاعة المصرية لأحمد فتحي في عام ١٩٣٩م ، وهي قصيدة «الأمل» التي لحنها وتغنى بها أيضاً المطرب والملحن «جلال حرب»، وقد ترنم جلال حرب بهذه القصيدة للمرة الأولى من الإذاعة المصرية في تمام العاشرة والربع من مساء أول أيام عيد الفطر المبارك لسنة ١٣٥٨هـ/ وهو يوم الأحد الموافق ١٢/ ١١/ ١٩٣٩م ، وفيما يلي أبيات مطلع هذه القصيدة والتي تضمنها نصها المنشور بالصفحة السابعة من العدد رقم (٢٤٣) من مجلة «الراديو المصري» ، والصادر في ١١/ ١١/ ١٩٣٩م.

وتهـــادى في خيـــال عـــابر

وهفـــا بـــين ســـكون الخـــاطر

راحـــت الأرواح ظمـــأى تـــستقي

مـــن ســـنا طلعتـــه في الأفـــق

في مـــــواح وابتـــــسام

وانـــــشراح وهيـــــام

وسوف يفاجأ القارئ المعاصر – الذي استمع كثيراً إلى قصيدة «الكرنك» بصوت محمد عبد الوهاب – بأن الشطرات الثلاث الأولى في قصيدة «الأمل» وهي نفسها ومع إبدال كلمة واحدة قد جاءت في مستهل قصيدة «الكرنك» ، والكلمة الوحيدة التي أبدلت في هذه المقاطع الثلاثة هي كلمة «كلما» في الشطرة الأولى «كلما لاح لعين الساهر» الذي بدأ به أحمد فتحي قصيدة «الأمل» واستبدلها لتصبح «حلم» في شطرة استهلال «الكرنك» ، والتي أصبحت «حلم لاح لعين الساهر» ، ولسنا نعلم أسباب أحمد فتحي في ذلك ، ولا يمكن أن يعزى ذلك لعوار في موهبته، فهو كشاعر

أكبر من أن ينسب إليه أمر كهذا ، ولكنها – فيما أعتقد – سمة مشتركة بين كثير من المبدعين ، تتمثل في استعادة بريق بعض إبداعاتهم بالعودة إليها أو اجترارها في بعض أعمالهم الجديدة.

لم تكن هذه القصائد الثلاث هي كل إسهام أحمد فتحي بشعره في الغناء المصري خلال عقد الثلاثينيات ، وإنما واكبتها قصيدة رابعة من عيون شعره، ومن أجمل ما أثرى به الشعر الغناء من قصائد، ونعني بذلك قصيدة «حديث عينين» التي أهداها أحمد فتحي للمطربة الشهيرة : أمال الأطرش المعروفة بأسمهان ، وقد أثبت أحمد فتحي ذلك الإهداء في ديوانه الوحيد «قال الشاعر» حيث قال عن ذلك: «إن الشاعر أهداها (أي القصيدة) إلى أسمهان في مارس عام ١٩٣٨م ، فغنتها لحساب الإذاعة البريطانية، على أن تذاع من إذاعة لندن وحدها»[١].

لقد أطلقت هذه القصائد المغناة اسم أحمد فتحي في عالم الغناء المصري، فأقبل أهل الغناء على شعره وزجله، ينتقون منهما ما يوافق غناءهم ، حتى شهد عام ١٩٤٠م تقديم الإذاعة المصرية لست من الأغنيات التي اتخذت من شعر أحمد فتحي وزجله، وفيما يلي أسماء تلك الأغنيات مقرونة بأسماء من لحنوها ومن تغنوا بها ، بالإضافة إلى تاريخ الإذاعة الأولى لكل منها: (حنيها: عبده قطر – رجاء عبده ، ١٩/ ١/ ١٩٤٠م) ، (مناجاة في الفجر : لحن وغناء حليم الرومي، ١٣/ ٢/ ١٩٤٠) ، (شدا وترنم صداها: محمد القصبجي – إبراهيم عثمان ، ٦/ ٥/ ١٩٤٠م) ، (عمرك ما تقدر تنساني: لحن وغناء حليم الروي ، ١٢/ ٥/ ١٩٤٠م) ، (طيور المساء : لحن وغناء رياض السنباطي، ١٠/ ٧/ ١٩٤٠م) ، (سهاد من غناء آمال حسين ، ١٥/ ٧/ ١٩٤٠م) ، وتبرز بين هذه المجموعة من القصائد والأزجال المغناة قصيدة (مناجاة في الفجر) بإحكام صياغتها وصدق تعبيرها عن إبداعات شعراء أبوللو ، ومن هذه القصيدة نذكر الأبيات التالية:

إن رأيت الندى ينبه زهرا ... ملأ الحب جفنه أحلاما

ورأيت الغصون ماست على النور ... وضمت أعطافها الأنساما

وسمعت الأطيار تلقى إلى الفجر ... تحايا عواطرا وسلاما

---

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص١٢٩.

فــاذكري ســاهرا يعذبــه الــشوق ويــــأبى لعينيــــه أن تنامــــا

لم تكن أحداث عام ١٩٤٠م كلها برداً وسلاماً على أحمد فتحي، فقد عاش في الأيام الأخيرة من صيف ذلك العام قصة حب فاشلة ، ويبدو أن أخبار الأغنيات التي اتخذت من أشعاره وأزجاله لم ترق للمسؤولين في وزارة المعارف ، حيث صدر قرار بنقله في مطلع شتاء ذلك العام إلى الأقصر للعمل كمدرس بمدرستها الصناعية، وبالرغم مما عاناه في الأقصر من هموم الغربة وعذابات الذكريات ، إلا أنه أنجز على ضفاف نيلها وبين أطلال آثارها قصيدته الخالدة «أنشودة الكرنك» ومجموعة من أهم قصائده ، وعندا أتم «أنشودة الكرنك» ، فإنه بعث بها إلى مراقب عام الإذاعة : محمد سعيد لطفي بك ، الذي أعطى القصيدة بدوره للموسيقار محمد عبد الوهاب ، لتقدم الإذاعة المصرية في العاشرة من مساء أول أيام عيد الأضحى المبارك لسنة ١٣٥٩ هـ ، وهو يوم الأربعاء الموافق ٨ يناير من عام ١٩٤١ اللحن العبقري الذي وضعه محمد عبد الوهاب لتلك القصيدة ، فخلد بذلك القصيدة وصاحبها في صدارة إبداعات العصر الذهبي للغناء المصري.

جاء نفي أحمد فتحي للأقصر بنتائج معاكسة ، لما أرادته وزارة المعارف، فبالرغم مما عاناه من آلام نفسية جراء ذلك النفي، وقد عبر عن معاناته في رسالة بعث بها من الأقصر إلى صديقه الفنان أنور أحمد ، وجاء فيها: «تصور أنني أنفقت هنا أيامًا ثمانية، كانت في حساب قلبي أعواماً ثمانية»[1].

وبدلاً من أن يعمل إبعاده عن أجواء القاهرة على وقف أو خفض الطلب على أشعاره لتحويلها إلى أغنيات، فإن ما قدمته الإذاعة المصرية خلال عام ١٩٤١م من أغنيات اتخذت من أشعاره وأزجاله قد بلغ تسعة عشر أغنية، وهو عدد يجاوز ثلاثة أمثال ما أنتجته الإذاعة من أغنيات له في عام ١٩٤٠م ، وفيما يلي بيان تلك الأغنيات التي قدمتها الإذاعة المصرية في عام ١٩٤١ م من أشعار وأزجال أحمد فتحي.

وسوف يتضمن هذا البيان أيضًا أسماء من لحنوا تلك الأغنيات ومن تغنوا بها، بالإضافة إلى تاريخ الإذاعة الأولى لكل أغنية:

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص٤٠

- أغنية : (اذكري عهدنا : حليم الرومي – رجاء عبده ، ٤/ ١/ ١٩٤١).
- أنشودة الكرنك : لحن وغناء محمد عبد الوهاب ، ٨/ ١/ ١٩٤١ .
- ليلة : لحن وغناء حليم الرومي، ١٨/ ١/ ١٩٤١.
- أيها القلب: رياض السنباطي – صالح عبد الحي، ١/ ٢/ ١٩٤١م.
- نشوة: لحن وغناء محمد صادق ، ٣/ ٣/ ١٩٤١م.
- لما التقينا من غير ميعاد : حليم الرومي – رجاء عبده، ٤/ ٢/ ١٩٤١م.
- تداري ليه عني حبك: لحن وغناء فكري ، ٤/ ٢/ ١٩٤١م.
- أشواق: رياض السنباطي – نجاة علي ، ٢٠/ ٥/ ١٩٤١.
- النيل مجد الزمن: لحن وغناء رياض السنباطي، ٢٢/ ٥/ ١٩٤١م .
- بيجافي ليه : لحن وغناء جلال حرب، ٢٩/ ٦/ ١٩٤١م.
- عطفتي ليه بعد جفاكي : لحن وغناء حليم الرومي، ١٣/ ٧/ ١٩٤١م.
- إن رأيت الندى ينبه زهرا : لحن وغناء حليم الرومي، ١٣/ ٧/ ١٩٤١م.
- استرحام: لحن وغناء ملك محمد ، ١٩/ ٨/ ١٩٤١م.
- حديث عيني: رياض السنباطي – عصمت عبده ، ٢٥/ ٩/ ١٩٤١م.
- غرام الربيع: ثروة كيجوك – أمال حسين ، ٢٦/ ١٠/ ١٩٤١م.
- إليها: لحن وغناء محمد صادق ، ٧/ ١١/ ١٩٤١م.
- همسات: لحن وغناء رياض السنباطي ، ١١/ ١١/ ١٩٤١م.

- ذكريات : لحن وغناء عبد الغني السيد ١٦/ ١١/ ١٩٤١م.

ومن الجدير بالذكر أن الإذاعة المصرية كانت قد أشارت في برنامجها ليوم ٤/ ٢/ ١٩٤١م إلى ملحن ومؤدي طقطوقة «تداري ليه عني حبك» باسم الأستاذ فكري، ولم تفلح جهود البحث والتنقيب في مطبوعات الفترة المعاصرة لظهور الأغنية عن كشف الاسم الكامل للأستاذ فكري.

تميز هذا العدد الكبير من القصائد والأزجال من إبداعيات أحمد فتحي والتي تحولت في عام ١٩٤١م إلى أغنيات بالتنوع والثراء والقوة ، ويجيء التنوع والثراء من تعدد المقاصد التي عبرت عنها هذه الأغنيات، فالبرغم من أن معظمها حمل السمات التقليدية لإبداعات شعراء جماعة «أبوللو» فإن ثمة بعض منها تغنى بالوطن مثل: «النيل مجد الزمن» ، أو بتاريخه مثل: «الكرنك» ، بينما تغنى البعض الآخر بالطبيعة مثل: «إن رأيت الندى ينبه زهرا» و «غرام الربيع» أو بالمشاعر والعواطف مثل : «أشواق» و«ذكريات»، بينما تأتي قوة هذه الأغنيات من إحكام الصنعة ورفاهة الشاعرية، ولنأخذ المقاطع التالية من غنائيات أحمد فتحي التي قدمت في عام ١٩٤١ ، لنضع القول بتنوع وثراء وقوة الأشعار التي صيغت منها على المحك، ومن ذلك الأبيات الأولى في قصيدة «استرحام» ، حيث تصلح هذه القصيدة لاتخاذها نموذجًا للحالة الشعورية عند أحمد فتحي، وفيما يلي نقدم نص هذه الأبيات:

انظري لون شحوبي ... أنا شمس في غروب
ودّعت أفق مناها ... وانحنت نحو المغيب
ما تراها العين إلا ... ذهبا في الموج سالا
يحمل الشاطئ منها ... لمحات وظلالا
فإن لاح خيل ... للسني العابر مالا
يملأ الوادي فتونا ... وشجونا وخيالا
فاسمعي هاتف حبي ... وارحمي لوعة قلبي

ولنأخذ المقطع الأخير من قصيدة «على البحيرة» كنموذج لتغنى أحمد فتحي بالطبيعة في لوحات تتفجر بالجمال وتنبض بالحياة، وكأنها رسمت

بريشة فنان وليس بكلمات من نظم شاعر:

كلما أوفى على شط البحيرة
في أهازيج شبابي منه نبرة
وعلى وشى الروابي منه نضرة
لاحت الشمس على هام الربى
واكتسى المشرق لونا عجبا
عانق النرجس فيه الذهبا
فشدا الموج وغنى طربا
نبّهي يا طير نعسان الورود
وارتعي ما شئت في وادي الخلود
اصدحي في جانبيه بالنشيد
في تحاياك إلى الصبح الوليد

إن ثراء قصائد أحمد فتحي المغناة في ذلك العام (١٩٤١م) لم تشبها سوى شائبة واحدة ، وقد تمثلت هذه الشائبة في أن أزجاله المغناة لم تكن بقوة أشعاره، تلك القوة التي يلمسها القارئ فيما عرض هنا من مقاطع أخذت من بعض هذه القصائد، ولنضرب مثلا هنا على ذلك بالمقطع التالي من طقطوقة «رجعتي ليه بعد جفاكي» التي لحنها وتغنى بها الملحن والمطرب اللبناني حليم الرومي:

رجعتي ليه بعد جفاكي ... ما كنت قربت أنساكي
كنت أفتكر قلبك صافي ... ليّه وحدي
وأيام ما ألقاكي تجافي ... ويزيد وجدي
يصبر فؤادي على نار بعادي ... وأعيش بأملي في رضاكي

ومن الغريب أن الإذاعة المصرية أعادت تقديم الأغنية في سهرة الأحد ١٢/٧/١٩٤١م باسم «عطفتي ليه بعد جفاكي» ، وذلك بعد أن أبدل أحمد فتحي كلمة «رجعتي» في مفتتح الشطر الأول من البيت الأول بكلمة «عطفتي» ، وأيا ما كانت ملابسات إبدال هذه الكلمة، فإن القارئ أو

المستمع لهذا الصنف من غنائيات أحمد فتحي يخرج من ذلك بانطباع مفاده أن زجل الرجل لم يكن بمستوى شعره في أي وجه من وجوه الأفكار أو الصنعة أو الجزالة.

عود ثم اغتراب:

بلغ تقدم الألمان في الحرب العالمية الثانية الذروة بغزو روسيا في صيف عام ١٩٤١، وشهد أحد أشهر ذلك الصيف (سبتمبر ١٩٤١م) نقل أحمد فتحي ليعمل كمدرس بمدرسة الفيوم الثانوية الصناعية، وبانتقاله إلى الفيوم أصبح قريبًا من القاهرة ، وبات في إمكانه زيارة القاهرة على فترات متقاربة وغشيان منتدياتها والاختلاف إلى ملاهيها ، ليقع في مطلع عام ١٩٤٢ م في قصة حب جديدة مع مطربة شهيرة ، وليضيف إلى عذابات حبه القديم عذابات جديدة[1].

وبعد أن تنتهي القصة الجديدة كما انتهت سابقتها، شرع في صيف عام ١٩٤٢م في الزواج من فتاة قال عنها في خطاب بعث به إلى صديقه أنور أحمد: «إنها شيء جديد.. لون عجيب من ألوان الإنسانية الجميلة اللذيذة الوادعة، آية من آيات القسامة والوسامة والرقة والحنان، إنها ظل من رحمة الله يؤوب إليه اليائس والمحروم»[2].

وقد انعكس قربه من القاهرة وعذابات حبه ومشاكل الزواج الذي لم يتم على إنتاجه من الأغنيات الإذاعية، حيث عبر في إحدى رسائله إلى صديقه أنور أحمد عما اعتراه بعد نقله إلى الفيوم ، فقال: «كرهت القاهرة.. ومللت حياتي بها ، إن كل ركن في العاصمة يثير دفينا من الشجن، ويهيج ساكنا من الذكرى»[3].

لذلك انخفض عدد ما قدمته الإذاعة من مقطوعاته الشعرية أو الزجلية كأغنيات جديدة في عام ١٩٤٢م ليصل إلى سبع أغنيات فقط، وفيما يلي بيان هذه الأغنيات وأسماء من قاموا بتلحينها وأدائها ، بالإضافة إلى تاريخ إذاعتها الأولى:

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص٦٣.

(٢) صالح جودت: المصدر السابق، ص٩٣.

(٣) صالح جودت: المصدر السابق، ص٩٧.

- لما التقينا بعد الغياب: رياض السنباطي - نجاة علي . شدت نجاة علي بهذه الأغنية التي كانت من قالب المونولوج في حفل أقيم بمسرح حديقة الأزبكية ونقلته الإذاعة المصرية في مساء الأربعاء ٢٥/ ٢/ ١٩٤٢م.

- يا نسيم الضفاف: لحن وغناء رياض السنباطي ، قُدمت بمناسبة عيد الجلوس الملكي في ٦/ ٥/ ١٩٤٢م.

- هل تذكرين: لحن وغناء عبد الغني السيد ، ٢٧/ ٥/ ١٩٤٢م.

- أوهام: رياض السنباطي - فتحية أحمد ، ٢٤/ ٧/ ١٩٤٢م.

- ضفاف على النيل : لحن وغناء جلال حرب ، ٢٧/ ٧/ ١٩٤٢م.

- ما كانش يخطر على بالي: لحن وغناء أحمد عبد القادر ، ٢٩/ ٨/ ١٩٤٢م.

- حنين : أحمد عبد القادر ، حياة حمد ، ١٤/ ١٠/ ١٩٤٢م.

ولهذه الأغنيات السبع التي أنتجتها الإذاعة من إبداعات أحمد فتحي الشعرية والزجلية أكثر من دلالة ، وأول هذه الدلالات هو انخفاض عدد ما أنتج من شعره وزجله من أغنيات في عام ١٩٤٢ م ، وبعد نقله إلى الفيوم، ويمكن القول بأن ذلك الانخفاض في عدد الأغنيات التي أخذت من أشعار أحمد فتحي في ذلك العام إنما يرجع إلى اضطراب أحواله وتشتت ذهنه جراء عمله بالفيوم ، وتردده بين القاهرة والفيوم ، وأما ثاني تلك الدلالات فإنه يتمثل في تعدد واضطراب اهتماماته العاطفية ، وليس هناك ما هو أدل على ذلك من أنه تحدث إلى صديقه أنور أحمد في أحد الخطابات المتبادلة بينهما خلال صيف عام ١٩٤٢ عن مشروعه من الزواج من فتاة أطنب في وصف محاسنها ، بينما عاش في شهر فبراير من نفس العام بداية لقصة حب - ربما من جانبه - مع مطربة شهيرة ، وعندما دعت هذه المطربة للاستماع إلى شدوها على مسرح الأزبكية لإحدى أغنياته التي قدمها لها ، تهرب - كما ذكر في خطابه لصديقه - من حضور الحفل ، ولكنه لم يزف في خطاب آخر إلى صديقه نبأ عزمه على السفر إلى أحدى مدن الصعيد لمشاهدة عروس اختارتها شقيقته.

وتشير الدلالة الثالثة إلى أن شعره المغنى في ذلك العام كان صادقًا ومعبرًا عن حالته الشعورية والوجدانية، وليتأمل القارئ هذين البيتين من

قصيدة «ضفاف النيل» التي لحنها وتغنى بها جلال حرب ليتأكد من مدى صحة هذه الدلالة.

يا ضفاف النيل أقبلت إليك
أنشد الراحة والسلوى إليك
أداري لوعتي بين يديك
وأروي ظمئي من شفتيك

وأما الدلالة الأخيرة التي يبوح بها العدد الذي أنتجته الإذاعة في عام ١٩٤٢ من أغنيات اتخذت من أشعار أحمد فتحي، فإنها تتمثل في اهتمام مسؤولي الإذاعة الزائد بإنتاج أغنيات حتى من أشعار أحمد فتحي التي سبق للبعض أن لحنوها وتغنوا بها ، ومن ذلك أغنية «ما كاناش يخطر على بالي» التي لحنها وتغنى بها أحمد عبد القادر في ٢٩/٨/٢٩٤٢ ، ثم أوكلت الإذاعة مهمة تلحينها مرة أخرى إلى محمد القصبجي، وتغنت المطربة الكبيرة فتحية أحمد بلحن القصبجي للأغنية في مساء الاثنين ٢/ ١١/ ١٩٤٢ ، وكانت الإذاعة قد أعادت أيضًا تسجيل لحن رياض السنباطي لقصيدة «حديث عينين» بصوت المطربة الصاعدة – آنذاك – عصمت عبد العليم، والتي كانت تعرف أيامها باسم «عصمت عبده» ، وذلك بالرغم من أن المطربة الكبيرة أسمهان كانت قد سجلت هذه القصيدة ، وبلحن السنباطي أيضًا للإذاعة البريطانية في عام ١٩٣٨.

عندما أهل عام ١٩٤٣، لم يجد أحمد فتحي حلا لعذابات قصص حبه وزواجه الفاشلة سوى الرحيل للالتحاق بعمل سعى إليه في صفوف القوات البريطانية التي كانت تقاتل قوات المحور في شمال أفريقيا .. كان عمله الأول الذي التحق به في صفوف الجيش البريطاني هو وظيفة مفتش صحي[(١)].

جاءت مباشرته لتلك الوظيفة خلال شهر مايو من عام ١٩٤٣م ، وفي ولاية برقة الليبية ، ثم انتقل في شهر أغسطس من نفس العام ليعمل كضابط للجمارك في الجيش البريطاني بجهة طبرق من الأراضي الليبية ، كانت رسائله التي يبعث بها من جهات عمله إلى صديقه أنور محمد تفيض بالتعاسة

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص١٠٤.

والأسى ، وها هو يعبر عن ذلك بقوله في إحدى رسائله : «لقد أصبحت رجلا بلا ماض في المستقبل»[١].

لقد ألقت تلك المشاعر بظلالها على إنتاج أحمد فتحي الشعري، وما يتحول منه إلى غناء، وهو ما عبر عنه في رسالة أرسل بها كابوتزو القريبة من الحدود المصرية الليبية في الثلاثين من أغسطس عام ١٩٤٣م بقوله: «ويقابل هذا نقص هائل في المقدرة على التعبير، وحسبك أن تعلم أن كل إنتاجي الفني في هذه الحقبة الطائلة لم يكن أكثر من مقطوعتين غنائيتين ، إحداهما شعر والأخرى زجل دارج في موضوع واحد نظمتا في ليلة واحدة منذ أسبوع تقريبًا»[٢].

إن مراجعة سجلات برامج الإذاعة خلال عام ١٩٤٣م تكشف أن مجموع ما قدمته الإذاعة من أغنيات جديدة لأحمد فتحي قد بلغ ست أغنيات ومن الواضح أن أغنيتين من هذه الأغنيات قد أشار إليهما أحمد فتحي في خطابه السابق الحديث عنه على أنهما من إبداعه في ذلك العام، ولربما كانت الأربع الباقيات من إبداعاته السابقة ، وفيما يلي بيان أسماء هذه الأغنيات الست وأسماء من لحنوها وتغنوا بها .. إضافة إلى تاريخ الإذاعة الأول لكل أغنية :

- ظنون : رياض السنباطي – فتحية أحمد ، ٢٦/ ٢/ ١٩٤٣.
- صوت السنين : رياض السنباطي – حياة محمد ، ٢٩/ ٧/ ١٩٤٣م.
- ساعة رضاك : رياض السنباطي: عصمت عبد العليم ، ٢٧/ ٨/ ١٩٤٣م.
- على البحيرة لحن وغناء جلال حرب ، ١/ ١١/ ١٩٤٣م.
- عتاب : محمد القصبجي – نجاة علي ١١/ ١١/ ١٩٤٣م.
- أنا يوم ما أشوفك : محمد القصبجي – عصمت عبد العليم، ١٦/ ١١/ ١٩٤٣م.

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص١١٢.

(٢) صالح جودت: المصدر السابق، ص١١٧.

إن تناقص أعداد ما اتخذ من إنتاج أحمد فتحي الشعري من أغنيات في عام ١٩٤٣ هو الملاحظة الأولى والأساسية التي تتبادر إلى ذهن المتأمل للبيان السابق لهذه الأغنيات ، ولكن تبقى هناك ملاحظ ثانية ومهمة حول هذه الأغنيات ، وتتمثل هذه الملاحظة في تحول القصيدة الجميلة «إلى البحيرة» إلى أغنية ، إذ أنه من المعروف وكما ذكر الشاعر والكاتب صالح جودت عن أحمد فتحي: أن الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب كان قد اعتذر خلال الشهور الأولى من عام ١٩٤٢م عن غناء هذه القصيدة ، وفيما يلي نقدم الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة:

ساحر ما تعشق الأرواح غيره
كلما أوفى على شط البحيرة
في أهازيج شبابي منه نبرة
وعلى وشى الروابي منه نضرة
لاحت الشمس على هام الربى
واكتسى المشرق لونا عجبا
عانق النرجس فيه الذهبا
فشدا الموج وغنى طربا
نبهي يا طير نعسان الورود
وارتعي ما شئت في وادي الخلود
واصدحي في جانبيه بالنشيد
في تحاياك إلى الصبح الوليد
إلى بلد الضباب

لم يطق أحمد فتحي قسوة اغترابه أثناء عمله مع الجيش البريطاني في مسرح العمليات بالأراضي الليبية ، فقفل عائدًا إلى القاهرة في شهر نوفمبر من عام ١٩٤٣م ، وبعد أن تبددت مدخرات عمله في الجيش البريطاني سعى صديقه محمد سعيد لطفي بك مراقب عام الإذاعة المصرية لدى سلطات الاحتلال البريطاني بالقاهرة لإلحاقه بعمل في هيئة الإذاعة البريطانية بلندن، فتمخض ذلك المسعى عن تعيين أحمد فتحي مذيعًا ومترجمًا للأخبار

بالقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية منذ أواخر فبراير ١٩٤٤م .

وتشير وثائق الإذاعة البريطانية وخطابات أحمد فتحي نفسه إلى أنه استقال من عمله بالإذاعة البريطانية في شهر يونيو من عام ١٩٤٦م[1] ، ولكنه فضل الإقامة بعاصمة الضباب على العودة إلى القاهرة التي اعتقد أنها تنكرت لموهبته ، ولم تتح محافلها المكان اللائق لنثره وشعره ، فعمل تارة كمراسل لصحيفة «الكتلة» القاهرية في لندن ، ثم افتتح – وبمعونة مالية من خاله – مكتباً للاستيراد والتصدير بالعاصمة البريطانية ، واختتم محاولاته للإقامة الدائمة في لندن ، ليجد نفسه – وفي عام ١٩٤٨م أمام رفض صريح من الحكومة البريطانية تجديد إقامته ، فلم يعد هناك أمامه مفر من الرحيل.

أثرت إقامة أحمد فتحي في عاصمة الضباب تأثيرًا بالغ الحدة في تحويل أشعاره إلى أغنيات ، فبعد أن تناقصت الأغنيات المأخوذة من شعره أو زجله أثناء عمله مع الجيش البريطاني في ليبيا إلى سبع وست أغنيات في عامي ١٩٤٢م ، و ١٩٤٣م تناقص ذلك العدد حتى توقف ما تنتجه الإذاعة المصرية تماما من أغنيات وإبداعاته خلال العامين الأخيرين من إقامته بلندن، حيث قدمت الإذاعة المصرية ثلاث أغنيات جديدة فقط من شعر أحمد فتحي في عام ١٩٤٤م ، وفيما يلي بيان أسماء من لحنوا هذه الأغنيات ومن تغنوا بها وتاريخ إذاعتها الأولى :

- الشوق ناداني: لحن وغناء محمد صادق ، ٤/ ١/ ١٩٤٤م.
- فجر : لحن وغناء رياض السنباطي ، ١١/ ٢/ ١٩٤٤م .
- أنت : لحن وغناء محمد صادق ، ٣١/ ١٠/ ١٩٩٤م.

لقد جاء تاريخ إذاعة كل من «الشوق ناداني» ، وفجر» معاصراً لإقامة أحمد فتحي القصيرة بالقاهرة فيما بين عودته من ليبيا وسفره إلى لندن، ومن الواضح الآن أن إقامته بالقاهرة خلال تلك الفترة قد ساهمت وبشكل مؤثر في عرض نصي هاتين الأغنيتين على كل من محمد صادق ورياض السنباطي، مما ترتب عليه اقتناعهما بتلحينهما ، ومن ثم التغني بهما، وهنا يكمن أيضًا لمن يتأمل أحداث عام ١٩٤٤م في حياة أحمد فتحي، أن يتوقع أن الأغنية

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص١٢٩.

الثالثة في التي أُنتجت من شعر أحمد فتحي في ذلك العام.. ربما تكون قد عرضت على محمد صادق، وتم أيضًا الاتفاق على غنائها أثناء إقامة أحمد فتحي بالقاهرة، وأيا ما كانت الحقيقة في ذلك ، فإن الأمر المؤكد الآن.. هو أن إنتاج الأغنيات من شعر أحمد فتحي أو زجله قد تأثر كثيرًا بذهابه إلى لندن، إن ما رصد من أغنيات جديدة أنتجت فيما بين عامي ١٩٤٥ و١٩٤٨ من إبداعات أحمد فتحي يقدم الدليل على صحة المقولة السابقة، فقد كشفت مراجعة نصوص برامج الإذاعة المصرية خلال تلك الفترة عن أن ما قدم لأحمد فتحي من أغنيات جديدة قد بلغ أغنية واحدة في كل عام خلال الفترة فيما بين عامي ١٩٤٥م و١٩٤٧م ، بينما خلا عام ١٩٤٨م من أي أغنيات جديدة له ، واقتصرت الإذاعة في ذلك العام (١٩٤٨م) – كدأبها في الأعوام السابقة – على إعادة بث أغنيات أنتجت من شعر أحمد فتحي فيما مضى من أعوام ، كانت أغنية عام ١٩٤٥م الوحيدة لأحمد فتحي هي تانجو «فكرتي»، وهي من تلحين وغناء محمد صادق، وقد قدمتها الإذاعة لأول مرة في سهرة الأحد ١٩/ ٨/ ١٩٤٥م ، أما أغنية عام ١٩٤٦م.. فقد كانت قصيدة «أغاريد من ذكرى هواك» التي لحنتها وتغنت بها في سهرة الخميس ٢٥/ ٧/ ١٩٤٦م الفنانة اللبنانية الأصل الفنانة اللبنانية الأصل والمصرية الإقامة لوردكاش ، بينما كانت طقطوقة «افتكرك ليه وانت ناسيني» التي تغنت بلحنها الذي وضعه أحمد عبد القادر مطربة ناشئة – آنذاك – تدعى نوال، هي الأغنية الجديدة الوحيدة التي قدمتها الإذاعة في عام ١٩٤٧ من أعمال أحمد فتحي، وقد أذيعت هذه الطقطوقة لأول مرة في سهرة السبت ١٨/ ١/ ١٩٤٧م، وهكذا بلغ الضرر الذي أصاب الإنتاج الغنائي من شعر أحمد فتحي وزجله منتهاه بهجرته التي لم تنجح إلى بلد الضباب.

إلى الحجاز:

لم تكن كل إقامة أحمد فتحي بلندن ضراً كلها ، ولكن هناك – وبالتأكيد – خير أصابه منها ، ومن ذلك الخير لقاؤه وتعرفه على بعض الشخصيات العربية المهمة ، ومن هذه الشخصيات التي التقى بها أحمد فتحي في لندن الأمير عبد الله الفيصل نجل الملك السعودي الراحل فيصل بن عبد العزيز آل سعود، كان الشعر هو ما جمع بين الأمير وأحمد فتحي، حيث كان الأمير عبد الله شاعرًا وله دواوين مطبوعة ، وقد تحول البعض من شعره – مثله في ذلك مثل أحمد فتحي – إلى أغنيات شدت بها أصوات كبيرة مثل: أم كلثوم،

وعبد الحليم حافظ ، ونازك، عمل الأمير عبد الله الفيصل على تعيين أحمد فتحي – خلال عام ١٩٤٨م – في وظيفة مراقب عام ١٩٥٣ ، عندما أنهت الإذاعة السعودية عمله بها ، فعاد من جديد إلى القاهرة ، ليجد أن الحياة قد تغيرت كثيرًا في مصر بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، لم يكن مردود الأعوام الخمسة التي قضاها أحمد فتحي بالأراضي الحجازية على إنتاجه من الأغنيات الجديدة أفضل من عائد سنوات إقامته بلندن، من هذه الأغنيات ، حيث كشفت مراجعة المتاح من برامج الإذاعة المصرية خلال تلك الأعوام أن الإذاعة لم تنتج ولو حتى أغنية واحدة جديدة من شعر أو زجل أحمد فتحي في تلك الأعوام ، واقتصرت ما تذيعه الإذاعة من أعماله في أعوام إقامته بالمملكة العربية السعودية على إنتاجها القديم من الأغنيات التي عرضنا لها هنا.

الأغنية الأخيرة:

عاد أحمد فتحي إلى القاهرة ليتخذ من إحدى غرف فندق كارلتون بشارع ٢٦ يوليو مسكنًا ، وليكتشف أن القاهرة في عام ١٩٠٣م قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليه يوم أن رحل عنها في عام ١٩٤٣، كانت الثورة الوليدة قد غيرت – وخلال شهور قلائل – الكثير من عناصر الإنتاج في المجتمع المصري، حيث أعادة الثورة صياغة تلك العناصر وفقا لما نادت به من مبادئ، وما قامت عليه من أفكار ، كان الغناء – وبوصفه إحدى الصناعات المواكبة لازدهار المجتمعات – في القلب من عناصر الإنتاج التي عمتها تغييرات الثورة، فلحق بالكلمة المغناة الجانب الأكبر من ذلك التغيير، حيث أزاحت الأزجال العامية والتي يفهمها الفلاح والعامل وعامة الشعب – الأشعار جانبًا في مجال إنتاج أغنيات العهد الجديد، واستمع الناس بعد أسابيع من قيام الثورة إلى أغنية محمد قنديل الشهيرة «ع الدوار» ، وذاعت في تلك الأيام أيضا أغنيات مثل : «قولوا لمأذون البلد» لمحمد رشدي، ويا صحراء المهندس جاي لسيد إسماعيل وحورية حسن ، وكان ذلك إيذانًا بتغليب الأزجال الشعبية في العهد الجديد على الشعر الذي لا يفهمه ولا يتذوقه سوى الأفندية من ذوي الياقات البيضاء ، لقد عمل ذلك الاتجاه بالإضافة إلى سنوات ٩ الاغتراب والحالة النفسية السيئة على غياب أشعار أحمد فتحي تمامًا من سوق الغناء المصري بعد عودته من المملكة العربية السعودية ، وليعتكف في مسكنه بغرفة الفندق ، وقد استولت عليه السوداوية

التي كانت تنتهي به في كثير من الليالي إلى البكاء المر[1].

واقتصر إنتاجه بعد عودته إلى القاهرة على مقالات يكتبها بين الحين والحين في صفحة الأدب بصحيفة «الجمهورية» وبعض الخواطر الشعرية تظهر بالصفحة الأخيرة من صحيفة «الأهرام» ومن هذه الخواطر قصيدته التي عرفت باسم «قصة الأمس» ، والتي يتكون مطلعها من الأبيات التالية:

أنا لن أعود إليك مهما	استرحمت دقات قلبي
أنت الذي بدأ الملالة	والصدود وخان حبي
فإذا دعوت اليوم	قلبي للتصافي لن يلبي

لقيت هذه القصيدة قبولا عند أم كلثوم، وهي التي أضنت أحمد فتحي قبلهما برفضها قصيدة «نداء الغروب» يوم أن بعث بها إليها في عام ١٩٤١م[2]، ولكنها عهدت بالقصيدة الجديدة بعد ظهورها في «الأهزام» إلى الموسيقار الكبير رياض السنباطي كي يلحنها كما لحن لها من قبل العديد من القصائد الجميلة، فصاغ لها السنباطي - باقتداره الذي لا يجاريه اقتدار في تلحين القصائد- لحنا جميلا من مقام النهاوند، ثم أضافت أم كلثوم إلى لحن السنباطي من حرارة أدائها وصدقه الكثير ، فخرجت القصيدة لتحصد إعجاب الجميع، وكانت مسك الختام في مسيرة تحول أشعار أحمد فتحي إلى أغنيات، إذ لم يعش بعد إذاعة الأغنية كثيرًا ، حيث وافته المنية في غرفته بالفندق قبل فجر الاثنين الرابع من شهر يوليو عام ١٩٦٠م.

تعد «قصة الأمس» الأقل حظاً فيما غنت أم كلثوم من قصائد، فهي لا تذاع - حتى في حياة أم كلثوم - إلا لماما ، وليس هناك من يدري.. هل نالت الأغنية جانبا من حظ ناظمها في الحياة؟ .. أم ماذا؟ ولكن الأمر المؤكد بشأن هذه الأغنية هو أن ثمة خطأ قد صاحب التاريخ لها في أكثر من كتاب، فقد ذكر الكاتب حنفي المحلاوي في كتابه «شعراء أم كلثوم» أن : «مع إشراقات شهر فبراير من عام ١٩٥٨م نقلت الإذاعة المصرية حفلاً كبيراً لأم كلثوم تغنت فيه بقصيدة «قصة الأمس».

---

(١) صالح جودت: المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) صالح جودت: المصدر السابق، ص ٤٩-٥١.

وجاء في موسوعة «أعلام الموسيقى الشرقية» الذي أعده كل من: د.إيزيس فتح الله ، ومحمود كامل عن أم كلثوم : أن أم كلثوم قد تغنت بقصيدة «قصة الأمس» لأحمد فتحي في عام ١٩٥٨م (ص٦١) ، وبالرغم من ذلك فإن البحث في الدوريات المعاصرة لما ذكره الحلاوي، وما أثبته كل من د.إيزيس فتح الله ، ومحمود كامل من غناء أم كلثوم القصيدة في عام ١٩٥٨م لم يقدم دليلا واحداً على صحة المعلومات القائلة بأن أم كلثوم قد تغنت بقصيدة «قصة الأمس» في شهر فبراير من عام ١٩٥٨م أو في أي من شهور ذلك العام، إن القول بأن «قصة الأمس» قدمت في حفل أقيم في شهر فبراير من عام ١٩٥٨م يصطدم بحدثين مهين: أولهما: أن أم كلثوم قدمت في ذلك الشهر أغنيتين جديدتين هما: «في ربا الفيحاء» ، و«بعد الصبر ما طال»، فهل يعقل أن تقدم أم كلثوم – وهي المقلة والمدققة في إنتاجها – أغنية ثالثة في نفس الشهر؟ ويجيء الحدث الثاني لينسف تمامًا حكاية غناء أم كلثوم لقصيدة «قصة الأمس» في شهر فبراير من عام ١٩٥٨م، يتمثل ذلك الحدث في أن أم كلثوم شغلت طوال شهر فبراير ١٩٥٨م بتسجيل أغنياتها في البرنامج الغنائي الإذاعي «رابعة العدوية» ، وقد أذيع هذا البرنامج لأول مرة من الإذاعة المصرية في يوم الأحد ٣ رمضان من سنة ١٣٧٧ هـ والموافق ٢٣/٣/١٩٥٨ ، ويتبقى بعد ذلك احتمال واحد يتمثل في إمكانية تقديم القصيدة في شهر آخر من شهور عام ١٩٥٨م خلاف شهر فبراير، وهو احتمال يؤكد ما ذكره كل من د. إيزيس فتح الله ، ومحمود كامل في كتابهما، وللتدقيق في هذا الاحتمال الأخير تم الرجوع إلى سجلات برامج الإذاعة المصرية خلال عام ١٩٥٨م ، فلم تشر هذه السجلات إلى أن «قصة الأمس» قدمت في أي يوم من أيام عام ١٩٥٨م ، ولكن البحث في سجلات البرامج لعام ١٩٥٩م كشف أن «قصة الأمس» قد أذيعت لأول مرة من الإذاعة المصرية في العاشرة والثلث من مساء الأربعاء السادس من مايو عام ١٩٥٩م، وقد شهد اليوم التالي للإذاعة الأولى للقصيدة إحياء أم كلثوم لحفلها الشهري ، وهو الحفل الذي نقلته الإذاعة المصرية في تمام العاشرة مساء من مسرح حديقة الأزبكية بالقاهرة ، ولقد جاء تأكيد هذه المعلومة في الرثاء الذي حرره الكاتب الراحل كمال الملاخ تحت عنوان: «مات أحمد فتحي شاعر النيل» بالصفحة العاشرة من عدد «الأهرام» الصادر صبيحة وفاة أحمد فتحي في يوم الاثنين الرابع من يوليو عام ١٩٦٠م ، حيث قال

كمال الملاخ في ثنايا رثائه لأحمد فتحي: «وغنت له أم كلثوم في العام الماضي(أنا لن أعود)» . وأيا ما كان الأمر.. فإن من بين سبعة وأربعين أغنية أمكن رصدها وأنتجتها الإذاعة المصرية من إشعار وأزجال أحمد فتحي تبرز ثلاث قصائد ، هذه القصائد الثلاث – وطبقاً لأسبقية إذاعة كل منها – هي: «حديث عينين» لأسمهان ، «الكرنك» لمحمد عبد الوهاب، و«قصة الأمس» لأم كلثوم ، وإن واحدة من هذه القصائد الثلاث تكفي لتخليد اسم ناظمها بين المجيدين من شعرائنا المعاصرين.



شاعر الرقة العاطفية

كتب عباس محمود العقاد في مقدمة كتاب صالح جودت «ناجي ، حياته وشعره» يصف أسلوب إبراهيم ناجي بأنه ينتمي إلى مدرسة الرقة العاطفية وقال أن مدرسة الرقة العاطفية كانت غالبة على بعض أصحاب الأقلام الناظمين والناثرين من أدباء تلك الفترة في ثلاثينيات القرن العشرين.

وهذه الصفة يشترك فيها كل الشعراء الرومانسيين الغزليين وجلهم ظهرت بواكير شاعريته على صفحات مجلة «أبو للو» في الثلاثينيات وبهذا تندرج هذه الصفة على شعر ناجي وصالح جودت وعلى محمود طه وكامل الشناوي .

وبهذا المقياس نقول: إن أحمد فتحي كان شاعر الرقة العاطفية sentimentalism وخير مصداق على هذا قصائده الرقيقة الهامسة التي تذوب رقة وعذوبة وموسيقية يقول في قصيدته «فجر» التي يغنيها رياض السنباطي[1] :

كل شيء راقص البهجة حولي هاهنا

أيها الساقي بما شئت اسقنا ثم اسقنا

واملأ الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنا

نسيتنا ، لم لا ننسي أغاريد المنى

علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا

وأبدع شاعرنا في الأسلوب الشعري poetic style في قصائده ففي نفس القصيدة نجد تلك التعابير الموحية القوية مثل «هتافات الربي» و «جبين الغد» وغيرهما ، يقول :

---

(١) أحمد فتحي ، قال الشاعر ، ص : ١٢٧ ، القاهرة ١٩٤٩ .

ذهب الأمس، بما راع ، ويومي ذهبا
يسرع الليل فراراً ، من هتافات الربي
وجبين الغد يلقى ، عن سماه الحجبا
باعثاً في جانب الأفق بشيراً محسناً
تسبق الفرحة خطاه ، قبلما يبدو لنا

كما نجد الرمز الشعري poetic symbol في القصيدة حين يهيب بالساقي أن يبعد الكأس عن فمه لأنه يريد أن يفيق من أوهام الخيال وشطحاته :

رُدَّ كأسي عن فمي يأيها الساقي ودعني
وأفِقْ من نشوة الراح ومن حلم التغني
كلُّ ما مرَّ بنا وهمُ خيالٍ وتمنٍّ
حسبنا وهماً ، وحلماً ، وخيالاً ، حسبنا
أقبل الصبح ، فهل تدري بماذا جاءنا ؟

وفي أسلوب أحمد فتحي نرى الإشراق والتوقد والعذوبة والرقة ، وكلها تندرج تحت صفة «الرقة العاطفية» وكل ذلك في حسن نسق وجمال إيقاع وموسيقا هامسة رقيقة ففي شعره موسيقا معبرة رقيقة تطبع شعره كله بجرس هامس وإيقاع رقيق هادئ .

يقول في قصيدته الوجدانية «ظنون» [١] :

ألقاكِ مفتون الخيال مُعذباً
ما بين شك حائر ويقين
أشكو إليك من الظنون ، وربما

(١) قال الشاعر ، ص : ١٠٥ .

سـبقت إليـك هواجـسي ، تـشكوني

وأرى الـسني والطهـر فيـك ، فتنطـوي

عنـي خيـالاتي ووهـم ، ظنـوني

❖❖❖

وفي قصيدته الغزلية الرقيقة «أنت» التي يتغنى فيها بسحر محبوبته وإشراقها نجد رقة اللفظ وجمال الصياغة وطرافة المعنى في أسلوب موسيقى هامس رقيق يقول [1] :

سَألتني عنكَ أشواقي وأحلام سهادي

وأمانيَّ التي تصحبني في كل واد

وخيالاتي ، وما أكثر ما تغشى فؤادي

❖❖❖

أنتَ في عيني ضياءٌ لا ترى عيني سواه

كلما أشرق حيّاني شعاعٌ من سناه

تبعث الفرحةَ والنشوةَ في روحي خطاه

❖❖❖

أنتَ في سمعي نشيدٌ قدسِّي النغم

كلما طاف بآفاقي توارى ألمي

وتناسيت نواحي ، وجراحي ، ودمي

❖❖❖

أنتَ في قلبَي معنًى سرُّه الباقي مصون

---

(١) قال الشاعر ، ص : ١٣٥ .

يمـلأ الـدنيا ولا تـدرك مرمـاه العيـون
لـو يقولـون عرفنـاه ، فـوهمٌ ، وظنـون

◆◆◆

أنت في عيني ، وفي سمعي،وفي قلبي،مقيم
أبـداً أشـدو بـذكراكَ وأصـبو وأهـيم
هـي في بعـدك ألحـاني ، وكـأسي ، والنـديم

إننا نجد هنا المعنى العميق والموسيقا الهامسة والرقة العاطفية واللفظة الحية.

◆◆◆

والرقة عند شاعرنا طبع أصيل عنده وقد ابتكر تعبيرات جميلة وأضاف إلى قـاموس الوجـدان تعبـيرات قويـة ومعـاني عميقـة رائعـة ، يقـول في قـصيدته «إليها»[1] :

كيف أنساك ، وقد طاف الهوى أمس علينا
فـشربنا صـفوه حتـى روينـا وانتـشينا
ونـسجنا حولنـا الأحـلام مـن وشـى يـدينا

كما وفق في استخدام الصورة الحية في شعره ، يقول في نفس القصيدة :

كيـف لا أسـترحمُ الطيـف إذا مـرَّ وحيّـا
وأناجيـه بحبـي ، وأناديـه إليَّـا
علـه يـرحم ، أو يعطـف ، أو يحنـو ، عليـا

ولأحمد فتحي قدرة بارعة في التصوير بالضوء والظل والصوت فهـو مـن الشعراء التصويريين المبدعين الذين يجيدون إضفاء الظلال في شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا وصدقاً وجمالاً .

---

(١) قال الشاعر ، ص : ١٣٩ .

إن الصورة الشعرية poetic image في شعره دقيقة ومعبرة ونابضة بالحرارة والصدق الفني.

في قصيدته التصويرية الوصفية «الكرنك» يبلغ أقصى غايات التصوير بالضوء والظل، فهو في أبيات القصيدة الأولى يرسم لوحة جميلة يبزغ فيها الشعاع الجميل الساحر[1] :

طاف بالدنيا شعاعٌ من خيالي

حائرٌ يسألُ عن سرِّ الليالي

ياله من سرها الباقي وبالي

لوعة الشادي ووهمُ، الشاعر

◆◆◆

كيف لا يدري إلى أين الشعاع

وأماسيه لقاء ووداع

وخُطاه في السبيلين متاع

راحة المضني، وهَذى الحائرِ

كما يتردد «الصوت» في شعره، فهو يصور منظر الدنيا حين صحت على ضوء الصبح «الرطيب» وكيف أصغي المعبد للحن القريب :

صحت الدنيا على صبح رطيب

وصغى المعبد للّحن القريب

مرهفاً ينساب من نبع الغيوب

ويغاديه بفن الساحر

ويبلغ ذروة تصويره بالضوء والظل والصوت في هذا المقطع الرائع :

(١) قال الشاعر، ١٩٤٩م، ص: ١٢٣.

حين ألقى الليل للنور وشاحه

وشكا الطل إلى الرمل جراحه

يا ترى هل سمع الفجر نواحه

بين أنداء النسيم العاطر

بعد هذا التصوير الشاعري بالضوء والظل : بالأبيض والأسود لليل والفجر وبعد تصوير صوت النواح ... يصور شاعرنا بريشته باللون الأحمر جراح الطائر لكنه يضفي جواً من البهجة ويرسم لوحة شاعرية يسودها الضوء المتألق والأنوار المبهجة ، فرغم جراح الطائر (وهو هنا الشاعر) ، فهو يرسل النغم حلوا رقيقا ناعماً وكأني به صوت الشاعر نفسه الذي تصدر قيثارة أعذب الأنغام وأرق الألحان رغم جراح روحه وآلام نفسه ، ذلك الطائر مخضوب الجناح يسعد الليل بآيات الصباح ويغني في غدوٍ ورواح بين أغصان وورد ناضرٍ.

وبعد ، فأسلوب أحمد فتحي في مجموعه صورة من نفسه الملهمة وطبعه الرقيق ، وإن ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة في شعره أصدق تمثيل وأعمقه ولذا جاء شعره انعكاساً صادقاً لانفعالاته وأحاسيسه ويصدق عليه قول «بافون» إن الأسلوب هو الرجل نفسه .

هذا هو غاية الفن الأدبي الأصيل الصادق الخالد على مر العصور والأجيال.



ديـوان

قال الشاعر

(١٩٤٩)

أحمد فتحي

الإهداء

إليـك يـا زيـنَ شبابِ العـربِ ... طاقـةَ زهـرٍ مـن غـراسِ قلبـي

سـقيتُها عـواطفي وحبِّـي ... فأينعَـتْ أكمامُهـا في جنبِـي

واسـتأثرتْ نُـضْرتُها بعجبـي ... أهـديك منهـا كُـلَّ غـضٍ رطـب

إنْ تَـرَ فيهـا بعـضَ شـوكٍ يُنبـي ... عـنْ مـسِّ ضُرٍّ أو ظـلال كـرْبِ

فهكـذا يُـوَحى بـه مـنْ ربـي ... وفي بحـار الـمُرِّ قطـرُ العـذبِ

سِـلمُ الحيـاةِ مُـؤْذنٌ بـالحربِ ... وركبُهـا ، يـا ضـلةً للركـب

صـدّع قلبـي يـا كبـيرَ القلـب ... لـولا صـبابةٌ مـنَ التـأبيِّ

وقـدْ تـداركتَ فلـم يعـصفْ بي ... هتفـتَ بالمـستنجد الملبِّـي

وقـد أتـى الـشرق بفكـرِ الغـربِ ... يُـؤمنُ بـالفنِّ ومـا في الكتـبِ

ويبـصرُ الـدنيا بعـينِ الحُـبِّ ... مواثبـاً كُـلَّ سريـع الوثـبِ

وقـائلاً للحـقِّ لا يحُبـي ... ولاعبـاً بالـدهر أيَّ لعـبِ

أقَلْتُـهُ مـن عثـرةِ المكـبِّ ... ثُـمَّ تفـضلت ، وذاك حـسبي

رأيـت عـذري وغفـرت ذنبـي ... بحكمـةِ الرائـدِ والمحـبِّ

فهان دوني اليومَ كلُّ صعبِ

◆◆◆

(*) إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود .

مناسبات

محنة العَرب

لقومي حفظتُ الودَّ في الحِلِّ والظعنِ مطيفاً بهم ودِّي أهازيجَ من فنِّي
يدٌ غيرُ ممنونٍ على القومِ برُّها وما آفةُ البرِّ الكريمِ سوى المنِّ
ودينٌ لهم عندي أؤديه راضياً ومن شيم الأحرارِ تأديةُ الديْنِ
أليستْ إليهمْ نسبتي وجميعُهم أخٌ لستُ أغلو حين أدعوه عمَّ ابني
وبين قُرَاهم لي منازلُ عِزَّةٍ وإنْ أنا لم أُنشئْ هناك ولم أبنِ
هو الحبُّ ، حتى تهجرُ العينُ أختَها وتجفو وجهَ[1] الروض واكفةُ المزنِ
غَدوْنا به في الأرضِ أكرمَ أُمةٍ تلاقي خطوب الدهر ضاحكة السِّنِّ
ومِن مجدِها في موكبِ الشمس هاتفٌ يبشِّرُ بالنصرِ القريبِ ، وبالصونِ

◆◆◆

بني العربِ الأمجادِ : هذا هَزَارُكم تغنَّى على غُصنٍ ، وناح على غُصنِ
لأقوالِكم يُصغِي ، فيبْسمُ ثغرُه ويبْصرُ بلواكم ، فيبكي من الحُزنِ
ولولا الوفاءُ الحقُّ ، ما صكَّ سمعَكم بأشرفَ ما يرمي وأنبل ما يعني
لقد جمعتْكم في الجهادِ قضيةٌ بنو قومِكم . قاسوا بها فاجعَ الغبنِ
تسابقَ فيها الظالمون وأُحكمَتْ حبائلُ من كيدٍ خسيسٍ ومن مينِ
ولكنكم وحَّدْتمُ الصفَّ فانبري كما الطود لم يوصمْ بضعف ولا وَهنِ

(*) الأهرام في ٦ يناير ١٩٤٩ .

(١) وجه : الأصح : وجوه الروض

فظلــوا كـما أنــتم ، يمينـاً تآلفــتْ ... أناملهـا للبطشِ ، والفتـكِ ، والطعـنِ

ولا يَـصدَعَنْ شـملَ العروبـة سـادرٌ ... يروح على حقـدٍ ، ويغدو على ضِغْنِ

◆◆◆

بنــي قومِنــا ! يــا حبَّــذا أن تــآزروا ... وأنْ تسمعوا مني وأنْ تأخذوا عني

هتكتم حجابَ الشمسِ بالأمس فاضربوا ... لها اليوم أمثال المعالي ، على أنيّ ..

أحــذركم عقبــى التفــرُّقِ إنــه ... أمرُّ وأدهى من نكوصٍ ومن جبنِ

ولا تجعلــوا إلا اليقــين دلــيلكم ... فكـم ضـل قـوم بـالتوهمِ والظـن

هــو الجــدُّ ، دقــت في الـبلاد طبولُــه ... تنــادى إلى الهيجـاءِ رنانـة اللحــنِ

فــلا يتجاهــلْ مــنكمُ الأمــرَ ســامعٌ ... ولا يعتــذرْ منــه بجهــدٍ ولا أيــنِ

فــإنَّ ســبيلَ المجــد عــزمٌ ، وقــوةٌ ... مـصاولةٌ ، تجزي على العين بـالعينِ

وفــيكم تــراثٌ خالــدٌ ، فاصــنعوا بــه ... عجائــبَ لم تخطـرْ لإنـسٍ ولا جــنٍّ

وإنّي لأرجــو في غــدٍ أن أراكـــمُ ... قليلاً عليكم ما أصوغُ وما أُثنِي

ليخـضرَّ مـا أذوي الخريـفُ ، فـدونكم ... ربيعـاً مـن الآمـالِ رفَّافـةَ الحسنِ



مؤتمر أريحا

إلى رمز العربي الخائن ، لمناسبة مؤتمر أريحا

ألومُك والدنيا معي لك ألْوَمُ ... فليتك ، إذ تُصغي إلى القولِ ، تفهمُ!

بك اتُّهم الشعرُ المبينُ ؛ وإنما ... لسانُك موصولٌ به العيُّ ، أعجمُ

عهدتُك تهذِي من سقامٍ وشقوةٍ ... فدنياك حُمَّى ، ليلُها النحسُ أفحمُ

ومَن يَرَ ما قارفتَ يحزنْ ويبتئسْ ... ويجزعْ لشعبٍ فيه عجزُك يحكمُ!

أذلَّك حرصُ الطامعين ؛ وربَّما ... تسلَّلَ في غابِ الضراغمِ أرقمُ !

نفثْتَ زعافَ السمِّ بين ربوعِنا ... وما نحن عنه يا أخا الغدرِ نوَّمُ

وأيقظْتَ في مهدِ العروبةِ فتنةً ... عذيُرك فيها خائبُ الرأيِ أشأمُ

كأنك تنسى الأمسَ ، والأمسُ ناظرٌ ... إليك ، يرى هذى المخازي ويبسمُ

غُريْتَ بآساد الجزيرةِ ، فانبروا ... يهولُك منهم سافرٌ وملثَّمُ ..!

فوارسُ هيجاءَ استُفزَّتْ قلوبُهم ... إلى البطشِ ، لما أنَّ عدوتَ عليهمُ

توهَّمتَ أنَّ الخيلَ أفتكُ سطوةً ... من المدلجِ الساري ،وأقوى وأضخمُ

فجاءتْك من جوفِ الصحاري مواكبٌ ... تزلزلُ آفاق الدجى حين تهجمُ

فـرزْتَ كـما يـستنفرُ العـيرَ قـد سـطا	عـلى نبعِـه المـورودِ في الليـلِ ضـيغمُ
وخلّفــتَ آلافَ الــضحايا ، ودونهـــم	خــضمٌّ مـن الأهـوالِ يغـلي بـه الـدمُ
لأعْــداك مـــن ماضــيك مجــدٌ مؤثّـــلٌ	ومن عرضِك المثلومِ في الحربِ مغنمُ
ومـــا عجبـــي أني بـــذكرِك رازئٌ	بيـاني ، ولا أنـي بهجـوِك مغـرمُ ...!
ولكـــنْ، لأني اليـــومَ أبلـــغُ نـــاطقٍ	يحرِّكُـــه في حلبـــةِ الـــشعر أبكـــمُ
نقمْــتُ عــلى مــسعاك نقمــةَ ساخطٍ	ولـستُ عـلى غـيرِ الأباطيـلِ أنقـمُ
لقـــدْ تخـــذَ البـــاغون منـــك مطيـــةً	كأنـك بـرذونٌ عـلى البـاب ملجـمُ
فرُحـتَ كـما شـاءوا ، وجئـت بـأمرِهم	وفي فيك ، لو تدري ، من الـذلِّ علقـمُ
وقـــالوا : مليـــكٌ بالثريَّـــا متـــوجٌ	وقلنـا : رقيـقٌ موثـقُ القيـدِ ، معـدمُ
وأيـــن تـــراك الآن ؟ لا أنـــتَ بـــالغٌ	منـاك ، ولا عـن آخـر الـشوطِ تُحجـمُ
تخاذلْتَ ، لا ، بل قـد خُـذلْتَ ، فـيما تـرى	يُـردُّ إلى الحـقِّ الغـويُّ ، فينـدمُ ؟!
ولستَ لتُرجي ، أو لتُخشى ، وإنْ تكـنْ	تفـاخرُ بـالقوم الـذين هـمُ ، همـو
قـريشُ العُـلى أتقـى وأنقـى ، فخلِّهـا	فـما في عُلاهـا مـن دنايـاك مـثلمُ
ومـا أنـت في يـوم البيـان بمفـصح	ولا أنـت في يـومِ الكريهـةِ معْلـمُ
ولا عـــربيٌّ أنـــت يمنـــعُ جـــارَه	ولا أنـت شرقـيٌّ ، ولا أنـت مـسلمُ

◆◆◆

ذل ...

« إلى صديقي عبد الرحمن عزام باشا»

أرى لــك يــا قلبــي رجــاءً تنوطــه ... بقلــبٍ أراه عــن هــواك يميــلُ !
لقــد شـغلته عنـك دنيـا مـن الأسـى ... تــروعُ ، وتجتــاحُ المنــى ، وتهــولُ
فـأعْرضَ عـن نجـواك أمس وإنْ يكـن ... يــرددُ ألفــاظ الهــوى ، ويقــول ...
كــلامٌ ، وأوهــامٌ يغــرُّك حــسنُها ... فتــصبو « وليــلُ العاشــقين يطــولُ»

◆◆◆

رويــدَك قلبــي : إننــي لــك ناصــحٌ ... ونـصحي عـلى صـدق الـودادِ دليـلُ
سـلِ الماطــلَ الكــذَّابَ أيــنَ وعــودُه ... ألــيسَ إلىِ يــوم الوفــاءِ ســبيلُ ؟!
فــما عنــدَ مــنْ أحببْــت إلا علالــةٌ ... تحــيَّرُ فيهــا أنفــسٌ وعقــولُ
ومــا حبُّــه إيــاك إلا مجانــةٌ ... يغنــي بهــا قــردٌ ، ويــرقصُ فيــلُ
حبيبُــك في الــدنيا يمينــك وخــدها ... إذا مـا انـبرتْ تزجـى القنـا وتـصولُ
فــلا تعتمــدْ إلا عليــك ، ولا تقــلْ ... نــصيريَ جــارٌ حــافظٌ وخليــلُ
وإنَّ امــرأ قــد بــات يركــزُ رمحــه ... عــلى غــيرِ داراتٍ لــه ، لَــذليلُ !

◆◆◆

الدستور والانتخابات

بنـي وطنـي الغـالي رِدوا غمراتِهـا ... علـى صـدحِ أنغـامٍ ، وخفـقِ بنـودِ

هـي الحـربُ : مكتـوبٌ عليكم لقاؤهـا ... بخفـةِ غـزلانٍ ، وبـأسِ أسـودِ !

تلاقـوْا كأسـيافِ الـصناديدِ في الـوَغى ... ففـي ذمـةِ الهيجـاءِ كـلُّ شـهيدِ

فللنـصر فيهـا عـزةُ المجـدِ والعُـلا ... وفرحـةُ أنـصارٍ ، وغـيظُ حـسودِ

ومَـنْ كـالفتى في صـوتِه ألـفُ رغبـةٍ ... لقـومٍ أقـاموا منـه غـيرَ بعيـدِ ؟

إذا صـدحوا غنـى ، وإن بكَـوْا انـبرى ... يـساجلُ بالـصيْحات قـصفَ رعـودِ

همـو منـه أعـوانٌ ، وأهـلٌ ورفقـةٌ ... ومنـه لهـم في الـدهرِ عـونُ مريـدِ

وجاهـةُ رأيٍ يبـسطُ الجـاهُ ظلَّهـا ... علـى ظـلِّ حـبٍّ في القلـوبِ أكيـدِ

كـذا ... فلـيقمْ في النـاسِ منهم أئمـةٌ ... علـى غـيرِ إرْهـابٍ وأسرِ قيـودِ

ولا تبهـرُ الـوادي علـى جنـحِ ليلِـه ... بـوارقُ زيـفٍ كـاذبٍ بوعـودِ

◆◆◆

(*) الأهرام في ١٥ مارس ١٩٤٢ .

بني وطني الغالي : أعيروا نصائحي ... مسامعَ واعٍ للحديثِ ، رشيدِ
لقد طالما أرسلتُ شعري إليكمُ ... برأيٍ ، على فرطِ اللجاجِ ، سديدِ
وإني لأرجو أن تفيدوا منَ الذي ... أعيدُ وأبدي من نظامِ قصيدي
بمعجزةِ الدستورِ في مصرَ كعبةٌ ... أقيمتْ على ركنٍ هناك شديدِ
يحجُّ إليها كلُّ أروعِ مخلصٍ ... بأشرفِ آمالٍ لكم وقصودِ
فلا تدخلوها بالهوى ، إن بابَها ... خليقٌ بأن يلقاه جدٌّ وصيدِ
ولا تجعلوها حومةً لمهاتر ... مدلٍّ بخلاب الكلام عنيدِ
ولا تستبحْ قدسَ العلا من رحابها ... رغابُ كسيحٍ في الجهاد قعيدِ
ولا تيأسوا من يوم شمل وألفةٍ ... تنادي له مصرُ بأسعدِ عيدِ
إذا فرّقت شملَ القلوبِ حوادثٌ ... فليس عليكم جمعُها ببعيدِ



يا حمامة السلام

ما احتشادُ الخصوم للأنصارِ ... يا ابنةَ الأيك، كيف وجهُ النهارِ
طال هذا الدُّجي بنا، وتمادي ... ليلُه، غير مؤذنٍ بانحسارِ
وتراءى لعينك الشبحُ المفزع ... بين الورود والأزهارِ
وتشبثتِ بالغصون على فرط ... التياع، وذلة، وانذعارِ
واستطارتْ على الخمائلِ شكواك ... لقلبِ الظلامِ والإعصارِ
ترسلُ النظرةَ الحزينةَ عيناك ... وتبكين بالدم المدرارِ
مذْ رأيت السلام مالَ عنِ الأرض ... نذيراً لأهلها بالدمارِ

◆◆◆

يا ابنةَ الأيكِ، والحديثُ شجونٌ ... فاطْلبي فيه حكمةَ الأشعارِ
أمس، أرسلتُ في الوكورِ نشيدي ... وصروحُ السلامِ وشْكَ انهيارِ
وأنا اليومَ باعثٌ لك نجوى ... بين قبضِ الجناحِ للمنقارِ
فارقبي الكونَ وهو جذوةُ نارٍ ... تتلهَّى بها يدُ الأقدارِ
واسألي بالضمير، إن كان حياً ... في خضمٍّ من الوغي، زخارِ
واهتفي بالأماني، إن كان ظلٌّ ... من أمانٍ، يلقاك، بين الديارِ
وانشدي حرمةَ الجوار إذا كان ... نرعاها، الغداةَ، قلبُ الجارِ

◆◆◆

(*) الأهرام في ٩ سبتمبر ١٩٣٩ ، قيلت ونذر الحرب العالمية الثانية تلوح.

يـا ابنـةَ الأيـكِ ، والحيـاةُ صراعٌ ... بين نـصرٍ ، يبني العلا ، وانكسارِ

جُنَّ بعضُ الشعوبِ ، واختلط الأمرُ ... علـيهم ، في فتنـةٍ ، واغـترارِ

نقـضوا الموثـقَ الـذي أبرمـوه ... أمـس ، بـين الخصومِ والأنـصارِ

ومـشوْا في البقـاعِ تيهـا وعجْبـاً ... واسـتباحوا في الأرض كـلَّ ذمـارِ

في اعتـدادٍ بقـوةٍ زعموهـا ... لحديـدٍ ، قـد اعتـدوه ، ونـارِ

كفـروا بالـسلامِ ، والحـقِّ ، والخـيرِ ... فويـلٌ للمعـشرِ الكفـارِ

قـصةُ الأمـسِ ! كيـف لم يـذكروها ... وحيـاةُ الـشعوبِ في التـذكارِ

ترجـعُ الحادثـاتُ سـيرتَها الأولى ... عـلى مـشهدٍ مـنَ الأفكـارِ

والحكـيمُ المفيـدُ مـن دورةِ الأيـام ... كـلُّ التفاتـةٍ ، باعتبـارِ

حـين يتلـو سـفرُ الحيـاةِ فتلقـاه ... وجـوهُ العظـاتِ في الأسـطارِ

غـيرَ أنَّ الـشيطانَ يـوغرُ صـدراً ... لم يكـن بـالخليقِ بالإيغـارِ

ويـضلُّ الفتـى الـذي ملكتْـه ... سـورةٌ في الـورودِ والإصـدارِ

وعجيـبٌ أن يطمـئنَّ لـه القـومُ ... فيقتـادَهم لكـلِّ خـسارِ

ناسـياً هـولَ مـا مـضى مـن مـصابٍ ... بـين قلـبٍ جَـوٍ ، ودمـعٍ جـارِ !

❖❖❖

يا ابنة الأيكِ : أرسلي النغمَ الرفاف ملءَ الغصونِ والأوكارِ

واهتفي بالشبابِ من فتيةِ النيلِ يُخلُّوا الندىَّ للسمارِ

أوقدي فيهمُ الحماسة يقظى إن دعا للوغى دعاةُ الفخار

واحشدي من صفوفِهم كلّ جيش للمعالي ، عرمرمٍ ، جرارِ

وابعثي فيهمو مقالاً حكيماً بين كرِّ الآصالِ والأسحارِ

كتب النصرُ والخلودُ لشعب غيرِ مستضعفٍ ، ولا خوّارِ

يثب الوثبةَ التي صوّر الماجدُ فيها آمالَ زند وارِ

فدعوا عنكم التواكلَ والفخرَ بتاريخِكم ، وبالآثارِ

❖ ❖ ❖

يا ابنة الأيكِ : أجفلَ الخاطرُ الآمن بين الأهوال والأخطارِ

وانثني الشاعرُ الوديعُ إلى الريفِ بعيداً عن محنةِ الأمصارِ

ومضى في حقولِه ... يتغنَّى لجواميسِه وللأبقارِ !!



وحي الساعة

١. خصوصيات

قلبتُ طرفيَ في حالٍ وفي حالِ فارتد حيرانَ في حِلٍّ وترحالِ
لقد ذرعتُ بلادَ الله أجمعها لم أحظ في بلدٍ منها بآمالي
وكيف أحظى بآمالي ولي زمنٌ يحطني ، إن سما بي الجدُّ ، من عالِ
كلفتُ بالشعر يشقيني وأسعدهُ برائقٍ من نميرِ الوحي سلسالِ
وما انتفاعي بأشعاري وتلك يدي تشكو من الشعر أصفادي وأغلالي
وما جحودي بميسور ، وإنْ رمدتْ عينُ الحسودِ ، وعينُ الرهطِ والآلِ

***

قومي هم الداءُ ، لا طبٌّ لما جرحوا فما شكاتي لغير العمِّ والخالِ؟!
ذرني وإياهمو في فدفدٍ صفرتْ فيه الرياحُ على وحشٍ وأغوالِ
ولا تملْ بي إلى الأبياتِ عامرةً أواهلُ الدور قد هيجن بلبالي !



(*) بمناسبة موسم الشعر الذي عقد بالقاهرة في يونية ١٩٣٦ (الأهرام في ٩ يوليه ١٩٣٩).

٢ـ حرب الحبشة

في جانب الشرق نارٌ لا خمودَ لها ... تشبُّها يدُ ماضي العزمِ ختالِ

«تانا» [١] أغار عليها نابلٌ دَرِبٌ ... يرمي البقاعَ «بخناق» وقتالِ [٢]

العزّلُ الآمنون الدهرُ روّعهم ... بحاصبٍ في سماتِ الطيرِ محتال

مطامعُ الأممِ الطاغين طاغيةٌ ... فكلُّ واهٍ بنارٍ منهمو صالٍ!

ضاقتْ بهم رحبةُ الأوطان فالتمسوا ... رحبَ المنازلِ في بيدٍ وأدغالِ

مالوا بعرش [٣] أدان الفرقدين له ... على تعاقبِ آبادٍ وأجيالِ

وأرسلوا ربَّه في الأرض يذرعُها ... في ذلِّ أضيعِ أفاقٍ وجوّالِ

◆◆◆

قال الرواةُ: غريمُ الظلمِ منتصفٌ ... وفي «جنيفَ» [٤] قضاةٌ جدَّ عدالِ

وما القضاةُ، ولا الأحكامُ نافعةٌ: ... من ينصفُ الشاةَ من أنياب رئبالِ؟

قضيةٌ حَكَمَ المستكبرون بها ... فالعدلُ فيها غبينٌ طيَّ إغفالِ



(١) بحيرة تانا أو «تسانا» من منابع النيل في الحبشة.

(٢) إشارة إلى قنابل الغازات الخانقة وغيرها.

(٣)عرش النجاشي ملك الحبشة.

(٤) إشارة إلى محكمة العدل الدولية وعصبة الأمم.

٢ـ محنة فلسطين

يا ويحَ للشرقِ كم يُرمَى بمجترئٍ ... من الطغاةِ وكم يشقى بمغتالِ ؟!
في «أورشليم» وقد حجَّت معالمها ... هامُ الطوائفِ مِن مَلكٍ وأقيالِ
مذابحُ ، ما رأى التاريخُ مشبهَهَا ... تشيبُ من هولِها أفوادُ أطفالِ
النازحون إليها ملءَ جعبتِهم ... سبائبُ الشرِّ من نارٍ ومن مالِ
قضوا على أهلِها أنْ لا حياةَ لهم ... إلا مبهرجةً من زيفٍ أو شالِ
قد أخرجوهم من الدورِ التي سكنوا ... يلقون طلَّ لياليهم بأسمالِ ...!
وجردوا عنهم الأرضَ التي زرعوا ... فَبُدلَ القومُ مِن خصبٍ بإمحالِ
إذا شكوا ... أذُن الوالي بها صممٌ ... أو استثيروا ، فهذي نقمةُ الوالي
لله قومٌ أطال الدهرُ محنتهم ... يا ليت يجديهمو بالشعرِ أمثالي



٤- مات الملك ، فليحي الملك

مرحى مليكَ الشباب المستعزِّ بما ... يلقاه من أي إعزازٍ وإجلالِ

اليمنُ في وجهِك الوضاء مؤتلقٌ ... وفي ثناياه سيما غرٍّ أبطالِ

لا غروَ أن تبلغَ المجد الذي بلغتْ ... يدا أبيك ، فعالي المجدِ عن عالِ

يا بنَ الذي دانتِ الدنيا لصولته ... وضلَّ شانئيه بين النبعِ والضالِ

لئن تكن شيعتْه مصرُ والهةً ... وروَّعتْ يومَ منعاه بزلزالِ ..!

فقد تعزَّي بك « الوادي » ولا عجبٌ ... السبقُ منكم ، ومنكم تابعٌ تالِ

❖❖❖

صوادحُ الطيرِ لم تبرحْ مغردة ... بما نظمتُ ، بأسحارٍ وآصالِ

روائعي لم يخطّ يوماً بها قلمٌ ... مدى الزمانِ ولم تخطرْ على بالِ

إنْ كان بابُك بالأشعارِ محتشداً ... أنا الجديدُ ، وغيري المخلقُ البالي

فكيف أرضى بسعيي في طوائفهم ... وليس في القومِ أشباهي وأمثالي ! ؟



وادِي الجحودُ

دفعتُ إلى الوادي بشعري ، فلم أزلْ على حسدٍ يغري الجُحودَ بآلائي
وما الشعرُ إلا نفحةٌ قدسيةٌ وصرخةُ أحزان وهتفةُ إيحاءِ
وما أنا بالشاري به الحمدَ إن يكنْ يسوءُ خصومي أو يسرُّ أحبائي
ويا ليتَه يُشفي من القلبِ غلة ويا ليته يأسو جراحي وأدوائي
وكيف انتفاعي بالقريضِ ، وسوقهُ كسادٌ ، كسوقِ الحرِّ بين أرقاءِ
قرعتُ به بابَ الرجاءِ لعلني أفوزُ بتقريبٍ ، وأحظى بإدناءِ
فما فزتُ إلا بالأياسِ وقولةٍ تقوَّلها الحسادُ ، بغيةَ إيذائي
وجئتُ «عكاظا» باللآلي وجاءها سواي بزيفٍ مستخسٍّ وحصباءِ
وأشبهتُ «داودا» بها مترنما فهل نعقَ الغربانُ فيها بإقصائي [1]
وما قدَّرتْ قدري «عكاظُ» ولا أرعوت لنصحي ، وتحذيري ، بقولي وإيمائي
وما ربحتْ أمس الرهانَ جيادُها وإنْ كان منها كلُّ أكحلَ عَداءِ
فوارسُها كُثرٌ ، وليسوا كواحدٍ يُدل بروحِ بالكرامةِ مشاءِ
يُجِلُّ عن الميدانِ حافرَ مُهره ويكبرُه أن يستمال لإغراء
فما هو مستندٍ ، ولكن أخو ندي وأشرفُ من أخذِ الفتى فضلُ إعطاءِ
كذلك دأبي ، ما أرومُ بديلَه أُجابُه سرائي عليه وضرائي
وقد ضقْت بالوادي وطول جحودهِ وجفوةِ أقوامي ، وكيدِ ألدائي

(*) على ذكر موسم الشعر الأهرام في ٥ يوليو ١٩٣٦ .

(١) أبعدت قصيدة «وحي الساعة» بعد إدراجها رسمياً في برنامج موسم الشعر .

ومـا لىَ ي الـوادي المبـاركِ منـصفٌ ... ولا لىَ فيـه مـن سـميعٍ ولا رائـي

هـــوايَ بـــه دانٍ ، بعيـــدٌ منالُـــه ... فـما هـو بالـداني ، ولا هـو بالنـائي

أراه ، ومـا أبـصرتُ يومـاً بشخـصه ... وقد خابَ فيه نور عيني وأضوائي

وأعرفُـــه ، مـــا إنْ أحطْـــتُ بـــسره ... وجهـلي بـه طبي ، وعلمي بـه دائـي

تعـشَّقته ، حتـى عـشقت بـه الـضنى ... وقـد رَدَّ إصباحي هـواه كإمـسائي

حيـاتي بـه عُمـرٌ شـقيٌّ مـضيَّعٌ ... فهل آن إسعادي ، وقد طالَ إشقائي

أجاهـدُ أحـداثَ الزمـانِ بعزمـةٍ ... صمدتُ بها في وجهِ أفـدحِ دهيـاءِ

وفجـرّتُ في «الـوادي» عيـون مـدامعي ... إذا ظمئـت منـه القلـوبُ لإرواءِ

ورجعـت فيـه لحـنَ حبـي كأنـه .. ... هـديلٌ ، فلـم أظفـرْ لديـه بإصـغاءِ

وأخلـصتُه ودي ، ومـا كـان ودُّه ... عـلى غـيرِ أضـغانٍ ومنـزعِ أهـواءِ

شـقيتُ وأسـعدتُ البيـانَ بـصفحةٍ ... مـن المجـدِ والـذكرِ المخلـد بيـضاءِ

◆◆◆

عـلى أنَّ في «الـوادي» مثـارَ لجاجـةٍ ... ومعرضَ إرجافٍ ، ومعصفَ أنواءِ

تطـاولَ قـومٌ فاسـتباحوا حمـى لـه ... جلالـةُ إكبـارٍ ، وروعـةُ إعـلاءِ

وحـسْبي أني فـوق هـامِ جمـوعِهم ... أطـلُّ بـآلائي وأزهـى بنعمائـي

وأجـزي على الإحسانِ حُسنى خليقـةً ... بفضلي ، وكم أجزي المسيء بإغضائي

مواكـبُ أشـعاري الـسنونُ مديـدةً ... وسـيانَ إسراعـي بهـنَّ وإبطـائي !

أيجحـدني الـوادي ، ويـبخسُ فطنتـي ... وينكـرني فيـه بنـاتي وأبنـائي ؟!



الإذاعة في عيدها

جـــددي في زمانِـــك الأعيـــادا وخـذي مـن فمـي ثنـاءً معـادا

وابعثـي مـا طـوي الـبلي مـن عكـاظٍ عــلَّ مــأثورَ مجـدِها أنْ يعـادا

وأقيمـــي في مـــصرَ ســوقَ بيـانٍ يمــلأُ الــشعرُ رحبَهــا إنــشادا

وانـشري رايـةَ القـوافي عـلى الكـونِ تظـــلّ العبـــاقرَ الأمجـــادا

أرســلي في الأثــير مــن كــلِّ لحــن تتهــادى بــه الــصبا ، إنْ تهــادى

حمِّليـــه رســـالةً تعـــبرُ الأفــقَ وتعلــو الــربي ، وتطـوي الوهــادا

كــان جبريلُهــا الــذكاءَ ، وكانــت آيهــا الــوحيَ ، رائعــاً ، مــستفادا

ركــبَ العلــمُ في سراه ســنا الــبرقِ وفــات الــشوامخَ الأطــوادا

وتــسامى إلى الــسمواتِ ، يرقـــى بــين أطباقِهــا العــلى ، إصـعادا

يــزحمُ الــسحبَ في مـداها ، ويجـري شــوطَه بينهــا ســبوقاً جــوادا

وســعى في مناكـــب الأرض ثبتـــا لا يمـــلُّ الإصـــدارَ والإيــرادا

كلـفٌ بالــسرى مـع الليـلِ ، والـسيرُ مــع الــصبح ، همــة ، وجــلادا

لكـــأني بـــه يفـــتش في الكـــون جميعــاً ، عــن هــاجرٍ قــد تمــادى

(*) لمناسبة العيد الثالث للإذاعة اللاسلكية المصرية (الأهرام في ٦ يوليه ١٩٣٨).

يذرعُ الأرضَ وشْكَ لمحك بالعين ... ويطوي سهولَها والنجادا
ساحرٌ في المثال، فنُّ سليمان ... وعاه، لباقةً، وازدادا
هاتفٌ بالعجيبِ من لغةِ الطير ... يجلّي ذكاءه، وقادا
ومغنٍّ إسحاقُ بعضَ جواريه ... سمعنا غناءه مستعاداً
وخطيب مفوَّهٌ، يسحر السمع ... بياناً مطاوعاً منقادا
وهو الشاعرُ الذي ينظمُ الدر ... عقوداً تزيّن الأجيادا
وهو القارئُ المرتل آي الذكرِ ... أنعمْ برجعِها إسعادا
والإمامُ التقيُّ يدعو إلى الله ... فتعنو الوجوهُ أيّانَ نادي
وإذا شئتَ، فهو صاحبُ هزلٍ ... يضحكُ الميتَ هزلُه والجمادا
وسميرٌ مهذبٌ، بحديثٍ ... يستميلُ الأجدادَ والأحفادا

◆◆◆

إيه يا دارُ، لا عدمتِ بيانا ... قد تخذناه عدةً وعتادا
لا ترومي غيرَ القوافي ثناءً ... وتحايا تجمّلُ الأعيادا
إنما الشعرُ هاتفٌ قدسيٌّ ... يسترقُّ النهي، ويسبي الفؤادا
قد رضيناه في الحياةِ حبيباً ... وحفظنا له الهوى، والودادا
وبلغنا به منانا من الدهرِ ... وصرنا في غيرِه زهادا
ما على الشعرِ إن يصبه كسادٌ ... في بلادٍ يشكو بنوها الكسادا
تشتري الزيفَ بالفرائدِ حمقاً ... وتبيعُ العبيدَ والأسيادا

◆◆◆

إيــه يــا دارُ : لا تُراعــي لنقــدٍ … إنــما المجــدُ يــوغرُ النقــادا
لا تــزالين دوحــةً تفــزعُ الطــيرُ … إليهــا ، جماعــةً وفــرادى
تفــد الــسربَ بعــد سرب تغنــي … وتهــز الغــصونَ والأعــوادا
فــامكثي بَــرةً بعهــدِك للنيــل … وخــلي اللحــاةَ ، والحــسادا
قــد شــكرنا بــيضَ الأيــادي ذويهــا … لم نكــنْ ســاعةً بهــا جحــادا
وعرفنــا الجميــلَ للــصاحب الأمثــلِ … حمــداً ، مــضاعفاً ، مــستزادا

❖❖❖

كيــف نكــرانُ مــا تــؤدين والحــقّ … مبــينٌ ، يــستنطقُ الأشــهادا
قــد وصــلتِ الــبلادَ شرقــاً وشرقــا … ووصــلتِ اللــسانَ ضــاداً وضــادا
وجمعــتِ الأشــتاتَ جمــع قــديرٍ … قــرّب المنتــأى ، وأدنــى البعــادا
واطمأنــتْ لــك العروبــةُ ، لمــا … آنــست فيــك كــلَّ خــيرٍ أفــادا
وأتينــاك بــالقوافي حــساناً … رائعــاتٍ خــواطراً تتهــادى
وبعثنــا إليــك بــالنغمِ الــسا … حــرِ ، عــذباً ، مهفهفــاً ، ميــادا
تتغنــى بــه الــشآم ونجــدٌ … ويــدوى صــداه في بغــدادا



الانتخابات

تساءلَ قومٌ، فيم صمتي، وقد شدا ... بشعري لسانُ الطيرِ، في رفرف الخلدِ
ومن ودهم أن أنظمَ الدرَّ غاليا ... أحيِّي به المأثورَ من عزمة الجندِ
وما أنا والجندُ الذين تواكبوا ... لنصرةِ «بكرٍ» في الصيالِ على «زيدِ» !
وما أنا والأشعارُ، أطلبُ وحيها ... لأزجي به للذمِّ، حينا، وللحمدِ
وما أنا إلا صادحٌ مترنمٌ ... يغني بسلمى أو يحنُّ إلى هندِ

◆◆◆

بني وطني : لا يصدع الوهمُ شملكم ... فينصرف الخلانُ عن سابق الودِّ
خذوا حذراً من كاذبِ الوعدِ إنني ... شربتُ القذى والمرَّ من كاذبِ الوعدِ
مُنىَ الواعد الكذابِ «صوتٌ» ينالُه ... بسوطِ عذابٍ، لو يصبُّ على الحشدِ
فيقطعُ عهداً بالوفاء لودِّكم ... وما هو إلا خاتلٌ ناكثُ العهدِ
أيزجي لكم زورُ الأماني هدية ... فيا بؤسَ ما يزجي، ويا بئس ما يهدي
ويخطبُ فيكم زاعماً أن جهده ... رهينٌ بما ترضون في القرب والبعد
ويجمعُ أشلاء البيانِ يصوغُها ... عقوداً من الحصباءِ كاللؤلؤِ الفردِ؟
وما كلُّ قولٍ يطربُ السمعَ صادقٌ ... ولا كلُّ وضاحِ الثنايا بمستهدِ
وما كلُّ خطّارِ السحابِ بماطرٍ ... وإنْ روّع الآفاقَ بالبرقِ والرعدِ
دعوا عنكم زيفَ المقال، فسمُّه ... قتولٌ، وإنْ ذقناه أحلى من الشهد

(*) أهديت إلى المغفور له محمد محمود باشا الذي نُظمت استجابة لرغبته (الأهرام في ٢٤ مارس ١٩٣٨).

وميـدانُ هـذا القـول مـا زال خاليـاً يرددُ صوتَ الـذئبِ في غيبةِ الأسـد ؟

❖❖❖

بنـي وطنـي : شـعري فـداكم وفطنتـي إذا مـا دعـا داعـي الفـداءِ إلى الجـدِّ

خـذوها تحايـا ، عطّـرَ الكـونَ عَرفُهـا مـضمخةً بـالآسِ ، ريـانَ ، والنـدِّ

ولا تـسألوني بـث مـا بي مـن الجـوى فبي فوق ما بالناس من برحِ الوجدِ

وإني لألقـاكم طروبـا ، وإنـما أخبئُ عنكم صابرا ، غير ما أبدي

فـلا تزعجـوا صـمتي ، وعزلتـي التـي فـررتُ إليهـا بعـد مـستيأسِ الجهـدِ

عـلامَ نـزولي حومـةَ بعـد حومـةٍ أصاولُ فيها ابني ، فيدمي بها زندي

وفـيمَ احتـشادي للخـصيمِ أعينـه بشعري على ندٍّ ، ليوهي قوى الندِّ

بنيـتُ لغـيري فاسـتطال وفـاتني إلى الله مـا أشـكو التعثرَّ مـن جـدي

وحتـام هـذا الـشعرُ نـرخص قـدره فيـسعى بـه مـولى البيـانِ إلى العبـدِ ؟

❖❖❖

بنـي وطنـي ، مهـما أعـدتُ مقـالتي فللحـقِّ منـا مـا أعيـدُ ، ومـا أبـدي

بعثـتُ إلـيكم بالنـصيحةِ ، هـل أرى لهـا مـصغياً يرجـو الهدايـةَ للقـصدِ

ومـا أنـا وحـدي فيكمـو ناصـحاً ، ولا شـعرتُ بـما يتنـابُكم من أذى وحدى

ولكـنكم رمـتم بيـاني ، فهـا كمـو بيـانيَ طاقـاتٌ مـن الزهـرِ والـوردِ

سلوا الشعرَ كم أسعدتُه وكم أنثني ... فكأني بالنحس حينا ، وبالسعدِ
ولا تحسبوني شاكياً منه للذي ... جني وتجني في وصالي وفي صدي
يروض جماحي إذ أروضُ جماحَه ... وآخذُ ما يعطي بكلِّ الذي عندي
وما أنا بالراجي به نقعَ غلتي ... وما هو بالشافي سقامي ولا سهدي
وزهديَ في دنياكمو كلُّ غايتي ... إذا كانت الآمالُ تُبنى على الزهدِ

◆◆◆

بني وطني ، لا تنكروا من تنكري ... لدنيا أجاريها على الحرِّ والبرد
لقد سلبتني الحادثات ، فلم تذر ... سوى الوجد يغري بي السقامُ وما يجدي
ومن عجبٍ حرصي عليه ، كأنما ... أخافُ زماني أن يغير على وجدي



الانتخابات ... أيضاً

دفعتُ إلى قومي بشعري فلم ينوا، على الشك ،يستقْرون شكواي في شعري
وقد راعهم أني بسطتُ الذي أرى وأنعى على دنياي ، من أمرِها النكرِ
وقد كنتُ آثرتُ السكوتَ زهادةً فما في انطلاقِ القولِ من أملٍ يغري
ولكنهم ظنوا سكوتي تحرجاً فصغت بياني من جمانٍ ، ومن درِّ
وأزجيته يستهضُ العزمَ فيهمو ويبعثُ فيهم نفحةَ النبلِ والخيرِ
وقد كان من ود الذين ترنموا بشعري ، أن يلقاهمو باسِمَ الثغرِ
ومَن لبياني بابتسامةِ ظافرٍ وقد غلبتني الحادثاتُ على أمري؟
تجهمَ لي وجهُ الزمان ولم يزلْ يكافئُ جهدي بالعقوقِ عن البرِّ
وأبصرتُ بالصحب الذين حفظتهم تناسوا قديمَ الودِّ من حيث لا أدري
وألفيتُ نفسي لا أنيسَ لوحدتي سوى الدمعِ في عينيّ ، والنار في صدري

◆◆◆

سهرتُ ، وليلي لا انبثاقَ لفجرِه كأنَّ لقائي مكرةٌ غرة الفجرِ
ومن حولي الأحزانُ ، أجمع شملَها لأغري بها صبري ، وقد ملَّها صبري
أغني لها لحناً ، ترددُ مثلَه على باسقاتِ الدوحِ ، صداحةُ الطيرِ
وأرجو جواها أن ينامَ مثارُه وأنْ يثني عني ، مليا ، إلى غيري
ولكنه صنوي ، فليس مفارقي ولا هو قالٍ صحبتي ، آخرَ العمرِ

(*) الأهرام ٢٨ مارس ١٩٣٨ على ذكر قصيدة «الانتخابات» أهديت إلى المرحوم الشاعر على الجارم «الذي أوحى بنظمها» .

بني وطني ؛ بالأمس أرسلتُ صيحةً بعثتُ بها الميتَ الرديمَ من القبرِ
وما هي في وادٍ خلاءٌ رحابُه يضيعُ به صوتُ النصائحِ والنذرِ
ولكنني أرسلتُها في ربوعِكم بوادٍ عمارٍ ، لاخلاءٍ ، ولا قفرِ
فهل لقيتُ منكم سميعاً نصيحتي وهل تركتْ في سمعه أثرَ السحرِ

◆◆◆

مناي ، أراكم ناهضين إلى العلا تظلكمو الراياتُ من سندسٍ خضرِ
موحدةٌ غاياتُكم وخطاكمو إلى المجدِ ، والآمالِ ، والبرِّ ، والنصرِ
فكم يسّرُ الشملُ العسيرَ طلابِه وكم أعسر التشتيتُ من مطلبٍ يسرِ
وقد جمعتكم في الحياةِ مآربٌ سواء ، قصاراها العُلا لبني مصرِ
فسيروا إليها عصبةً ، وتعاونوا على محنِ الدنيا ، وعاديةِ الدهرِ
دعوا عنكمو هذا التنابذَ ، إنه يعينُ عليكم ما تخافون من ضرِّ

◆◆◆

بني وطني ، لا تخدعنكم شقاشقٌ من الواعد الكذاب ، عن صحة الأمر[1]
ولا تطمئنوا للمنى ، وتبينوا حقيقةَ ما تطوي ، من الحلوِ والمرِّ
ولا تثقوا بالعهدِ يقطعُه فتى يصانعُ دنياه على الخيرِ والشرِّ
ولا تمنحوه «صوتكم» عن جهالةٍ فإنَّ مكانَ «الصوتِ» أغلى من التبرِ
ولا تسرفوا عند اللجاجِ فتبخسوا تفوقَ «عمرو» في القياسِ على «بكر»

---

(١) بعض مرشحي الانتخابات ، ووسائلهم في الإعلان .

أقروا بفضلِ الماجدين، وحاذروا ... من المنطقِ الخلابِ، والمظهرِ المغري

إذا الواعدُ الكذابُ فاز بجلسةٍ ... على المقعدِ[1] المحفوفِ بالزهو والكبر

تنكرُ من بعدِ الوفاءِ لودكم ... وجازا كمو بالصمت عنكم، وبالزجرِ

كأنكمو لم ترفعوا، أمس، ذكرَه ... ولم تنشروا في سبلهِ عاطرَ الزهرِ

◆◆◆

بني وطني، مني إليكم تحيةً ... من الآس والريحان، والسوسن النضر

أعيذكمو أن تنكروا من مقالتي ... وأن تخطئوا فهمي، وأن تغمطوا قدري

فقد طالما أزجيتُ شعري إليكمو ... وفياً شريفاً، لا يذمُّ ولا يطري

لعل القوافي، إذ أروض جماحها ... تذكر بي قومي ... وحسبيَ بالذكرِ

وما فوقه أبغى جزاءً، وإنني ... لأقنعُ منه باليسيرِ، وبالنزرِ !!



(١) مقاعد البرلمان.

ذكرى سعد زغلول

هـــل ينتهـــي عـــن بَثِّـــه وبكائِـــهِ — أم ينـــزعُ المحـــزون عـــن برَحائِـــه

أســيانُ ، غـــام الكـــوين في عبراتِـــه — فمـــشى مريـــبَ الخطـــوِ في ظلمائِـــه

حيرانُ .. يـضربُ مـضربَ الـضُّلال في — شُـــعب الظـــلامِ ، وفي دُجـــى بيدائِـــه

هـــيمانُ ، مخـــتلطُ الفـــؤادِ ، محُـــاذرٌ — في جانـــب الـــوادي ترقـــرقَ مائـــه

ظمـــآنُ ، مـــا لاح الـــشرابُ لعينـــه — إلا وشـــاب الهـــمُّ صـــفوَ روائِـــه

لهفـــانُ ... يـــسأل بالحبيـــبِ وبـــالمني — غـــرِد الغـــصون ، إذا شـــدا بغنائِـــه

ســـهرانُ ، لم ترحمـــه أشـــباحُ الـــدجي — مـــن جهـــدهِ البـــادي ، ومـــن إعيائِـــه

نـشوانُ ، بالـسحر الـذي شربَ الـورى — مـــن رنقـــه تلفـــاً ، ومـــن صـــهبائِه

يقظـــانُ ، للـــذكرى ، إذا مـــا هـــاتفٌ — منهـــا ، دعـــاه ، كـــان عنـــد دعائِـــه

❖❖❖

يـا سـعدُ ، قـد جـرت الليـالي شـوطها — والـــشوطُ منـــتهجٌ إلى نظرائِـــه

تمـضي الليـــالي ، ثـــم تمـــضي ، دوننـــا — والكـــونُ كالبـــاقي لغـــيرِ بقائِـــه

صـــوَرٌ ملونـــةٌ ، تلـــوحُ وتختفـــي — بيـــدِ الفتـــى المشكوِّ مـــن عَـــسْرائِه

الـــدهرُ ، يـــا للـــدهرِ في يقظاتـــه — مهـــما خلـــسنا الـــيمنَ في إغفائِـــه

حـــربٌ عـــلى العليـــاءِ ، يـــصرعُ أهلَهَـــا — بـــسلاحِه الختـــارِ ، يـــا لمـــضائِه !

إن لاح في أفـــقِ المعـــالي نـــابغٌ — فَـــرَعَ النجـــومَ الزُّهـــرَ في عليائِـــه

لم يكتحـــلْ للـــدهرِ جفـــنٌ أو يـــرى — أحداثَـــه ترميـــه في أحـــشائِه

(*) الأهرام ٢٣ / ٨ / ١٩٣٩ .

فتظـلُّ دنيـاه تنـوءُ بثكلهـا ... وتكابدُ المشبوبَ من برحائِـه

وتظلُّ ساجعةُ الغصونِ على المدى ... تبكـي نـضيرَ شبابِهِ وفتائِـه

ويظلُّ هـذا الشعرُ يرثـي مجـدَه ... ويذودُ وحشَ الطيرِ عن أنسائِه

◆◆◆

يا سعدُ ، والدنيا كما أنا مبصرٌ ... والكونُ يشكو من أذى زعمائِـه

في جانبِ الأفقين أقوامٌ طغوا ... ورأوا بعينِ الظلمِ أفقَ سمائِه

واستمرأوا العدوانَ في دنيا سعوا ... بحطامها الباقي إلى حدبائِـه

وعدوْا على التاريخِ في أجيالِـه ... ومَحَوا سطورَ المجدِ من إملائِـه

وطووا من السفرِ القديمِ صحائفاً ... كتب الجهادُ فصولَها بدمائِـه

وتنكروا للحـقِّ ، لما جاءهم ... يدعو إليـه النصحُ من نصرائِه

واستكبروا لما أتاهم مرسلٌ ... بالأسِ يحملُـه جناحُ وفائِـه

زعموا رحابَ الكونِ ضاقت دونهم ... فاسترحبوا المأهولَ من أرجائِـه

ومضوا إلى قوم تـدارُ كؤوسهم ... بالصفوِ يسقى الشربَ من ندمائِـه

أخذوهم أخذَ العزيـزِ ، وإنما ... بطشُ العزيـزِ يبينُ في ضعفائِه

اللهُ للشعبِ القليـلِ ، إذا أتـى ... هـولُ المصابِ على حجـي كبرائِـه

◆◆◆

قم يا خطيبَ النيلِ ، أمتعْه بما ... ينسيه ما عاناه من خطبائِه

ضجرتْ بهم شرفُ المنابرِ وانبرت ... تشكو بيانهمو إلى أصدائِه

الراجمون بكلِّ لفظٍ واقرٍ ... ينهال شبةَ الصخرِ في إهوائِه

يتقاذفون به على غيرِ الهدي ... وعلى اشتجارِ الخلفِ ، في أهوائِه

وإذا الهوى أسرَ البيانَ فحسبُه ... من ذلةٍ ، أن بات من أسرائِه

دينُ البيانِ لحقٍّ ، في حريةٍ ... تلقاه بين صباحه ومسائِه

ولأنت أولُ من أقام لدينِه ... صرحاً سما بالجِدّ ثَبتُ بنائِه

أو أنت آخرُ من رعى ذمماً له ... أغرى بها الشيطانُ في إغوائِه

كنت الكفيلَ بمحكم من آيةٍ ... «سحبانُ» لا يرقى إلى إنشائِه

فإذا رضيت ، فهن زهر خمائل ... يسبي العقولَ نضيرُه برُوائِه

تهدي إلى الأقوام من طاقاتِه ... ما يسعدُ المحزونَ في بأسائِه

فإذا غضبت ، فهن جمرٌ سعِّرتْ ... قذفاتُه ، وانصبَّ من أجوائِه

كم ذا وقفتُ على المنابرِ داعياً ... للحقِّ ، مجترئاً على أعدائِه

ترمي الطغاةَ بساحرٍ من منطقٍ ... الفنُّ والإلهامُ من أسمائِه

وحيٌ من الله العلي ، تحدَّرَتْ ... آياتُه ، ونطقت عن إيحائِه

لم تخشَ فيه الظلمَ يعصفُ بالقرى ... والنفيَ عن وطنٍ ، وعن أفيائِه

ولئن يكنْ بالضُّرِ مسَّك حقبة ... فالمجدُ والتخليدُ من ضرائِه

هتفتْ بك الدنيا ، كأنك ملئُها ... سرُّ الحياةِ ، بسينه ، وبرائِه!

◆◆◆

يا موقداً في النيلِ جذوتَه التي ... بعثت دبيبَ الرعبِ في خصمائه

فليَهنِ سرّك أن تلك قضيةٌ ... الدهر أنصفها بمحضِ رضائِه

عدنا ، وعاد الأبعدون كما ترى ... نُنمي بشطِّ النيلِ نبتَ رخائِه

إنـــا وإيَّـــاهم ، لنرجـــو خـــيرَه ... ونــشيدَ بـــالأخلاقِ صرحَ علائِــه

ونــذودَ عنـــه الـــواردين ، فـــما لنـــا ... مـــن مـــوردٍ صـــافٍ ســـوى نعمائِـــه

جمعـــت رغائبُنـــا القلـــوبَ ، وإنهـــا ... إن تـــأتِ قلبـــاً ، يَخَـــلُ مـــن بغـــضائِه

ولـــنحنُ بالـــصفحِ الكـــريمِ وفـــضلِه ... أولى وأجـــدرُ أمـــةٍ بثنائِـــه

ننـــسى الإســـاءاتِ التـــي ســـلفتْ ومـــا ... ننـــسى جميـــلَ الـــصنعِ في آلائِـــه

◆◆◆

يـــا ســـعدُ : والـــوادي خميلـــةُ صـــادح ... نـــادَى المنـــى ، والـــشعرُ رجـــعُ ندائِـــه

هـــذا هـــو الفجـــرُ الرطيـــبُ ، وهـــذه ... أنـــداؤه ، أشـــهدت مـــن أندائِـــه

ألقـــى التحيـــاتِ الرقـــاقَ عـــواطراً ... للزهـــر ، يوقظُـــه بمـــسِّ ردائِـــه

أو لم تكـــنْ أنـــت البـــشيرَ بنـــورِه ... قبـــل الطلـــوعِ ، وبانبثـــاقِ سنائِه

فلـــيهن سرَّك ، أنّ تلـــك أريكـــة ... في ربـــوةِ الـــوادي ، وفي بطحائِـــه

شخـــصتْ لهـــا عـــينُ الـــسماء رعايـــةً ... وهفـــا النـــسيمُ الـــسمحُ في إسرائِـــه

مـــولاي فـــاروقُ العزيـــزُ أعزَّهـــا ... بالطـــاهرِ اللـــماحِ مـــن ســـيمائِه

أضـــفى عليهـــا مـــن جـــلالِ جمالِـــه ... وشـــبابِه الـــضاحي ، ولمـــع ذكائِـــه

فـسَمت إلى وادي الـشموسِ ، وحَلَّقـتْ ... بمـــدارِها العـــالي عـــلى جوزائِـــه



قلم يتطوع

يـــا وزيــــرَ الــــدفاعِ ، إنَّـــا ســـمعْنا داعــيَ الحــربِ ، يــا وزيــرَ الــدفاعِ
فأجبنـــــا دعـــــاءه ، وانبعثنـــــا متنـــادين ، في الربـــى واليفـــاعِ
نرفـــعُ الرايـــةَ التـــي وصــل النــصرُ بهـــا همـــةَ الفـــؤاد الـــشجاعِ
ونزّجـي الـصفوفَ في ظلِّهـا الممـدود في غـــيرِ خـــشيةٍ للـــصراعِ
زُمــراً في البقــاعِ ، تستـصغرُ المـوت إذا كـــان فيـــه عـــزُّ البقـــاعِ
وجنــوداً للحــقِّ ، إن صــاح فــيهم هـــاتفُ الجـدِّ ، عـــاد جـدَّ مطـاعِ
ينــصرون «الحليــف» في كــلِّ أرضٍ روَّعتهـــا مـــآثمُ الأطـــماعِ

◆◆◆

يـــا وزيـــرَ الـــدفاع ، إني مجيـــبٌ للمعـــالي ، وللـــوغى ، كـــلَّ داعِ
غـــير هـــذا البيـــان أخطـــأ جـــدي فهــو دنيـــايَ كلهـــا ، ومتـــاعي
غــير أني أحــدو بــه الفيلــقَ الزاحــفَ في كـــلِّ وثبـــةٍ وانـــدفاعِ
وأصـــوغُ القـــريضَ أنغـــامَ ســـحرٍ تتغنـــى بهـــا ليـــالي الـــوداعِ
فتقبـــلْ جهـــدَ المقـــلِّ ، ولا تبخـــل عـــلى صـــوتٍ قلبُـــه باســـتماعِ
فكثـــيرٌ مـــن الـــورى يحمـــلُ الـــسيف ولا يـــستطيعُ حمـــلَ الـــيراعِ ؟!



(*) الأهرام في ٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، قيلت وسط أجواء دعوات الحرب العالمية الثانية ودعوات دول المحور للزحف على مصر في مواجهة «الحلفاء».

خصوصيات

أحزان البيان

قضيتُ بالشعرِ من دنياي أوطاري ... طوبى لدنياي، أو طوبى لأشعاري

هذا البيانُ، وعندي تبرُ معدنه ... أدّى إلى المجد معياراً، بمعيارِ

يا للروائع، كم تجلو عوارفها ... ليلَ الحوادثِ عن صبح وأنوارِ

وددتُ أدرك من شعري وحكمتِه ... ما غاب عن فطنتي في غيبِ أستارِ

قلّبتُ فيه وجوهَ الرأي أجمَعَها ... وطال في البحثِ تجوالي وتسياري

ثم انثنيتُ إلى نفسي أسائلُها ... هل يكسوَن البيان الهيكلَ العاري

وما انتفاعُ أخي الأشعارِ عاليةً ... بصاغةِ الحمدِ من حشدٍ وسمارِ

وليس كالهاتفِ المصغي، وإن خَلقت ... ديباجتاه، ولا كالكاتبِ القاري!

ألستُ بالصائغِ الشعرَ الذي هتفتْ ... به المواكبُ في ساحٍ ومضمارِ

◆◆◆

ماذا أفدتُ بأشعاري وروعتِها ... سوى علالةِ تخليدٍ لآثاري؟!

وما الخلودُ بميسورٍ لعاريةٍ ... غير الخسيسين، من تربٍ وأحجارِ...

ماذا أصاب «امرؤ القيس» الذي عرفوا ... من عبقريتِه مأثورَ أخبارِ؟!

غنّت بآياتِه الأجيالُ واستبقت ... تزجى له الحمدَ في موروثِ أسفارِ

ولات حين ثناءٍ ليس يسمعه ... سوى الذي صاغه مِن جودِ مكارِ!

فيم الثناءُ على الموتى، أنمنحُهم ... درَّ المدائحِ، قنطاراً، بقنطارِ
وهل يردُّ عليهم طيبَ عيشهمو ... طيبُ الثناءِ إذا وافى بمقدارِ؟
يا ضيعةَ الفنِّ، إن لم تمتلئْ يدُه ... بدرهمٍ، يكفلُ الدنيا، ودينارِ

◆◆◆

يا هاتفَ الوحيِ أقصرْ، زدتنا شجنا ... وهجتَ برح الجوى، من برح تذكارِ
ما حيلةَ الشعر في قومٍ إذا حشدوا ... في أهلِه كلَّ طبالٍ وزمارِ؟!
حِمى البيانِ استباحوه، وكان له ... محضُ التجلةِ، من قدسٍ وإكبارِ
قضوا بذلتِه في الأرضِ وانبعثوا ... يستأثرون بغاياتٍ وأوطارِ
إني لأبصره هيمانَ مطرحاً ... يشكو الجناية من إيذاءِ أشرارِ
مروعاً تترامى الكارثاتُ به ... وتبتليه بزلزالٍ وإعصارِ!
بضاعةٌ تهبط الأسواق كاسدةً ... لا بائعٌ رابحٌ فيها ولا شاري
وكان بالأمسِ أغلى ما يعزُّ به ... مجدُ القبائل في بيدٍ وأمصارِ
يعلي ويدني كما شاءت رغائبُه ... رفعاً وخفضاً لأقدارٍ وأقدارِ
يبني ويهدمُ دنيا الخلقِ مِن عجبٍ ... كأنه قدرةٌ في كفِّ جبارِ
ويرزقُ الناس دنيا من فواضلِه ... فيحاءَ، تزهى بجناتٍ وأنهارِ
إذا تبسم فالأكوانُ باسمةٌ ... كأنها الروضُ في إشراقِ آذارِ
وإن تجهّم فالأيامُ عابسةٌ ... نكراءُ ترمي بأكدارٍ وأوضارِ

فــما لدولتِــه دالــت ، ومــال بهــا إلى الحـضيضَ مـلامُ الـشانئ الـزاري
كـأن قـومي رأوا فـضلَ الجحـودِ عـلى أصـــحابِه ، فأثابونـــا بإنكـــارِ
والـــشعرُ أولى بـــإعلاءٍ وتكرمـــةٍ لكــن جزينـا عـلى فـضل بإصـغارِ
أم هــذه شرعــةُ الأيــامِ ، مــن سـفهٍ تختــالُ مــا بــين إقبــالٍ وإدبــارِ
وقـد تعزيـتُ عـن يـومي بـأمس ، وفي غـدي القريـبِ ، رجـاءٌ غـيرُ منهـارِ

◆◆◆

بنـي العروبـةِ هـذا صـوتُ شـاعركم كأنــه نغــمٌ مــن عــزفِ أوتــارِ
تلمــسوا المثــلَ الأعــلى لديـه، وكـم يُـستلهمُ الحـقُّ مـن آيـاتِ أشـعارِ
ولا تــضيقوا بــه إن يَــزْمِ غــاويكم بموجـعٍ مـن شـديدِ القـولِ هـدارِ
قــد يبلــغُ الـشعبُ بـالآدابِ سـاميةً مــا لــيس يبلغُــه بالــسيفِ والنـار



الرسم المحترق

أهـــديتَ لي رســـمَك في نـــشوةٍ ... مـن صـبوةِ الحـبِّ ، وسـحرِ الغـرامْ
وقـــد تفـــضلت ، فطرّزتـــه ... باســمك ، توقيعــاً بــديعَ النظــامْ
مؤكـــداً لي أن قلبـــي لـــه ... فيــك نظــيراً عاشــقاً مــستهامْ
حفظـــتُ للرســمِ حقــوقَ الهــوى ... وصـــنته في مـــأمن لا يـــرامْ
وكنـــتَ إنْ جـــدّت بنـــا فرقـــةٌ ... وعـــزَّ مـــرآك ، وضـــجَّ الهيـــامْ
أخرجتـــه ، أمـــلأُ مـــن حـــسنهِ ... عينــا جفاهــا - في نــواك - المنــامْ
أراك فيـــه حـــاضراً واصــــلاً ... يؤنـــسني مـــن شـــفتيك ابتـــسامْ
أظـــلُّ أدعـــوك بنجـــوي لهـــا ... في خــاطري لطــفُ صــفاءِ المــدامْ
كـــأنما رســـمُك في راحتـــي ... تميمــةٌ - بــالوهمِ - تــشفى الــسقامْ

◆◆◆

وكـــم أطـــال النـــاسُ لي عـــذلهم ... فيــك ، وكــم ذا أسرفــوا في المــلامْ
عاصـــيتهم فيـــك جميعـــاً ، ولم ... يـــرعَ لهـــم عنـــد غرامـــي ذمـــامْ
شُـــبهَ لي ناصـــحُهم بومـــةً ... وصــوتُ حبــي لــك شــدو الحــمامْ
وقـــد ظللنـــا زمنـــا لا تـــرى ... لنــا مثــيلا - في الهــوى - في الأنــامْ
نـــسمو بـــه عـــن ســـانحاتِ المنـــى ... فهـــي علينـــا إن عَدَتـــه حـــرامْ !

(*) مجلة الرسالة ٢٥ يوليو ١٩٣٨.

ومـــا الأمـــانيُّ ؟ إذا لم تكـــنْ　　وصـلُ حبيـبٍ في ليـالي وئـامْ ؟!

يـــا رحـــمَ الله عُهـــوداً طـــوتْ　　في صـفحتيها الـدهرَ ، عامـا فعـامْ!

قـــد لقـــيَ الحـــبُّ بأكنافهـــا　　فيئـاً وريفـاً مـن ظـلال الـسلامْ

ظننتُهـــا تخلـــدُ ، إذ لم أكـــنْ　　أحـسبُ دنياهـا لغـير الـدوامْ

◆◆◆

حتـــى تنكـــرَت لعهـــد الهـــوى　　وسـمته . بالغـدر . سـوءَ الختـامْ

ســـمعت همـــساً دار حـــولي بـــما　　أثمـــت ، وانـــساب إليَّ الكـــلامْ

فكـــذَّبتُ أذني مـــا أســـمعتْ　　عنـك ، وقالـت مـن هـراءِ الطغـامْ

لكننـــي اســـتوثقت مـــن أننـــي　　خـدعت في ودك خـدعَ الكـرامْ

وأســـفر الحـــقُّ مبـــينُ الـــسنا　　وأنـماطَ عـن وجهِـك ذاك اللثـامْ

فعـــدت للرســـم الـــذي صـــنتهُ　　مِـن غـضبي عفرتـه في الرغـامْ

وجئـــت للنـــارِ فألقيتـــه　　كـيما أرى حـسنك بـين الـضرامْ !

حتـــى احتوتـــه في لظـــى قلبِهـــا　　فـاض عليـه مـن دمـوعي سـجامْ ..!



الدمية الحسناء

فيكَ من روعة الجمال نصيبٌ شاهدٌ أن للدُّمَى إغراءَ !
وقديماً أضل قومٌ من الخلق فضلوا ضلالةً عمياءَ
عبدوا الوهمَ والأساطيرَ، حتى قدسوها حجارةً صماءَ
وإذا شاءت المقاديرُ تلهو سخرت للجهالة الفهماءَ!

◆◆◆

لستُ أنسى يوم التقينا وكانت صفحةُ الروضِ، فتنةً تتراءى
الأزاهيرُ رائحاتٌ غوادٍ تتثنى مع الصَّبا كيف شاءَ
والأماني باسماتٌ لعيني يتضاحكن غبطةً وصفاءَ!
والأغاريدُ هاتفاتٌ على الدوح نشيداً يداعبُ الأفياءَ

◆◆◆

ولقد كنت في الخميلة تمثالاً من الحسنِ رائعاً وضاءَ
لاح لي من لحاظ عينيك سحرٌ بابليٌّ، يستضعفُ الأقوياءَ
ودعاني هواك فانطلق القلبُ على وجهِه يلبي النداءَ
فر من بين أضلعي ينشد الحبّ كما تنشد الظماءُ رواءَ
وأتاك المسكينُ حالاً من اللوعةِ تشكو فصيحةً خرساءَ!

(*) الرسالة أول أغسطس ١٩٣٨.

ظـن في صمتِك الـرضى مـن غـرامِ … سِــيمَ فيــه ، غوايــةً شــنعاءُ

عـــادَ لي ضـــاحكاً ، قريـــراً يغنـــي … يمـــلأ الأرضَ شـــدوه والـــسماءَ

فتوهمــــتُ أنـــه رُزِق الخـــير … وأضـــحى يـــساجلُ الـــسعداءَ

ثـــم باركتـــه غرامـــاً عزيـــزاً … قـــد كفـــاني الهمـــوم والبرحـــاءَ

❖❖❖

مــا ســلا القلـبُ عنـك إذ جـدَّ بَـينٌ … صَّــير الـــصبحَ وحـــشةً ظلـــماءَ

شـــفَّني الوجـــدُ والنحـــولُ وكابـــدتُ … غرامـــــي داء دويـــــا عيـــــاءَ

وعفـــا الـــصبرُ عـــن لقائـــك ، حتـــى … علـــم العـــينَ أن تـــذوبَ بكـــاءَ

ســلك الــدمعُ مــن مــآقيَّ ســبلا … كــن مــن مــسلكِ الــدموعِ خــلاءَ

زهـــدتْ نفـــسي الـــصواحبُ طـــرا … ومللـــتُ الحيـــاةَ والأحيـــاءَ !

وتمنيـــتُ لـــو لقيتـــك يومـــاً … وافتقـــدتُ المعـــاشرَ الخلـــصاءَ

علـــم الله كـــم ســـهدتُ الليـــالي … أتـــشهَّى الرقـــادَ والإغفـــاءَ

يقظـــا للخيـــالِ ، إن طـــرق الطيـــفُ … ـــــفُ رآني بقيـــــةً وذمـــــاءَ ؟

ولقـــد طالمـــا تعللـــت بـــالقرب … فكانـــــت علالـــــةً حمقـــــاءَ

❖❖❖

كيف أنساك يومَ قيل موافٍ ... يحمل البرءَ قُرْبه والشفاءَ ؟

قلت للنفسِ : أبشري بعد بؤسَى ... جرعتْك النوى صباحَ مساءَ

والتقينا أشكو الذي صنع الشوقُ ... بقلبٍ تنفس الصعداءَ

وترامت على يديك دموعي ... قطراتٍ كبيرةً حمراءَ ..

وتوسلتُ أن تنهنه منها ... فإذا أنت لا تجيبُ الرجاءَ ...

فتهاوت مع المدامعِ آمالٌ ... تسامي صروحُها الجوزاءَ!

وتناثرن ، في الأعاصيرِ نقعاً ... حملته ، قويةً ، هوجاءَ !

◆◆◆

عاتبتْ نفسيَ الحزينةُ قلبي ... في هواك الذي أضر وساءَ

هتفتْ : أيها المعذبُ بالخفقِ ... تجشمْ هزيمةً نكراءَ

قد حملت الغرامَ زيفاً من الوهمِ ... أضاع الشبابَ عمراً هباءَ

خدعتك المنى اللعوبُ ، وكانت ... قصةُ الحبِّ ، كذبةً بيضاءَ

شغفتك الحياة بالحسنِ حباً ... فتعشقت دميةً حسناءَ !

وحي راقصة

نثـروا عليـك مـن الـضياء أشـعةً تجلـو مفـاتنَ حـسنك الوضـاءِ
وتبينـوا ظمـأ القلـوب ، فـأترعوا مِـن نـور وجهـك أكـؤسَ الـصهباءِ
فمـضيتِ تـأتلقين في الثـوب الـذي مـا شـفَّ إلا عـن سـناً وبهـاءِ
ومـشيت نهبـاً للعيـونِ ، كأنهـا تقتـات منـك ، بفتنـة رَغْنـاءِ
تتـواثبين ، وفي خطـاك مراشـفٌ للـسحر ، يبـصرها فـؤادُ الرائـي
وتعـانقين مـن الظـلال معاطفـاً هـي وَشْـى قـوم في الـورى شـعراءِ
أواه ، لـو عانقـتِ طيـفَ خـواطري إذ رف حولـك شـاكياً برحـائي

◆◆◆

يـا منيـة الـروحِ الجـريحِ : تبينـي بـين الجمـوع ملامحـي ورؤائـي
وتـسمعي صـوتي ، فـإن خفوتَـه ينـسابُ مـن أفـق بعيـدٍ نـاءِ
وتـأملي نظـراتِ عينـي ، وهـي في لفتاتهـا ، محمومـةُ الإغـضاءِ
ترنـو إليـك ، تـود لـو إنـسانها يبقـى لـديك مقيـد الأضـواء
وتهـيم في عينيـك ، والـشجو الـذي وَخَـطَ البيـاضُ بخـضرة دكنـاء
وتـرى خيـالَ الحـب حولـك ، خافقـاً بجناحـه ، متقنعـاً بحيـائي ..!

◆◆◆

كـان اللقـاء مقـدراً، جمعـت بـه دنيـا الغرائـب ، أبعـدَ الغربـاءِ

(*) الأهرام ٢٤/ ٢/ ١٩٤٢ مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ محمود تيمور.

روحين ، هاماً في المجاهلِ حقبةً ... وتلاقيا ، بمشيئة وقضاءِ

أبصرتُ فيك صباي مرتسمَ الرؤى ... متجسِّدَ الآثام والأخطاءِ

ولمستُ جرحي في فؤادك دامياً ... متفزعَ اليقظاتِ والإغفاءِ

وقرأتُ في شفتيك سِفرَ صبابتي ... موصولةً بعلالتي ورجائي

ولقد بدا لك من هواي دليلُه ... في عبرةٍ مخضوبة الأنداءِ

لم تنكري وجدي الذي شهدتْ به ... حسراتُ حرماني ، وآيُ وفائي

وبسطتِ لي ظل الحنان يحوطني ... برعاية رفافة سمحاءِ .!

ودَّعتُ بين يديك أشجاني كأن ... لم أدر ما شجَني وطول شقائي

وقضيتُ أيامَ الوصالِ وليلَها ... متفائلَ الإصباحِ والإمساءِ

أشدو مع الأطيارِ في سجعاتها ... مترنماً بسعادتي وهنائي

وأرى جمالَ الكون أبلج واضحاً ... متراقصَ الأطياف والأصداءِ

وأحب ما ضمت عليه عطوفَها ... دنياي ، من صورٍ ومن أفياءِ

◆◆◆

يا حلمُ موصولَ السهاد ، تركتِني ... متفرداً بهواجسي وعنائي

هل كان وصلُكِ غيرَ خلسة قانصٍ ... ومَضَ السنا من ليلة ليلاءِ

إني رجعتُ إلى غياهبِ وحدتي ... وطويتُ أحلامَ الغرامِ ورائي

وسقيتُ بالدمع الذي هو مسعدي ... ذكرى من السراء والضراءِ!



لوم ...

تلوميني في الراحِ، والراح سلوتي ... إذا برمتْ بي، في السهادِ، المضاجعُ
ولستُ بمن يثني عليها، وإنما ... لها أثرٌ في النفس، كالطب، ناجعُ
إذا ضربتْ بيني وبينك فرقةٌ ... وطال عليّ الشوق، والشوق فاجعُ
وأقفرَتْ الأكوانُ دوني، فأنْسُها ... خرابٌ، وحيُّ الأقربين بلاقعُ ...
وأظلمتْ الدنيا، وعُطِّل مسمعي ... فلا أنا بالرائي، ولا أنا سامعُ
فررتُ إلى كأسي، أناجي حبابَها ... وقلبي خفاقٌ، وطرفيَ دامعُ
وكم لقِيَتْني؛ ثغرُها متبسِّمٌ ... رطيبٌ، وفي لألائها الصفوُ لامعُ

◆◆◆

تلوميني في ذلك «النفَس» الذي ... تنازعني نفسي له، وأنازعُ
وما هو إلا البثُّ، والنفثُ، والجوي ... ولكنه مسّ من السحر، نافعُ
ولولا تأملتِ «الدخينةَ» فانثنى ... ملامُك فيها، وهو ندمان جازعُ
أنا الموقدُ النيران تأكل قلبَها ... وذلك ظلم - لو تأملتِ - واقعُ
وألثم فاهاً، مرةً بعد مرةٍ ... كأنيَ ظمآن إلى اللثم جائعُ
وفي قبلاتي سقمها وفناؤها ... وموتٌ ذريع، ما له قط دافعُ

◆◆◆

تلـــومينني في ذلـــك «الـــسهر» الـــذي أعالجُـه في الليـل ، والكـونُ هـاجعُ

لـــكِ العـــذر في هـــذا المـــلامِ ، وإنـــما إذا طال ليلُ الصبِّ ، ما هو صانعُ ؟!

تنـامين مـلءَ الجفـنِ ، لا تحفلـين مـا يكابـدُ -مِـن أشـواقِه- ويـصارعُ

تـضاجعُك الأحـلامُ ، فرحـي ، جميلـة وتـشقيه أشـباحُ الظـلامِ الفواجـعُ

فكيــف يظـل الـصبُّ بـين وسـاده يـضاجعه التـسهيدُ : بئس المضاجعُ

دعينـــي أذذْ عنـــي الملالـــةَ ، بـــالمنى وبالـسهر الـصخَّاب ، والليـلُ رائـعُ

❖❖❖

تلـــومينني في كـــلّ شيء ، وضـــدَّه ومـا أنـا منهـيٌّ ، ولا أنـا راجـعُ !!



حيرة

جهلتُ حقائقَ الآمال ، لكنْ	قنعتُ بها من الزمنِ اللئيمِ
وحسبي من أعاجيبِ الأماني	رضاها بالخسيس وبالكريمِ
تكفكفُ من مدامع كل شاك	وتحفز همةَ الباغي الظلومِ
ويزجيها خيالٌ كالليالي	فلا هو بالصحيحِ ، ولا السقيمِ
فكم يهوِي ، إلى قاع سحيق	وكم يسمو ، إلى هام النجوم

◆◆◆

وكم يغري فؤادي بالدنايا	وكم يغريه بالشأو العظيمِ
وما ألقاه يأسو من جراحي	ولا ألقاه يجلو من غيومي
ومن عجب ، وصلتُ به حياتي	كما اتصل الشرابُ إلى النديمِ
إذا أزمعتُ مِن أملٍ فراراً	فررتُ من الجحيمِ ، إلى الجحيمِ!

(*) مجلة الرسالة ١١ ديسمبر ١٩٣٩.

الأوَل ... الأخير ...

«إلى التي كنت غرامها الأول ... فكانت غرامي الأخير»

علمتـــكَ الحـــبَّ ، فلـــم تنـــسه
لكـــنْ نـــسيتَ العاشـــقَ الأولا..!

ســكبتُ في روحــك روحــي ، فهــل
أنكــرتَ منهـــا صـــافياً سلـــسلا

وعـــشتُ في ظلـــك أرعـــى الهـــوى
كـــم ليلـــةٍ مـــرَّ ، ويـــومٍ حـــلا !

إن راعنـــي صـــدُّك لا أشـــتكي
أو طـــاب لي الوصـــلُ ، فـــإن المـــلا ...

كـــلُّ عـــذولٌ ، حاســـد ، هـــاتف
يـــا هكـــذا الحـــب .. وإلا فـــلا!

◆◆◆

عـــينٌ أصـــابتك ، ومـــن شرهـــا
مـــا رُد قلبـــي نائحـــاً ، مُعـــوِلاً

أصـــبحتَ لا تجـــزع لي راحـــلاً
وبِـــت لا تفـــرح بي مقـــبلاً !

ولم يـــزل يعتـــادني هـــاتفٌ
كـــم عـــذّبَ الفكـــرَ ، وكـــم بلـــبلا

مِـــن ذكريـــات للـــصبا ، طيفهـــا
قـــد لـــوّنَ العمـــرَ ، وقـــد شـــكلا

مـــل حيـــثما شـــئتَ وشـــاءَ الهـــوى
إني مقـــيمٌ ، آخـــراً ، أولاً !! .



قصة

«إلى اللواقة الفاتنة»

قصتي في الهوى لديك أرويها لي — لا تضيع توسلي وابتهالي
أروِ ما كان بيننا كيفما شئت — وأسرفْ فيما تقول، وغالِ
أسعدِ اسمي بأن يمر على ثغرك — تمرّ الأسى على الآمال
وتحدث بلوعتي لمن ارتاب — وصف ما لقيتُ للعذال
وترنم بما أزفُّ من الشعر — إلى حسنك العزيز الغالي
طف به في مواكب العشقِ، يهتفْ — بتراتيمه شجيٌّ وخالِ
لستُ أنسى ما قلت لي حينما أوشك — من ظلك الوريف ارتحالي
كنت خوّفتني عذابَ التنائي — وتوعدت بالشقاء خيالي
أنا والصبر صاحبان على العهدِ — تقسمُ الوفاء في كل حالِ
مرحباً بالعذابِ فيك، وبالدمع — وبرح الجوى، وسهر الليالي



إلى طيف ...

« رأى - فيما يرى النائم - طيفها يعانقه؛ واستيقظ من حلمه هاتفاً ..»

يا زائري ، بين الهواجسِ والرُّؤَى   في لحظةٍ خُلستْ مِن التسهيدِ

أنسيتُ أحزاني لديك ، وليتني   أبقي لديك العمرَ ، غيرَ بعيدِ

ورُزِقْت مِن نِعَم الجمالِ وسحرهِ   طبَّ العليلِ ، وتوبةَ العربيدِ

وصحوتُ مقترحاً على زمني الذي   أبداً تراني فيه غيرَ سعيدِ

أن تُقفرَ الدنيا ، من الدنيا ، سوى   هذا الذراعِ ، وقد أحاط بجيدي!



ضيعة العمر

ضـيّعتُ في حبـك عمـري ، كـما　　يـضيعُ عمـر الـوثنيِّ الـشقي
عكفـت أتلـو صـلواتي ، عـلى　　بابـك ، نجـوى عابـدٍ مطـرقِ
باسـمكَ أدعـو ، مِـن ولائـي ومـن　　حبـيَ ، لم تـرحم ، ولم تـشفقِ
وإنـما حـسنك في صـده ...　　عنـي ، وفي إعراضـه المؤنـقِ! ..
دميـةُ طـينٍ ، أنـا صـوَّرْتها　　آيـةَ حـسنٍ ، بـارعٍ ، مُـشرقِ
ثـم تعـشقتُ خيـالي بهـا　　في صـفحة الخـد ، وفي المفـرقِ
وهــذه ضـلة مُـستحقرٍ　　يعـارض الله ، ولا يتقـى
يخلـقُ مـا يـشقيه ، دون الـورى　　يـا ليـت لم يبـدع ، ولم يخلـقِ



مناجاة....

إنْ رأيــتِ النـدى يقبّـل زهـراً ... مــلأ الحــبُّ جفنَــه أحلامــاً

ورأيـتِ الأغـصان ماسـت عـلى النورِ ... وضــمت أعطافُهــا الأنــساما

وسـمعت الأطيـار تلقـي إلى الفجـرِ ... تحايـــا ، عـــواطراً ، وســـلاماً

فــاذكري ســاهراً يعذّبــه الــشوقُ ... ويـــأبَى لعينِــه أن تنامـــا

◆◆◆

وإذا داعبتْـكِ شـمسُ الـضحى يومـاً ... وأبــصرت أفقَهــا عريانـــا

وتنقلـــتِ في الخميلـــة ، تجنـــي ... كفُّـك الياســمين والريحانـــا

وتأملــت فتنــة الزهــر ، والظلــمُ ... عــلى الزهــر واقــعٌ ، حيـث كانـا

فــاذكريني مفــرداً أمــلأ الــدنيا ... حنينـــاً ولوعـــة وهيامـــاً

◆◆◆

وإذا أقبــل الأصــيلُ ومالـــت ... شمــسُه ، في وداعهــا للـــسماءِ

وتــراءى لعينــك الــشفقُ الــساحرُ ... لونـــاً مـــن اللظـــى والـــدماءِ

ورأيـت الـشحوب في وجنـة الغـرب ... نـــذيراً بفرقـــةٍ وتنـــاءِ

فــاذكريني ، وأدمعـــي ، وشـــحوبي ... واذكــري خافقـاً ، يـذوب غرامـاً

◆◆◆

وإذا مـا كـسا الجميلـةَ وجـهُ الليـل ثوبـاً مـن الـدجى ، ووشـاحاً
وإذا مـدَّ بلبـلُ الـروض للظلمـة والعطـر ، والنـسيم ، جناحـاً
وسـمعتِ الأنغـام تـسرى عـلى الأفـ ـق حنينـاً مـرَّداً ونواحـاً
فـاذكري عهـدنا ، وحِنـيٍّ إليـه واهتفـي ، ليـت عهـدَنا كـان داما



موعد ...

«إلى التي تعمدت أن تخلف موعدها .. لتظفر بهذه الأبيات»

لمَ أخلفتَ موعدي ... يا حبيبي وسيدي
هل تناسيت ، أم نسيت ... على غير مقصدِ
أم تلكأت في التجمل ... إذ قمت ترتدي ؟
زينة الحسن مؤتك ... فأخلفت موعدي

◆◆◆

لستُ أنسى سويعة ... قلتُ يا ساعةُ اشهدي
أخلف الحلوُ وعدَه ... ليته كان متعمدي
ليته كان حاضراً ... دانياً ، غيرَ مبعدِ
ليرى أن وقفتي ... جمرةٌ في توقدِ
عقربا الساعةِ البطيآن ... خانتا تجلدي
فكأني وقفت من ... صبح أمسي ، إلى غدي

◆◆◆

عــــدتُ يحــــدوني المـــلالُ إلى ركـــــنِ معبــــــدي
عبثـــــاً أطلـــبُ النعـــاسَ لطـــــــرفي المـــسهَّدِ
أو أسرِّي لواعجـــــــــــــاً عـــن فـــؤادي المــشرَّدِ
ثـــم ناجيـــــتُ صـــورةً لمعــــتْ لمـــعَ فرقـــدِ
ســــحرت جـــوَّ معبـــدي واســـتعزَّت بهـــا يــــدي

◆◆◆

قلـــت يـــا رســـم ســـيدي آه لــــو كنـــتُ أغتـــدي
آه لــــو كنـــتُ أغتـــدي مِـــن حبيبـــي بمـــشهدِ
لأرى مِـــــن جمالـــــه كـــلَّ معنـــى مجـــددِ
ويـــرى مـــن صـــبابتي كـــلَّ شـــوق مؤكَّـــدِ
وأغنيـــــه في الهـــوى كـــلَّ لحـــنِ مخلـــدِ

◆◆◆

يـــا حبيبـــي وســـيدي لمِ أخلفـــتَ موعـــدي

مِنْ ليالي الشوق

عادني هاتفٌ من الشوق يسمو | بخيالي مُفَزَّعَ الألحان
سكَبَ الذكريات تملأ قلبي | بأهازيج ذاهل نشوانِ
وترامى بخاطري حيث شاءَت | لوعةُ الروح مِن ظلالِ الأمانِ
فَبدالي سنا مُحَيَّاكَ فجراً | ضاحَكتني من نُورِهِ وجنتان
في خيل كأنَّ عِطرَكَ يسرى | في أزاهيره وفي الأغصانِ
صَوَّرَت لي رِحابُهُ أن حبي | مستعيدٌ فيه صباه الفاني
ولكم يُؤنسُ الفؤادَ ويرضيه | سرابٌ مِن الرضا والحنانِ

◆◆◆

يا حياةَ الحياةِ، يا أملَ الآمالِ | يا حلمَ ساهرِ الأجفانِ
كنت أسعدَتني وعوَّدتَ قلبي | نعمةَ الوصلِ، في ليالي التداني
فبأيِّ الذنوب خلفتَني اليومَ | أعاني من النَّوى ما أعاني
ليس عدلاً هذا الجفاءُ الذي طالَ | وطالت بقدرِهِ أشجاني
وحرام أن تَجزِيَ الشوقَ بالصَّدِّ | وحسنَ الرجاءِ بالحرمان



كنا نسينا ...

« أبهذا الجرح القديم ، اليقظان ، أما آن أن تنام ؟! »

يا قلب : كنا نَسينا ... كنا نَسينا ، نَسينا
كنا قنعنا بحال ... من الأسى ، ورضينا
نرَى الغرامَ متاعاً ... لغيرنا ، زاهدينا
ونصرف الحسنَ عنا ... نخاف يرغب فينا!
ونؤثر الصمتَ إلا ... تذكراً ، وحنيناً
كنا طرحنا صبانا ... ولهوَه ، والفتونا
نفرُّ من ظل ماض ... أقام شجواً دفينا
ولا نضيق بأنا ... دون البرايا شقينا

◆◆◆

يا قلب كنا نسينا ... فهل ترانا نسينا ؟!
كنا حسبنا هوانا ... مضى مع الذاهبينا
فما لنا قد رجعنا ... نشكو جراح السنينا
نفني الليالي سهادا ... ولوعةً ، وظنونا
ونسكب الروحَ ، لحناً ... مؤقعاً ، ورنيناً
ونبعث الآهَ تسرى ... على الوجود ، شجوناً
وننفق العمر شوقاً ... مفزَّعاً ، مجنوناً
يُغفى فنسلوه حتى ... يفيق ، حيناً ، فحينا!!

آها ...

آهـــاً ، إذا لم تـــسمع الآهـــا ... ظالمـــةٌ ، لم نَـــشكُ لولاهـــا

لـــولا التـــي هِمنـــا بأولاهـــا ... ثـــم صـــلينا نـــارَ أخراهـــا

علَّمهـــا العـــشقَ فتـــى شـــاعرٌ ... أطعمهـــا الفـــن وســـقّاها

غـــذا صـــباها مـــن خيالاتـــه ... فاســـتوطن البـــشرُ محياهـــا

وظنهـــا لم تَـــضْفُ إلا لـــه ... فظـــل لا ينـــشد إلاهـــا

لكنـــه اســـتيقظ يومـــاً عـــلى ... مـــرارة الكـــأسِ وبلواهـــا

فجـــنَّ ، هـــل خانتـــه تلـــك التـــي ... صـــوَّرها أمـــس ، وســـوّاها

وهـــو الـــذي أبـــدع أوصـــافها ... وألهـــج الـــدنيا بأســـماها

ولم يـــزل في عجـــزه قـــادراً ... يرســـم للأقـــدار مجراهـــا !!

ويـــصرع الحـــب ، إذا جـــاءَه ... ويقهـــر الأحـــزان ، والآهـــا ؟!



عتاب ...

إلى فاجرة القاهرة

قد جزيناك بالإساءة حلماً وحفظنا لك الوفاء الأتما
وسكبنا على جراحك في القلب رضانا فكان برداً وسلما
إن يكن عقنا فؤادك فاذكره أن ما كان بيننا ليس حلماً
قد سعدنا بخير ما يثمر الحبُّ لجان رعاه يوماً فيوماً
جمعتنا من الهوى أيكةٌ غرد صداحها الحنان إلجما
فبلغنا مني الغرام وروي من صبانا ظمأ، وأبرأ سقما
كيف أنسيت كل هذا، ولما يبتعد عن ضياء عينيك، لما
هبك آثرت غيرنا، وتوجهت إليه بالحبِّ روحاً وجسماً
وتغافلت عن حمانا، وفيه لك لمأوى يقيك شراً وإثماً
لم يكن من نبالة النفسِ أن تذكرَ عنا إلا الثناء الفخما
نحن لا نرخص العواطفَ في حين تراها تفاهة أو وهما
قد نرضى فنبصر الظلم عدلاً ونعادي فنبصر العدل ظلما
فاقض في أمرنا برأي من البرِّ أو اصمت ،وحسبك الصمت حكما
لا تثرها عداوة أنت أغنى من أذاها، وإن تكن عنه أعمى



ظنونٌ ...

ألقاكِ مفتونَ الخيال معذباً ... ما بين شك حائرٍ ويقينِ

أشكو إليك من الظنون، وربما ... سبقت إليك هواجسي، تشكوني

وأرى السنا والطهر فيك، فتنطوي ... عني خيالاتي ووهم، ظنوني

وأعيش في دنيا صفائك لحظة ... هي صفو آجالٍ، وعمر سنينِ

ويُتيح لي فرحُ اللقاء سعادةً ... أنسى بها زمني، وطولَ حنيني

وأهيم في عينيك، والسحرِ الذي ... يختال بين لواحظٍ وجفونِ

أَصْغِي إلى نجواك في أملٍ له ... طبُّ العليلِ ونعمة المسكينِ

حتى إذا حان الوداعُ، ولاح لي ... شبحُ النوى، من لوعة وشجونِ

أرسلتُ بين يديك دمعي، وهو ... في لغة الهوى، أنشودةُ المحزونِ



أشواق ...

يـا ليـاليَّ في النـوى خـانني الـصبر | وفاضـت عـلى المـساءِ جراحـي
أجعـلِ الـراحَ سـلوتي ، وعزائـي | وأراني أشـكو ليـالي الـراحِ
نـشوتي تـوقظ الحنـينَ ، وتـسري | بخيـالي إلى جبـينِ الـصباحِ
يحمل الوجدُ خاطري ، ويهيمُ الشوق | بي ، طـائراً بغـير جنـاحِ
ويطـوفُ الخيـالُ بي وهـو ظمـآنُ | شَـجٍ في غـدوِّه والـرواحِ
موكـبُ الليـلِ ينثنـي تحت عينيـه | ويمـضي إلى نهـارٍ ضـاحِ
وعيـونُ الظـلامِ ترنـو إليـه | وتريـه هـواجسَ الأشـباحِ

◆◆◆

يـا حبيبـي أراك في هـاتف الطـيرِ | وفي الزهـر ، والـسنا اللـمّاحِ
تبـصر العـينُ في صـفاء الأمـاسي | صـوراً مـن جبينـك الوضـاحِ
وتـوافي سـمعي أغاريـدُ سـحر | بالـصدى مـن نـدائك الـصداحِ
وأرى في تـألّق الـراح ظـلاً | لـك ، يهفـو إلى سـناه ارتيـاحي
يـا تـرى نـشوتي أضـلّتْ خيـالي | فمـشى في طلاقـةٍ ومـراحِ
أم صـحا الليـل عـن شـجون وسـهد | وفـؤادي مـن شـجوه غـيرُ صـاحِ؟!



أين أنت ...

«إلى حسناء انحدرت»

عــذبتني ســوانحٌ طائفــاتُ ... شــارداتٌ بخــاطري شــاغلاتُ
هاتفــاتٌ في مــسمعي بــشكوكٍ ... عززتهــا قــرائنٌ شــاهداتُ
أنــا لا أوثــر اتهامَــك لكــن ... حــسنُ ظنــي تجتثُّــه البيّنــاتُ
وشــقائي أني رأيتــك نــوراً ... لــيس تعــرو جلالــه الظلــماتُ
نَزَّهــتْ حــسنَك المقــدسَ روحــي ... عــن خيــالي ، وللخيــالِ افتئــاتُ
وتــصاممت عــن مــزاعم مغتابيــك ... حتــى كأنهــا وسوســاتُ
وتغاضيــتُ عــن ذنوبــك بــل كنــتُ ... أراهــا وكلُّهــا حــسناتُ
غــير أني وقــد تنبَّــه قلبــي ... مــن سباتٍ طالــت بــه الــسنواتُ
عاتــبٌ ، غاضــبٌ أحــدّثك اليــوم ... حــديثاً ألفاظــه جمــراتُ
أيــن أنــت الــذي عرفــت ، فــما تحمــل ... معنــاك هــذه القــسماتُ
أيــن أنــت الــذي عــشقت ، فــإني ... مــا سَــبَتني أوصــافه والــسماتُ
أيــن أنــت الــذي عبــدت زمانــاً ... مخلــصاتٌ منــي لــه الــصلواتُ
أيــن مــاض كــالزنبقِ الناصــعِ الغــضِّ ... تهــادت بعطــرِهِ النــسماتُ
أيــن دنيــاك في الغــرام ودنيــاي ... وأيــن العهــود والــذكرياتُ
أيــن هــذا جميعــه ، وكيــف أودت ... بالــذي اســتودعتك منــه الحيــاةُ
ســوف أبكيــه مــا حييــت ، وأبكــي ... حلــمَ ليــلِ طــوت رواه الغــداةُ

❖❖❖

مِنْ وَحي الصحراء ...

ظمئتُ، على قربي، من النهل والعلِّ فهل عاف عذبَ الورد ظمآن من قبلي؟!
وضقت بليلي، ساهداً، ولو أنني تعزيت لم أشك التسهد في ليلي!
وغشَّت حياتي وحشة ليس ينتهي مداها، ودوني سائر الصحب والأهلِ
وأقبلت، أشكو للصحاري لواعجي وآنس بالإخلاد في كنف السهلِ
وقلت أجوء البيد ملء سكونها وأسمع همس الريح في أذن الرملِ
تقبلها طوراً، وطوراً تريدُها تنقلُ كالحسناء رجلاً إلى رجلِ
وأبصر بالشمس التي ملت النوى إلى الغرب تمشي مشية الواهن الكهلِ
أراها، حريقاً أضرم اللهُ ناره لتأكلَ آجال السنينِ، على مهل!
أحس لظاها في ضلوعي، وتنثني ويبقي اللظى يغري مآقيَّ بالهمل

◆◆◆

نجية روحي لا عدمت عواذلاً! فماذا يكون الحب، إن يخل من عذلٍ؟
وهل كان يغرى الشاربين براحهم سوى أنهم ليسوا من الراح في حلٍّ؟!
وما أنا والعذالُ، يمضي حديثهم ويبقى حديثُ الحبِّ في قوله الفصل؟!
أصيخي إليَّ السمعَ، لا تتعجَّلي بنات خيالي، بل دعيها على رَسْلِ!

ولا تحسبي نجواي من عبث الهوى ... ولغو حديث الشعر، في الجد والهزلِ
فررت من الدنيا ومنك، تشوقاً ... إليك، وللدنيا - فيا للهوى النبلِ
أطهّر نفسي بالبعاد، لعله ... يعلمني صبري، على الهجر والدلِّ
وما الحبُّ إلا لهفةٌ، وتصبرٌ ... وطغيانُ تبريح على عاشق مثلي
سموتُ بأفكاري إليكِ، ولم أزلْ ... نجيَّك في أحلام يقظان بالوصلِ
وأسرى خيالي طائفاً بك، باسماً ... كما تبسم الأزهار في الفجر للَّطلِّ
وظل ينادي لطفَ حُلمكِ في الكرى ... إلى سابقات العهد، بالوصلِ والشملِ
فهل لقي البرَّ السميعَ نداؤه ... ترى، أم يعود الطيفُ بالمنعِ

◆◆◆

نجيةَ روحي قد رمتْ بي يد النوى ... بخيلاً من البيداء، يجزل في البخلِ
تلفتُّ حولي، لم أجدْ ليَ مؤنساً ... وقد كان كلُّ الأنس،لو شئت، من حولي
وأصغيتُ للصحراءِ يَنْشُد مسمعي ... حديثاً، ومن لي بالحديثِ بها، من لي؟!
هنا الصمتُ حَرّان الجوانح مِثلما ... يصعّد صبٌّ زفرة الشوق للوصلِ
هنا ملعبُ الذكرى وميدانُها الذي ... تشعب بالعشاق، سبلاً إلى سبلِ
ومسرحُ أفكارٍ، تساءل عن هوى ... بعيد المرامي، لا قريب ولا سهلِ
ومهبطُ إيحاءٍ، ومذرف أدمعٍ ... تحيَّرن بين الكبرَ، في العين، والذلِّ
ومعبد حسنٍ قد تحكم في الورى ... قضاءً جرى بالظلم حيناً وبالعدلِ
وروضٌ من الأوهامِ، لاذت بظله ... قوافلُ في الرمضاء، تحدَى إلى الظلِّ
ودنيا من الحرمانِ ضَجَّ ضجيجُها ... تَصايح بالزمر الطروبِ، وبالطبلِ!!

◆◆◆

نجيـةَ روحـي : يـا مناهـا وسـؤلَها ... هنيئـاً لروحـي بالأمـانيّ والسُّؤلِ
تـزْينَ شـبابي مـلء عينيـك نـاضراً ... يغّني ، كما تشدو الطيور على النهلِ
أعنـدك أن القلـبَ طفـلٌ وأننـي ... أخـاف تباريحَ الغـرام عـلى طفـلي ؟
تبـدّى لـه النـيرانُ ورداً وإنـه ... عن الخوف والنيرانِ ، بالورد في شغلِ
فـلا تفجعيـه في الأمـاني وحسنها ... ولا تُركبيـه مركـبَ الشطط الهـولِ
خذيـه حنانـاً في يـديك ورحمـةً ... ولا تغلظـي يومـاً لطفلـك في قـولِ
وغنـى لـه الألحـان فرْحَـى رقيقـة ... فَعَـلِّيَ أن أحظـى بأصـدائها عـليّ
وراعيـه كـالأم الـرءوم ، تلطفـاً ... فـويلي إذا مـا اليـتم روّعـه ، ويـلي
ولا تـشبهي الـصحراءَ في جـدب قلبهـا ... إذا جاءهـا الظمـآن للنهـل والعَـلِّ!



صوت السنين

«من وحي سواقي الفيوم»

أيَّ سـحر بعثت شـمسُ الأصيل في ضـياءٍ شـاحب اللـونِ خجـولِ
ونـسيمٍ واهـنِ الخطـو عليـلِ راح يلتـفُّ بأعنـاق النخيـلِ

◆◆◆

ضـحك الزهـرُ ، وغنـي بلبـلُ وحكـى المـوج ، وأصـغى الجـدولُ
وتـراءى في الـروابي أمـلٌ آخـر الأيـام فيـه أولُ!

◆◆◆

آه مـن ذكـري مـع الليـل تعـودُ هـي طيـفٌ ناحـلٌ ، واهٍ ، بعيـدُ
يمـلأُ الآفـاقَ ، والقلـبُ وحيـدُ يبعـث النجـوى ويبـدي ويعيـدُ

◆◆◆

طـال حرمـاني وصـبري وحنينـي وسـما بي خـاطري مـلء الـسكونِ
أرهـف الـسمعَ إلى صـوت الـسنينِ هـائماً بـين فتـوني وذهـولي

◆◆◆

يـا خيـالي : هـذه الـدنيا لنـا لـيس إلا أنـت ، فيهـا ، وأنـا
نقهـر الـدهر ، ونطـوي الزمنـا ونـرى في كـل وادٍ وطنـا

◆◆◆

فـيم نـشكو العمـر والجرح القـديما ؟ والهـوى اليـائسُ واللوعُـة ، فـيما
نحـن صَّـورنا مـن الـوهمِ نعـيما في ربيـع باسـم ضـاحٍ ، جميـل

الكرنك(*)

الكرنك شقُّ النواة (الشرقي) من بناء «مدينة طيبة» ، وأول بيت أُقيم في هذه الديار لعبادة «آمون» رب تلك المدينة ، وملك أرباب الوادي ، طوال أيام الإمبراطورية المصرية ، التي مدها الزمن لسلطان فرعون من وراء الشلال الرابع إلى أطراف الفراتين .

وضع الأساس الأول من تلك الديار في زمان الدولة الوسطى ، حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل مولد المسيح . فتاريخ بنائها ونشأتها إنما يتصل غالباً بقيام الحكومة المتحدة الجديدة ، وبعثها في إقليم طيبة .

ولهذه الدار أثرها الواضح في تاريخ مصر العريض ، ففيها عكف الفراعنة على عبادة الله باسم «آمون» ، وفيها دبر أبطال ذلك الإقليم ثورة الحرية الكبرى ، وأشعلوا نارها الحامية حول سلطان «الهكسوس» وظلوا يحاربونهم حتى أجلوهم عن مصر ، وكان من جراء ذلك أن شتت الله شملهم، ومزق جمعهم ، وأزال سلطانهم من عالم الوجود .

هنالك نهضت مصر ، ورفعت أعلامها من قلب طيبة ، وأخذ نجم فرعون يتلألأ في سماء الكرنك ، وحطت الأيام رحالها في ساحة «آمون» وجثا التاريخ دهراً تحت أقدام عرشه وعند سدته الكبرى ، يرى أبطال الدهر يبنون تاريخ الدهر ، ويرفعون القواعد من حصونه الخالدة ، ويشهد مواكب « آمون » في أعياده الكبرى تختلف بين دار الكرنك - وهي مقر عرشه - إلى قيادة دياره عن يمين النيل وعن يساره ، ويشهد جيوش فرعون تتحرك من تلك الدار مصعدة وهابطة إلى شرق الأرض وجنوبها ، لتعود إليها ظافرة منتصرة ، تسوق في ركابها

(*) مقدمة تاريخية بقلم الأستاذ الدكتور أحمد بدوي أستاذ التاريخ القديم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة .

طوائف من الأسرى ينزلون من حول الدار ، ويعملون في خدمة ربها العظيم ، وتحمل الغنائم والأسلاب من كنوز الأرض وأرزاقها لتضعها في ساحات الكرنك . وانتشرت عمائر الدين والدنيا من حول « الكرنك » ، وتعاقبت الأجيال وتنافس الملوك في تشييد معابد الكرنك ، يقيمون على أبوابها الصروح ، ويرفعون على أبراجها الأعلام ، ويملأون قلبها وساحاتها بألوان مختلفة من محاريب وتماثيل وأنصاب عالية ، عمم القوم هاماتها بصفائح من مخلوط الذهب والفضة ، لا تكاد تدركها أشعة من شمس النهار حتى تلمع أضواؤها في الفضاء، فتنير ما حولها من وجود .

هكذا عرف الدهر « طيبة » ، وشهدت أيامه تلك الدار الخالدة ، وقد حقق الله آمال أصحابها من حولها ، فجعل الدنيا تحت أقدامهم ، وجعل مدينتهم عاصمة الأرض ، وزهرة المدائن ، وأم القرى ، إليها حجت الدنيا ، وباسمها هتف الكون ، وبمجدها وعظمتها تغني فحول الشعراء ، فخلدها « هوميروس» في شعره ـ وكان يومئذ إمام شعراء الدنيا ـ فأشار إلى كنوزها ، وقصورها ، وجعل لها مائة باب ، يتسع كل باب منها لمائتي رجل ، ثم تخرج منها جيوش فرعون ، يوم الفزع ، مزوَّدين بالسلاح فوق مطايا الحرب .

ثم يدركها العرب وقد شاخت ، وشاخت من حولها دنيا المصريين . ولكنهم يؤخذون بجمالها ، وتروعهم كثرة قصورها وعمائرها ، فيسمونها الأقصر (جمع قصر) . ولما عاينوا دار آمون الكبرى ، ورأوا تحت سقفها تلك النوافذ التي ترسل الضوء إلى أبهائها ، ذكرتهم بقصر النعمان بن المنذر « ذي النوافذ » في إقليم الحيرة . فأسموا الدار « خورنق » وحُرِّفَ اللفظ بعد ذلك على ألسنة الأوربيين ، فصار « كرنك » ؟



أنشودة الكرنك

« موسيقا وغناء محمد عبد الوهاب»

حلمٌ لاح لعين الساهرِ ... وتهادَى في خيالٍ عابرِ
وهفا ، ملْء سكونِ الخاطرِ ... يصلُ الماضي بيُمنِ الحاضرِ

◆◆◆

طاف بالدنيا شعاعٌ من خيالي ... حائرٌ يسألُ عن سرِّ الليالي
يا له من سرها الباقي وبالي ... لوعةُ الشادي ، ووهمُ الشاعرِ

◆◆◆

كيف لا يدري إلى أين الشعاعُ ... وأماسيه لقاءٌ ووداعُ
وخُطاه في السبيلين مَتاعُ ... راحة المضنى ، وهَذْى الحائرِ

◆◆◆

صحَت الدنيا على صبحٍ رطيبِ ... وصغى المعبدُ للَّحن القريبِ
مرهفاً ، ينسابُ من نبع الغيوبِ ... ويغاديه بفن الساحرِ

◆◆◆

حين ألقى الليلُ للنور وشاحَه ... وشكا الطل إلى الرمل جراحَه
يا ترى هل سمع الفجرُ نواحَه ... بين أنداء النسيمِ العاطرِ

◆◆◆

ها هنا الوادي ، وكم من ملكِ ... صارع الدهرَ بظل الكرنكِ
وادعاً يرقب مسرى الفلكِ ... وهو يستحي جلال الغابرِ

أيــن يــا أطــلالُ جنــدُ الغالــب أين آمون ، وصوت الراهـبِ .!؟
وصـلاةُ الـشمسِ ، وهمـي طـارَ بي نــشوةٌ ، تــرزي بكــرم العــاصرِ

❖ ❖ ❖

أنــا هــيمانٌ ويــا طــول هيــامي صـورُ المـاضي ورائـي ، وأمـامي
هــي زهــرى ، وغنــائي ، ومــدامي وهـي في حلمـي جنـاح الطـائرِ ...

❖ ❖ ❖

ذلــك الطــائرُ مخـضوبُ الجنـاح يــسعد الليــلَ بآيــات الــصباحِ
ويغنــــــي في غـــــدوٍ ورواحِ بـــين أغـــصانٍ وورد نـــاضرِ

❖ ❖ ❖

في ريــــاض نـــضَّر الله ثراهــــا وســقى مــن كــرم النيــل رباهــا
ومــشى الفجــرُ إليهــا ، فطواهــا بـــين أفـــراحِ الـــضياء الغـــامرِ

❖ ❖ ❖

حلــــمٌ لاح لعــــين الـــساهر وتهـــادي في خيـــالٍ عـــابرِ
وهفــا مــلءَ ســكونِ الخــاطرِ يــصل المــاضي بــيمن الحــاضرِ

فجر ...

« تلحين وغناء رياض السنباطي

كل شيء راقص البهجة حولي — أيها الساقي بما شئت اسقنا ، ثم
واملأ الدنيا غناءً ، وبهاء ، وسنا — نسيّنا ، لم لا ننسى أغاريدَ المنى ؟!

علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا ..

❖ ❖ ❖

ذهب الأمسُ ، بما راع ، ويومي — يسرع الليل فراراً ، من هتافات
وجبين الغد يلقى ، عن سماه — باعثاً في جانب الأفقِ بشيرا محسنا

تسبق النورَ خطاه ، قبلما يبدو لنا ..

❖ ❖ ❖

رُدَّ كأسي عن فمي يا أيها الساقي ودعني — وأفِقْ من نشوة الراح ومن حلم التغني
كلُّ ما مرَّ بنا وهمُ خيالٍ وتمنيٌّ .. — حسبنا وهماً ، وحلماً ، وخيالاً ، حسبنا

أقبل الصبح ، فهل تدري بماذا جاءنا ؟!

❖ ❖ ❖

آه من قلبي وما يعتاده من ذكرياتٍ — أبدا يشقي بماض من رُؤى
لا أنا أسلو أمانيّ ولا الحظ يواتي — يا نديمي لاحت الشمس فقم

فلعل الدهر أن يغفل عن موكبنا ..

حَديث عَينيْن

موسيقى رياض السنباطي ـ غناء أسمهان

« أهديت إلى فقيدة الفن في مارس سنة ١٩٣٨ »

يـــا لعينيـــكِ ويـــالي ... مـــن تـــسابيح خيـــالي ..!
فـــيهما ذكـــرى مـــن الحـــ ... ـــبِّ ومـــن ســـهدِ الليـــالي
عـــبراتُ الأمـــلِ المـــسحو ... رِ في دنيـــا الجـــمالِ
وشـــحوبٌ مـــن ضـــنى اللـــوْ ... عـــة والـــسقمِ بـــدا لي
وســـؤالٌ يعـــبرُ الأفـــ ... ـــقَ إلى رَدِّ الـــسؤالِ
وحـــديثٌ طـــالَ في صحـــ ... ـــبةِ أيـــام طـــوالِ
وذهـــولُ الـــشاهرِ الهـــا ... ربِ مِـــن حلـــم وصـــالِ
وشـــقاء الـــروح يـــسمو ... نحوهـــا طيـــفُ مـــلالِ
وصراع في هـــــدوء ... وعتـــــاب في دلالِ
وعـــذاب كعـــذابي ... يـــا لعينيـــك ويـــالي !!



النيل ـ مجد الزمَن

« تلحين وغناء رياض السنباطي »

ثملَ الزهرُ .... هل سقيتَ الزهرَ حتى ثملا
كَمُلَ البدر ... هل رعيتَ البدر حتى كملا
وبدا في نوره للأعينِ
موكب الدنيا ومجدُ الزمن

❖❖❖

أيها النيلُ تَثَنّ | بين أحضان الليالي
طرب الموجُ فغنى | بأهازيج الرمالِ

وطوى الغيمَ جناحُ الأفقِ
وأقام الدوحُ عرسَ المشرقِ

فترسّل وتدفق | وأروِ أحلامَ العصورِ
وتمهّل وترفّقْ | بنفاثات الصدورِ
أيها السحرُ الذي طاف بنا | راعنا بين الرؤى ما راعنا

نغمٌ ريَّحَ أعطافَ الغصونْ | بالجراحِ
عندما فاضت شكايات السنينْ | للنواحِ

❖❖❖

أيهـــا النيـــلُ ترقـــرقْ وتهـــادَى　　　هتف الشادي مِن الغيبِ ونـادَى

وســمعنا ... همــساتِ الــزمنِ المنحــدرِ
ورجعنــا ... لليــالي في ضــفافِ النهــرِ

وســقانا عــبرةَ الأيــام ســاقِ　　　يسكبُ الراحَ على شجو الرفاق

◆◆◆

هـل شربْنـا ... ذكريـاتٍ غاليـاتٍ وأمـانِ
أم طربنا ... حينَ دارت بيننا كفُّ الزمانِ



همسات ....

« تلحين وغناء رياض السنباطي»

« أكتوبر ١٩٤٠»

أنا همسُ الحبِّ في سمع الوجودِ ... فاسمعيني ! .

كلما طاف بواديك نشيدي ... يمسح الأدمُعَ عن ورد الخدودِ

وهو نشوانُ الخطى غير سعيدٍ ... يبعث الشجوَ على أفق بعيدِ

أفقِ صحراء فقدنا في أماسيها غدا

كل ما فيها ضباب وسراب وصدى

◆◆◆

وأنا حلمٌ بأجفانِ الليالي ... فانظريني ! .

كلما عاتبَ عينيك خيالي ... وشكا طولَ التجني والدلالِ

وهو يقظانُ الأماني غيرُ سال ... يسبق العُمرَ إلى يوم الوصال

يوم ألقاك ، وهل أخلف قلبي موعداً ؟!

آه لو كان بعمري يوم حبي يفتدَى

◆◆◆

وأنــا ذكــرى شــباب وأمــاني فاذكريني ! .
كلــما نــاداك قلبــي في حنــان وتغنــى بجراحــي وافتنــاني
وهــو بــالأدمع سَلــسال الأغــاني ينثــر الآهــاتِ في كــل مكــانِ

في عيـون الزهـرِ مـن آهاتـه دمـع النـدى
وبأنغــام أســاه هــاتف الــدوح شــدا

◆◆◆

وأنــا طيــف عــذابٍ وشــجونٍ فارحميني ! .
كلــما فاضــت بكفيــكِ عيــوني تطفــئ الغلــةَ بالــدمع الهتــونِ
وهــي حــيرَى بــين قلبــي وظنــوني تكشف الأستارَ عن سرى الدفين

ليتهـا في الليـل تَلقـى ، يـا غرامـي مُسْعِداً
آه مـا أشـقى الليـالي ، ذهـب العمـرُ سـدى

◆◆◆

أنـا همـس الحـبِّ في سَمع الوجـود فاسمعيني ! ..
وأنــا حلــمٌ بأجفــان الليــالي فانظريني ! ..
وأنــا ذكــرى شــباب وأمــاني فاذكريني !..
وأنــا طيــف عــذابٍ وشــجون فارحميني ! ..

أنت ...

« تلحين وغناء محمد صادق »

سَألَتني عنكَ أشواقي وأحلام سهادي
وأمانيَّ التي تصحبني في كل واد ...
وخيالاتي ، وما أكثر ما تغشى فؤادي ...

◆◆◆

أنتَ في عيني ضياءٌ لا ترى عيني سواه
كلما أشرق حيّانِ شعاعٌ مِن سناه
تبعث الفرحةَ والنشوةَ في روحي خطاه ...

◆◆◆

أنتَ في سمعي نشيد قدسيُّ النغمِ
كلما طاف بآفاقي توارَى ألمي
وتناسيت نواحي ، وجراحي ، ودمي ...

◆◆◆

أنـتَ في قلبـيَ معنـىً سرُّه البـاقي مـصونُ
يمـلأ الـدنيا ولا تـدرك مرمـاه العيـونُ
لـو يقولـون عرفناه ، فـوهمٌ ، وظنـونُ ...

◆◆◆

أنت في عيني ، وفي سمعي ، وفي قلبي ، مقيمُ
أبـداً أشـدو بـذكراكَ وأصـبو وأهـيمُ
هـيَ في بعـدك ألحـاني ، وكـأسي ، والنـديمُ



نداء الغروبْ

« من وادي الملوك »

عــادت الطــيرُ إلى أغــصانها ... تتغنّــى ..
حــين ذاب النــورُ في ألحانهــا ... وتثنّــى ..

وجـرى في أدمـع الـذكرى شراعـي مُـذْ دَعـاه مِـن فـم الأجيـال داعـى

وكـسا النيـلَ وشـاحُ الـذهبِ ... في الأصيلِ ..
وروى المـوجُ حـديثَ الحقـبِ ... للنخيـلِ ..

❖❖❖

طــاف بي همــس بعيــدٌ كالنــداءِ أيهـا الـساري عـلى غـير اهتـداءِ ...

قــف تأمــلْ ... هاهنــا وادي الخلــودْ !! ..
وتمهــلْ ... كــلُّ مَــن فيــه رقــودْ !! ..

لا تنبّــهْ أعينــاً طــال كراهــا ... سـحرُها صـان عـلى الـدهر حِماهـا

أين منك الفنُّ والمجدُ العريقُ ... قف تمهل ..
فـسحةٌ مِـن أمـل الـوادي وضـيقُ ... فتأمـلْ ..

سـألَ الرمـل ، وقالـت زهـراتُ .. أيُّ سـارٍ سـبقته العـبراتُ ؟ ..

أنا صدّاحك يا وادي الجلالِ ... نَمْ ودعني ..

أبصرْ الـدنيا بقلبـي وخيـالي ... فـأغنى ..

◆◆◆

أخـذتني وحـشةُ الـساري الغريـبِ وتنبهـتُ عـلى صـمتِ الغـروبِ

وتمهلـــتُ ، لعـــلي أســـمعُ رجعـــةَ الهمـــس البعيـــد

وتأملـــت ، وعينـــي تـــدمعُ صـــورَ العهـــد العهيـــدِ

وجـرى في أدمـع الـذكرى شراعـي !! ..



إليها ...

« إلى عذراء القاهرة : بعد الفراق »

سَـألتني : كيـف تـسترحم قلبـاً في ... يا صفيَّ الروح ، يا منيتها ، هوّن عليكـا
لم يزل صوت وفائي هامساً في أذنيكا ... وإليك الـشوق في البعـد ، وفي القـرب ،

◆◆◆

كيـف أنـساك ، وقـد طـاف الهـوى أمـسِ علينـا
فـــشربنا صـــفوه حتـــى روينـــا وانتـــشينا
ونـــسجنا حولنـــا الأحـــلام مِـــن وَشـــيِ يـــدينا

◆◆◆

أنـا يا منيةَ روحي وفؤادي وصبايا ... شـاعرٌ حـيرانُ في دنيـا خيـالي ومنايـا
كلـما طافـت بقلبـي ذكريـاتٌ مِـن ... سبق الـدمع إلى جفني ، وغّنيت أسـايا

◆◆◆

كيـــف لا أســـترحمُ الطيـــفُ إذا مـــرَّ وحيّـــا
وأناجيـــــه بحبـــــي ، وأناديـــــه إليَّـــــا
علـــه يـــرحم ، أو يعطـــف ، أو يحنـــو ، عليـــا

◆◆◆

ولكم حمّلتهُ اللوعةَ والشكوى إليك   وسؤالي في ليالي السهد والوجد عليكِ

يا ترى هل ذاب لحني ضارعاً في   أم جرى وانساب ملتاع الخطى بين

◆◆◆

يــا فــؤادي آه ممــا صــنع الــدهر بنــا

فرقــت أيــدي الليــالي يــا فــؤادي بيننــا

فنغــدونا يــا فــؤادي نتــشاكي الزمنــا

بحــديثٍ يكــتم الوجــدَ ويخفــى الــشجنا



أنشودَة هائمة

« من وحي الريف »

هامــتْ أغاريــدُكَ بــين الغــصونْ　　　يا هاتفَ الدوحِ

يا شاكي السهدِ

وغامــت الآفــاقُ مــلءَ العيــونْ　　　في أدمع النوحِ

يا ناعس الوردِ

ونامــت الــدنيا وراء الــسكون　　　في غفوة الجرحِ

إلا أنا ، وحدي

هــا أنــا ســهران لا تغفــو جراحــي　　　تــصل الليــلَ شــجوني بالــصباح

فإذا الفجرُ بدا　ورأت عيني غدا　　　بسناه والندى

ودّعــتْ عينــيَّ أحــلام ســهادى　　　وتنبهــت عــلى شــجو فــؤادي

◆◆◆

طافت بروحي نسمات الخميلْ ريانة النفحِ
تَسبح في النورِ
كأنها أطيار وادٍ ظليلْ تشدو مع الصبحِ
في سمع مهجورِ
ولاح لي وجهٌ وضيءٌ جميلْ يسعد باللمحِ
أجفان مسحورِ
وأنا حلم بأجفان حياتي شاحب الوجنة ساهي النظراتِ

كلما قلبي دعاني وتجنّى فطواني في خيالات الأماني
ودّعت عينيَّ أحلام سهادي وتنبهت على شجو فؤادي

الأيّامُ ..

« تلحين وغناء لور دكاش »

أغاريدُ مِن ذكرى هواكِ وأنغامُ ... تعود ، فهل عادت ليالٍ وأيامُ

هنا كان لي قلب وفيٌّ ، ومرتعٌ ... رضيٌّ ، وآمالٌ حسانٌ ، وأحلامُ

وكان هوانا يملأ الرُّحب بهجة ... يصوِّرها في صفحة الكون رسامُ

تسابق فيكِ المغرمون ، وقسمتْ ... حظوظٌ ، فمظلوم لديك وظَلَّامُ

تخلف قلبي في الزحام ، وخانني ... إلى نبعك المورود صبرٌ وإقدامُ

وأقبلت في ضعف الغريب ، بِذلِّه ... أغالب دمعي ، وهو بالوجد نمَّامُ

لقيت الروابي ضاحكاتٍ ، كعهدها ... كأن لم ترُعْها مِن غيابك آلامُ

وفي كلِّ شيء هَهُنا منكِ فكرةٌ ... وملءُ خيالي منك وحيٌ وإلهامُ

يخيَّل لي أني أراك ، وأنني ... تصافح سمعي من حديثك أنغامُ

فأغفو على وهم اللقاء ، سويعةً ... وأصحو ، وما بيني وبينك أعوامُ

هنيئاً لك الدنيا ، فإن خواطري ... إذا هبطت آفاقَ دنياك ، آثامُ

وما دام في بعدي لقلبك راحةٌ ... فلا خطرتْ بي في رحابك أوهامُ !



قصائد أحمد فتحي المجهولة

نجوى وشكاة

أَبى قُمْ وَنَحِّ الرَّجْمَ عنكَ وناجِني ... أتُسْلمُني للدهر وهو خَؤُونُ ؟!
مضى بالذي خَلّفتَ لي ثم فاتني ... وقلبي ثخينٌ بالجراحِ طعينُ
به مِن لظى وَجْدِي عليك لواعجٌ ... تَضَرَّمُ نيرانٌ به وشجونٌ
ولولا جلالُ الموتِ قلتُ نسيتَني ... وألهتْكَ عنِّى في الحياةِ شُئُونُ

◆◆◆

تمثَّلتَ في ذِهْني فأجْفَلَ خاطِري ... وعَهْدِي به في النَّازلات رَصِين
وما ذاكَ مِن خَوْفِي لِقَاكَ وإنّما ... عَرَانِيَ مِن هَوْلِ المَقامِ جنونُ
حَنانَيْكَ ، هل تبكي لِحالِيَ رَحْمَةً ... أعِنْدَكَ ماذا في غدٍ سيكونُ ؟
لعلَّ زَماناً أوْثقَ العَهْدَ أنهُ ... سَيَقْلِبُ لي ظهْرَ المِجَنِّ يَمينُ
ولو أنَّهُ يُبقى الزَّمانُ عَلى امْرِيءٍ ... فمِثْلِي بإبْقاءِ الزَّمانِ قمِينُ

◆◆◆

ألا أيُّها الموْتُ الزُّؤامُ مُعَجِّلٌ ... يُناديكَ ، مِيعَادي مَتى سَيَحِينُ
صَريعِ همومٍ طالَ بالوَجْدِ عَهْدُهُ ... تمُرُّ به السَّاعاتُ وَهْيَ سِنينُ
فَتُخْشَى ويَسْتَجْدِيكَ مِن فَرْطِ ما به ... وأنتَ عليه يا حِمَامُ ضَنينُ ؟



الشاعر الجديد

قـــالوا : يَراعُـــكَ قـــد تنكـــبَ في القـــوافي . قُلـــتُ : إنَّـــهُ
قـــالوا : فَعَـــنْ نَهـــجِ القَـــديمِ المُـــستَحَبِّ ؟ فقلـــتُ : مِنَّـــهْ
مـــا فـــضلهُ إن لم يخلّـــدْ مَجـــدَ صَـــاحِبِهِ وَفَنَّـــهْ ؟!
بالقافيـــاتِ الرَّائِعـــاتِ المُخـــدَثاتِ فُنُونهنَّـــهْ
التَّاخِـــذَاتِ مِـــنَ القُلـــوب وَخَفْقِهَـــا أنغَامَهُنَّـــهْ
عَـــصْرٌ تَـــصرَّمَ مـــا لَنَـــا نَـــرْضَى بزَّزِنـــهِ لَهُنَّـــهْ ؟!
أبْلَـــتْ قوافِيَـــهُ الـــسِّنُونُ ولم نَـــزَلْ نَغيـــىَ بهِنَّـــهْ
ويـــشاءُ قَـــوْمٌ أنْ يكـــون شِـــعَارَهُمْ وشِـــعارَ هُنَّـــهْ

◆◆◆

عنِّـــي خُـــذُوا صِـــدْقَ الحـــديثِ فـــلَا هُـــرَاء ولا مظنَّـــهْ !
مـــا شـــأنُنا بفتَـــى بكـــى عِنْـــدَ الـــدِّيارِ رُسُـــومَهُنَّهْ ؟!
وَمُـــشَبِّهِ الوجْـــهِ الجميـــلِ ببـــدْرِ تَـــمٍّ في دُجُنَّـــهْ ؟!
وَمُـــشَبِّهِ القَـــدِّ المَليـــحِ بغُـــصنِ بـــانٍ بـــين جَنَّـــهْ ؟!
وَمُـــشَبِّهٍ بـــاللَّحظِ في إصـــمائهِ وَقْـــعَ الأسِـــنَّهْ ؟!

هـــذِي أحاديـــثٌ مَـــضَى / كَـــرُّ الـــسنين بحـــسنهنَّهْ

خَلـــوا القـــدِيمَ وأبـــدِلوا / للقافيـــاتِ ثِيابهنَّـــــهْ

واســـتحدِثوا للقافيـــاتِ / مَـــسَالكاً ، يَـــسلُكنَهنَّهْ

يـــا ليـــتَ شـــعريَ في القـــوافي / مَـــنْ عـــذيرُ صريعِهنَّـــهْ ؟!

أذوَى نـــضيرَ شَـــبابِه!! / مَرْجُـــوٌّ يخطـــبُ وُدَّهُنَّـــهْ ؟

فمحلِّقـــاً بـــين البلابـــلِ / يـــستعيرُ جناحهنَّـــهْ !

مـــترنّماً في حوْمـــهِ / إمَّـــا شَـــدوْن بـــشدوهنَّهْ

ومترجمـــاً بقريـــضهِ / إمَّـــا بكـــينَ بكاءَهُنَّـــهْ

قلـــبٌ لـــه بنقائـــهِ / يحكـــى نقـــاءَ قلوبهنَّـــهْ

آسٍ جراحـــاتِ القلـــوبِ / وخـــافقٌ لخُفُوقِهنَّـــهْ

ونـــحَ الـــضلوعِ تخذنَـــهُ / حطَبـــاً يُـــؤجِّجُ نارهنَّـــهْ !



الوجدان المضطرب

نُوحِي على قَلَقِ الغُصُونِ وَرَجِّعي ... يا طيرُ آهاتِ الفُؤادِ المُوجَعِ

واستودعي الألحان مِنْ حُرقِ النوى ... وَشُجونه ما شئتِ أن تستودعي

وترفقي في الشدْو ! دُونَكِ موجعٌ ... أضناهُ فرطُ السقم حتى لا يَعي

فلعلّ ما بك بعضُ ما بي من شجًى ... وأسِيف دمعِك من أسيفِ مدامعي

وأنا الفتى اللهفانُ بايننى الحِجىَ ... واستلّ قلبى من حَنايا أضلُعي

فلقد مَنحتُ الودَّ قَوماً لم أزلْ ... مِنهُمْ على مثلِ الطيوف الخدَّعِ

إنْ عاهدُوا نُكاثُ مُوثَقِ عَهدِهِم ... أو صادقُوا فلباقةُ المتَصنِّعِ

يتهافتون على الغَنِيِّ بَمالِهِ ... ويُهللونَ لكلِّ مَأفونٍ دعِي

خُيلاؤهُمْ زَيْفٌ ، وَصوتُ فخارهم ... إنْ قيسَ لا يعدو نقيق الضفدعِ!

◆◆◆

أصبَحْتُ لا أدرى إلامَ يطُولُ بي ... شجني ، ولا حتَّامَ تُهرَقُ أدمُعي !

أيبزُّني الأغرارُ ؟ إنّ عُقُولَهُمْ ... كدرٌ ، وإني لَلأريبُ الألمعي

عُمْري قَضَيتُ وَما أصبتُ سوى مُنًى ... تقضي وَلَّما أقْضِ منها مطْمَعي

أبكي شقاء التّاعسين ولم أزَلْ ... أشتاقُ في بُؤسي إلى الباكي مَعي !

الوهم

أمِـــنَ الأشـــجانِ آلٌ وصـــحابْ ... ومِـــنَ الـــدَّمْعِ نـــدَامَى وشَرَابْ !!

وكـــذَا الـــدُّنيا شُـــجونٌ لا تَنـــى ... ودُمـــوعٌ لايَنـــى عَنهَـــا انـــسكابْ

لا أرَى في الـــرَّوْضِ إلَّا صـــادحاً ... مُرْسِـلَ الألحـانِ يحـدُوهُ انتحـابْ

أيُّ وَهـــمٍ لم يَـــزَلْ يَحْفِزُنَـــا ... فعلى الـوهمِ صِرَاعٌ وَغِـلَابْ ؟!

كـــم سَـــحَابٍ لمْ يجُـــدْنَا غَيْثُـــهُ ... خطفَ الأبصارَ بـالبَرْقِ وغـابْ !

◆◆◆

وكـــلامٍ تَحْتَـــهُ رِيـــشتْ قَنَـــى ... هُـــوَ في ظـــاهِرِهِ شَـــهدٌ مُـــذابْ !

والـــذي نَحْـــسَبُهُ ريَّ الـــصَّدَى ... هُوَ مَهما قـد روى الـصادي سَرابْ

كـــم شَـــكا الغُلَّـــةَ مِنّـــا ظـــامِئٌ ... وهُوَ شـاةٌ ، لـوْ دَرَى ، بين ذئـابْ !

فِـــبمَ نحْيَـــا بالأمَـــانِي خُـــدْعاً ... والمنَايـــا آخِـــذَاتٌ بالرِّقـــابْ ؟!

نـــسَجَتْ كفَّـــاهُ أكفَـــانَ الـــورى ... ناسـجٌ ثـوبَ الأمـانِيِّ العِـذابْ !

◆◆◆

أيّهــذا المُـــدلجُ الـــسَّاري إلي ... أملٍ يحْـدوهُ أفـصِرْ في اطِّـلابْ
أإلى الآمـــالِ كَـــدْحٌ قاتِـــلٌ ... وإلى الآمـالِ ظعـنٌ واغـترابْ ؟!
مــا أرَاهــا باعثــاتٍ مِـنْ بـلَى ... أوْ مُعيـداتٍ إلى الـشيبِ الـشبابْ
صــاحبُ الحاجـةِ ذو هـمٍّ بهــا ... فـإذا أدْركهــا هــانَ المُـصَابْ
ضَــيعةٌ للـرَّأيِ تُــذكى نارَهَــا ... أفنـةٌ في المـرء مُـذْ شـبَّ وَشـاب !

◆◆◆

شــامخٌ بــالأنفِ مــن أوهامِــهِ ... لم يـزل ينـشُدُ أَطبـاقَ الـسحابْ !
حــسبَ الكــونَ رهينــاً بالــذي ... يــشتهي وهــو رهــينٌ بكتــابْ
آهِ مــن ضــمةِ قــبرٍ مُــوحشٍ ... وثـــواءٍ بـــينَ دُودٍ وتُـــرابْ
إنـــما الترْبَـــةُ أصـــلٌ ولهــا ... غايــةُ المَـسْعى ومحتـومُ المـآبْ !



سعد زغلول

بعد عشر سنوات

منازِلَ الذكرِ : هذا برْحُ أشجاني ... هاجَتْهُ نجواكِ في آنٍ ، وفي آنِ
لم تُقْفِرِي من تُلاةٍ فيكِ همُّهُمُو ... تذاكُرُ المجدِ من قاصٍ ومن دانِ
هم فيكِ أروعُ أطيارٍ مغرِّدةٍ ... ألحانُها الوحيُ من حبٍّ وتحنانِ
طوبَى لساحتِكِ الفيحاءِ ما رُزِقَتْ ... من هاتِفٍ يُسْمِعُ الدنيا وألحانِ
تُصْغِي السماءُ إليها ، وَهْيَ مُكْبِرَةٌ ... لما تُجَلِّيهِ من آياتِ إحسانِ !
كم ذا أودُّ لشعري بعضَ رَوْعتِها ... كيما أُوَشِّي بها ديباجَ أوزاني
وكيفَ لي بالقوافي وهيَ شارِدَةٌ ... عني تُحَلِّقُ في آفاقِ وجدانِ
لها جناحانِ من شَجْوٍ ومن شغَفٍ ... لولاهُ لم تَشْكُ طولَ السُّهْدِ عينانِ !

◆◆◆

منازل الذِّكرِ : والأيامُ مُبْدِلةٌ ... بؤسي بنُعْمَى ، وتَبريحاً بسُلْوَانِ
إن العزاءَ وإن عزَّ الشفاءُ به ... وافَى المنازلَ يشفي صدرَ هَيْمانِ
يدورُ بالراحِ من صافي الرحيقِ على ... دنيا الظِّماءِ فيُرْوِي كلَّ ظمآنِ
هذِي مواكِبُنا تُزْجَى لمنهلِهِ ... تُعَلُّ منه بما يَشْأو ابنةَ الحانِ
نعمَ الشرابُ ، ونعمَ النشوةُ انْبَسَطَتْ ... لها أساريرُ وجهِ الواجِدِ العاني
مَرْحَى نداماىَ ، ما الدنيا سوى نَغَمٍ ... عَلَى شرابٍ على أسمارِ نُدْمانِ
هذا الزمانُ صَفا وَجهاً تُطالِعُنا ... ديباجتاهُ بِحُسْنٍ فيه فَتَّانِ
وهذه هذه الدنيا مُلايِنَةٌ ... كأنها كرةٌ ما بينَ صِبْيانِ !

وذا الشباب ، ولم تذبُلْ نضارتُهُ ... بل نحن منه على مَوموق ريعانِ

إنَّا صَحِبْنا الليالي وهي باسمةٌ ... مُفْتَرَّةُ الثغرِ في إشراقِ جذلانِ

نِمْنا عن الدهرِ حتى ما يُنَبِّهُنا ... بفاجعٍ من دواهيهِ وَحِدْثانِ !

كأنما عَيْشُنا في يُمْنِ طالِعِهِ ... صبحٌ تَنَفَّسَ عن أحلامِ يقظان!

ورُبَّ ذِكرَى من الأحقابِ طارِقَةٍ ... قد أيقظَتْ مِن كراهُ كلَّ وَسْنانِ

ورُبَّ ذي ضَحِكٍ جَمِّ الحبورِ بكى ... للذكرياتِ بدمع المقلةِ القاني ؟

ورُبَّ صاحٍ تُلِمُّ الذكرياتُ به ... في كل مربأة يَغْشَى وميدانِ !

يا سعدُ: والشعرُ وحْيُ الله مهبطُهُ ... من السَّموَات في هَمْلٍ وتَهْتانِ

قُمْ نَحِّ عنكَ ترابَ الموتِ منطلقاً ... من الفَنَاءِ ومن رجْم وأكفانِ

وأصغِ لي، واستمعْ هذا البيانَ لقد ... نَزَّهتُهُ عن أراجيفٍ وبهتانِ

وَافاك أبرَعَ صدَّاحٍ سمعتَ به ... سَما عن الوكرِ في دَوْحٍ وأغصان

مأواهُ صدرى، وإن شُبَّتْ جَوَانِحُهُ ... بما أكابِدُهُ من بَرْحِ أشجانِ

وانظُرْ شُعوبَكَ إذا تحْدَى وُفُودُهُمُو ... فوجاً بفوجٍ ، وَرُكبانًا بِرُكبانِ

حكَى ضريحكَ بيْتَ الله يقصِدُهُ ... شتى الخَلائقِ من جنسٍ وأوطانِ

حَجَّتْ إليه البريا وهيَ خاشعةٌ ... تطوي الصدورَ على أشواقِ ولهانِ

لم تَسْلُ عنكَ قلوبُ الناسِ قاطِبَةً ... كأنَّ حبَّكَ فيها روحُ إيمانِ

يا غارِسَ النَّبْتِ من جِذْرٍ وَمَكْرُمَةٍ ... هذي الثِّمارُ، فليتَ الفارسَ الجاني

قضيةُ الوطن المحبوبِ أنصفَهَا ... من المغيرينَ هذا الحادبُ الحاني

خليفةٌ لكَ ، لم توهِنْ عَزيمَتَهُ ... مقالةُ السّوءِ من قالٍ ومن شاني

مشَى على السَّنَنِ الوَضَّاحِ مُقْتَفِياً ... خُطاكَ في دأب أمجاد وشُجعانِ

وحولَهُ فِتيَةٌ يسعى الزمانُ لهم ... بما يشاءُونَ في طوعٍ وإذعانِ

غُرٌّ، بها ليلُ ، ما لانتْ قناتُهُمو ... لغامزٍ إن هَفَا في نَزْغِ شيطانِ
مازالَ ماضيهمو فخراً ، وحاضِرُهُمْ ... وفي غدٍ قابلٌ من فخرهم ثانِ
شادوا لمصرَ صُرُوحَ العزِّ خالدَةً ... على تعاقُبِ آبادٍ وأزمانِ
صانُوا لها حَوْزَةً تاريخها عجَبٌ ... هيهاتَ يسمو إليه طَوْقُ نسيانِ
«فرعونُ» سَطَّرَهُ سِفراً وخَلَّفَهُ ... تَذْكارَ مجدٍ لِوُارِّثٍ وولدانِ
وَهوَ الذي عَنَتِ الدنيا لِصَوْلَتِهِ ... وأقْبَلَتْ تَتَرَضَّاهُ بِقُرْبانِ

◆◆◆

لِيَهْنِ سِرَّكَ في الفردوسِ ما بَلَغَتْ ... مصرٌ ، وما لَقِيَتْ من فضل رَحمنِ
علا أريكتَها «الفاروقُ» ظَلَّلَهُ ... ظِلٌّ من الله باقٍ ليسَ بالفاني
في كلِّ قلبٍ له عرشٌ تحفُّ بهِ ... أزاهرُ الحبِّ من آسٍ وَرَيحانِ
مُجَمَّلٌ بِرَضِي الخلق من «عُمَرٍ» ... وحكمةٍ جَدَّدَتْ تَذْكارَ «لقمانِ»
يُدِلُّ بالدين والدنيا قد اجتمعا ... له اجتماعَهُما عند «ابن مروان»
إنَّا لنرجو به بَعْثَ الخِلافَةِ في ... تَقْوَى «أبى بَكْرِها» أوْ بِرِّ «عثمانِ»
بالأمسِ أسميتُ أشعارى لِسُدتهِ ... في مهرجانٍ رفيعِ القدرِ والشان
صاحَ البشيرُ به في الناس فاحتشدُوا ... يَهفُو بهم جَذلُ المستبشِرِ الهاني
وقال شاعرُهم مِنْ فَرطِ غِبطتهِ ... للناس عيدٌ وللأشعارِ عيدانِ
يوم استوى في سماء الملكِ كوكبها ... يزينُ مَفْرقَهُ وضَّاحُ تيجانِ
ويوم قيل استقلَّتْ مصرُ واكتسبتْ ... حقوقَها بعدَ تضييعٍ وحرمانِ
وعاهدَ الدارَ جبارٌ تعشقهَا ... على الوفاء وما يرضاهُ نِدَّان
وجُرِّد الضيفُ مما كان ميَّزهُ ... من صاحب الدار من جاه وسلطان
فضلٌ منَ الله عمَّ الكنانةَ في ... فجر من الملكِ ضاحي الوجه مُزْدَان

عنوانُ عهدٍ طريف المجد مُؤْتَلِقٍ والسِّفْرُ نَقْرَؤُ من بدءِ عنوان
عهدٍ منَ اليُمْنِ والإقبال مطلعُهُ بشائِرُ السعدِ في مصرٍ وسودانِ
جَرَّتْ به مصرُ ذيلَ العُجْبِ وافتخرتْ على الأنام وهزَّتْ عطفَ نشوان

◆◆◆

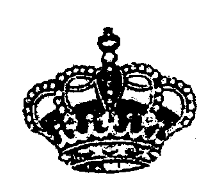
يا سعدُ: والشعرُ عينُ الله صاحيةٌ تَرَى الحوادِث ليْسِتْ ذاتَ ألوان
الحقُّ رائدُها في كلِّ ما بَصُرَتْ به على فضل تحقيقٍ وإمعانِ
نَفَّاذة في ثنايا الكون قادرة على التطلع في حل وإظعان
لما تزل تتقرى من عجائبه ما شرد اللب في سِرٍّ[1] وإعلان
وهكذا الشعر إن تنصدق بواعثه صوت من الله في ألفاظ إنسان
«محمد» خير من دبت له قدم على البسيطة من إنس ومن جان
لم يجحد الشعر يوما فضل حكمته بل كان مكبره عجبا بحَسَّانِ
وقد أتيت بها عصماء فارهة عجيبة ذات إبداع وإتقان[2]
يتيمة ما روى الراوون مُشْبهَها نَسجْتُ بُردتها من فيض وجداني



(١) السر : الروح

(٢) إشارة إلى قصيدة الشاعر في عيد التتويج ، وقد ألقاها في محطة الإذاعة اللاسلكية.

الفاروقيات



نظم أحمد فتحي عدة قصائد مديح لفاروق ملك مصر والسودان بعد تولي فاروق حكم مصر عام ١٩٣٦ خلفا لوالده الملك أحمد فؤاد الأول.

حيث تولى فاروق سلطاته بعد أداء القسم في البرلمان يوم ٢٩يوليو ١٩٣٧ ، وقد استبشر الشعب به خيراً.

عيد التتويج

صُغْ يا قريضُ ، وهات يا حَسَّانَهُ ... وانشرْ بِمَدْرَجَةِ الخلود جُمَانَهُ !

أَشرِفْ على الوادي وهُزَّ مَنابراً ... تشتاقُ مُلْهَمَ طيرِها وبيَانَهُ

واصْدَحْ بألحانِ المنى رَفَّافَةً ... إِسحاقُ ينكرُ عندها أَلْحَانَهُ

أَقْبِلْ على الميدانِ مُعْلَمَ فارسٍ ... إن ظنَّهُ وَاهِي القُوَى مَيْدَانَهُ

صُلْ كيفَ شئتَ وجُلْ فحسبك عِزَّةً ... أَلْقَى الأَنامُ - كما تَرَى - آذانَهُ

أَنشِدْهُ مِنْ غُرِّ القصيدِ يتيمةً ... لو أَدْرَكَتْ قيساً بكي شيطانَهُ

هي آيةُ الدنيا ، ووحيُ شبابِها ... كم كَلفَتْهُ حواسداً رَيْعَانَهُ!

ما المجدُ إِلَّا للشبابِ ، وعَزْمةٍ ... تبنى ، فترفعُ للسُّهَى بُنْيَانَهُ

لتَخَالُ ماجِدَهُ الذُّؤوب على العلا ... كسرى يُشَيِّدُ للعُلَا إيوانَهُ
وتظنُّ يمناهُ وقد مُدَّتْ إلى ... نجمٍ تُنَبِّهُ من كرًى وَسْنَانَهُ
روحاً من الله المُهَيْمِنِ لم تَزَلْ ... تُجْرِي القضاءَ وتَسْتَلِينُ حِرَانَهُ
مَنْ بالِغٌ هذا الجلالَ ؟ ورَمْزُهُ ... ملكٌ ، يوطِّدُ بالتُّقَى سلطانَهُ
قد قرَّبَ العلمَ الشريفَ وأَهْلَهُ ... وأحاطَ بالدين الحنيفِ فَصَانَهُ
الليلُ يُحْيِي في الدُّجى صَلواتِهِ ... والفجرُ يسمعُ في البُكُورِ أذانَهُ
يَتَفَاءَلُ النيلُ السعيدُ بعهْدِهِ ... كتفاؤل الوادي يَرَى فيضانَهُ
لم تشْهِد العَلْيَا مليكاً قبلَهُ ... أَلْقَى بكفيهِ الزمانُ عنانَهُ
لو قالَ للقدر المصرِّفِ آمراً ... كُنْ خادِمي عَبْرَ الحياةِ لكانَهُ
اللهُ جَلَّلَهُ بِخُلْقٍ سَمِيِّهِ ... فَشَأى جديدُ هشامِهِ مَرْوَانَهُ
أقسمتُ لو بُعِثَتْ أميةُ ما ارْتضتْ ... إلّاهُ ، ملكاً يقيمُ بعدلِهِ ميزانَهُ
يحكمُ في المدائِن والقُرَى ... ويرى الليالِيَ كلَّها أعوانَهُ
قد يُنْصِفُ اللهُ الخلافةَ عنده ... من هادِمٍ من مجدِها أركانَهُ
أملُ الحنيفَةِ ، نرتجي تحقيقَهُ ... حتى يوثِّقَ مؤمنٌ إيمانَهُ
وأنا البشيرُ به ، وشاعِرُهُ الذي ... ما انفكَّ يجلو للوَرَى تِبيانَهُ
ما زِلتُ أحبوهُ القصيدَ روائعاً ... يُجْرينَ بالحمدِ النبيلِ لِسانَهُ
هو غايتي في الدهر، أكدحُ دونه ... وأظلُّ أغذو من دَمِي غرثانَهُ
صَيَّرْتُهُ خِدْنِي ، وليس بماجِدٍ ... من لا يُعزِّزُ بالمنى أخدانَهُ
فأنا الوفيُّ له ، كما حكم الهوى ... أبداً أحَمِّلُ هِمَّتي نُشْدَانَهُ
إني وهبتُ لهُ قُواي وفطنتي ... وقدرت إن جَحَدَ الجواحد شانه
مَنْ ناصِرِي ؟ أعلَّ أن أسعى لهُ ... وحدي ، وألقى من ضَنًى ألوانَهُ
وهو الحبيبُ إلى العُروبةِ كلِّها ... لا تستطيعُ شعوبُها سُلْوَانَهُ

هَتَفَتْ بِهِ أُمَمُ الكتابِ وأرسلَتْ ... بدعائها صُعداً يَشُقُّ عِنانَه

ولقد يجيبُ اللهُ دَعْوَةَ مِعْشَرٍ ... تبعُوا الرسولَ وقَدَّسوا قُرآنَه

لله «فاروقٌ» وعبدٌ باسمٌ ... نَسِيَ الشَّجِيُّ بوَحْيِهِ أَشْجَانَهُ

لَبِستْ به الدنيا ثيابَ صفائها ... وكفى البلادَ زمانُها حدْثانَه

أهدَى لنا الأرَجَ الذكيَّ ونفحُهُ ... يرجو إلى مستافِهِ إحسانَهُ

وأتاحَ للنيل الصَّبَا مُغتلَّةً ... تحكي بمسراها الوئيدِ حِسانَهُ

فتألَّقَ الوادي، وأشرَقَ وَجْهُهُ ... زَهَراً يُداعبُ وَرْدُهُ ريحانَهُ

وَشدَا على الأغصانِ مُلْهَمُ طيرِها ... سُبْحَانَ مُلْهِمِ طيرِها سُبْحَانَهُ

◆◆◆

مَلِكَ الشبابِ: وفودَ شعبٍ طائعٍ ... تحدو موكبُ مصره سودانَهُ

إنسانُ ناظره هواك فَعِمْ به ... والطرفُ يَفْدِي مِنْ قَذَى إنسانَهُ

قد ظلَّ يرقُبُ يومَ عيدك وامقاً ... والحصدُ يرقبُ زراعٌ إبَّانَهُ

هَجَرَ المنازلَ والبقاعَ وأهلَها ... وأتاكَ يُرْوِي مِنْ صَدًى ظمآنَهُ

حثَّ المطيَّ إلى رحابِك شَيِّقًا ... لم يَثْنِ بُعْدُ المتنأَى هَيَمانَهُ

وَافاك والآمالُ رائده الذي ... قد راحَ يزجي للعلا ركبانَهُ

حتى إذا بلغ الرِّحابَ وَأشْرَقَتْ ... أنوار عرشكَ واجتلى مُزْدانَهُ

جَمَعتْ يداهُ الغارَ واحتشَدَتْ به ... تُهْدِي إليكَ قُلُوبُهُ تيجانَهُ



القران الملكي

خُذْ قَوَا فيكَ ، مِنْ ثُغُورِ الأَقَاحِي ... لِمليكِ القُلُوبِ ، وَالأَرْوَاحِ
تِلْكَ أَفْرَاحُهُ ، فَهَاتِ ، وَجَدِّدْ ... للمعالِي تَهَانِئَ الأَفْرَاحِ
وَتَرَنَّمْ مِلْءَ المواكِبِ ، وَاهْتِفْ ... بِأَغَارِيدِ بُلْبُلٍ صَدَّاحِ
وأَدِرْ مِنْ كُؤُوسِ بُشْرَاكَ فِينَا ... سلسلَ الرَّاحِ ، في اللَّيَالي الملاحِ
حَبَّذَا نشوةُ الرِّضى وَالأَمَانِي ... رُبَّ نَشْوَانَ فِي تَنَبُّهِ صاحِ
فَاسْقِ هَذا الأَنَامَ سِحْراً حَلَالاً ... سَائِغاً في غُدُوِّهِمْ وَالرَّوَاحِ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي اسْتَلْهَمَ الوَحيَ ... سَمَاءً سَخَتْ بِوَحْيِ الوَاحِي
هَاتِ أَنْغَامَكَ الحِسَانَ ، وَاطْلِعْ ... آيَةَ الشِّعْرِ مِنْ لآلٍ صِحَاحِ
نَسَخَتْ آيَةَ المساءِ ، وَأَزْرَتْ ... بِسَنَى الشَّمْسِ فِي النَّهَارِ الضَّاحِي
قُمْ إِلَى الدَّوْحِ ، وَابْعَثِ اللَّحْنَ فِيهَا ... سَحَراً ، وَارْتَقِبْ مَجِيءَ الصَّبَاحِ
فَإِذَا ما وَافَى صَبَاحُكَ ، فَالثُمْ ... غُرَّةً فِي جَبِينِهِ الوَضَّاحِ
وَادْعُ رَبَّ السَّمَاءِ دَعْوَةَ صِدْقٍ ... فِي نِدَاءٍ مُجَلْجِلٍ وَصِيَاحِ
عَاشَ فَارُوقُ ، لِلْكِنَانَةِ وَالنِّيـ ... ـلِ ، وللمجدِ ، وَالنَّدَى ، وَالسَّماحِ

◆◆◆

يا مَليكي ، إلى عُلاكَ تحايَا ... نَشَرتْ طِيبَ مسْكها الفَوَّاحِ
حَظِيَ الشعرُ مِنْ هوَاكَ بِنُعمي ... واكْتسى مِنْ سَنائِه بوشَاحِ
أنتَ أطْلَعْتَ للكنانةِ عصراً ... ساطعَ النورِ في الرُّبى والبطَاحِ

(*) عقد قران الملك فاروق والملكة فريدة «صافيناز ذو الفقار» في ٢٠ يناير ١٩٣٨ في احتفالات باذخة تبارت فيها نجوم الأدب والفن لمباركة هذا الزفاف الملكي . (المحقق).

جَمَعَتْ حَوْلَكَ القُلوبَ سَجايَا ... حَمْدُهَا معجز مدى الإفْصاحِ!

أيْن منكَ الأمداحُ إنْ آكُ في الشِّعر ... «جرايراً» يُجْدلُّ بالأمدَاحِ؟

ما عسى الشعرُ أن يقول، وماذا ... نتمنىً على القوافي الفصاحِ؟

ما سبيلُ البيانِ في ملكٍ يجمعُ ... بين العُلا وبين الصَّلاحِ؟

غيرَ أني مُعللٌ نفسي اليومَ ... بذكرى من القياسِ المباحِ

ضربَ اللهُ من سناهُ مثالاً ... بحديثِ المشكاةِ والمصباحِ!!

◆◆◆

يا ميلكي، غدوْت معبودَ شعبٍ ... أنت من دهرهِ مدَى الاقتراحِ

آيةُ اليمنِ في جبينكَ لاحتْ ... فعرفنا بهذا بشير النجاحِ

عاهدتْ مصرُ أختها بسلامٍ ... لا ببيضٍ ولا بسمرِ رماحِ

وأستْ جرحنَا الليالي، وكانتْ ... بأساةِ الجراح جد شحاحِ

واسترحْنَا من الجراحِ الدوامي ... وشدونَا من بعْد طولِ النواحِ

هكذا عهدكَ السعيدُ رخاء ... جددَ العهْدَ منْ «مِنَا وفتاحِ»

نحنُ منه في جنةٍ ونعيمٍ ... وظلالٍ ملء البسيطِ فساحِ

ولك اليوم مهرجانُ قرانٍ ... غمر الكون بالمنى والمراحِ

نقرتْ دُفها البشائرُ فيهِ ... بيدٍ منْ حفاوةٍ وارتياحِ

وسعى العالمون طرا إليهِ ... بين شوقٍ وغبطةٍ وانشراحِ

وأتيناهُ بالأماني حساناً ... نأخُذُ الشعرَ من ثُغُورِ الأقاحِي



عيد الميلاد

مرفوعة إلى سُدَّة مولانا الملك المعظم

صَفَا لـكَ بـالمنى ، وجهُ الزمـانِ ... وزُفَّـتْ يـومَ عيـدِكَ بُـشرَيانِ
وأضـحى النـاسُ في عيـدٍ وعيـدٍ ... أجَـدَّا ذِكـرَ أعيـادِ القِـرَانِ
تواكبَـتِ الوفـودُ إليـك حتـى ... سَـعَى لَـكَ ، في الوُفـودِ ، النَّيِّرانِ
وَدَوَّى مـن فَـمِ الـدُّنيا حُـدَاءٌ ... يُزَجِّـى المِهرجـانَ لمِهْرَجـانِ
وسـالَتْ في المتـالِعِ والـرَّوَابي ... أغاريـدُ الكواعِـبِ والقِيـانِ
وقـام بِباسِـقاتِ الـدَّوْحِ شـادٍ ... تَـرَنَّمَ بالأناشـيدِ الحِسـانِ
وأشرَقَ في البسيطِ جبينُ صُبْحٍ ... فلـم يَـتْرُكْ ظلامـاً في مكـانِ
تَـنَفَّسَ ، والنَّـدَى في الـروضِ طَـلٌّ ... فَتَمَّـتْ للأزاهـرِ فَرْحَتـانِ
ومـالَ الـوردُ في الأكـمامِ بِـشراً ... يُقبِّـلُ مـن ثُغـورِ الأُقْحُـوَانِ
وضـاعَ شَـذًى نَـشَقْنا الخلْـدَ مِنْـهُ ... كـأنَّ أريجَـهُ نَفْـحُ الجِنـانِ

◆◆◆

مليـكَ الـوادِيَيْنِ ! لـكَ التَّحَايـا ... يُحُـبُّ بهـا إليـكَ الوادِيَـانِ
تعـالى اللهُ ، قـد أوْلاكَ عرْشـاً ... أُقِيـمَ عـلى قلـوبٍ مـن حَنَـانِ
تَنَـادَتْ باسْـمِكَ الـدنيا تُرَجِّـى ... بـكَ المَوْمـوقَ مـن نَيْـلِ الأمـاني
بَـسَطْتَ عـلى الوجـودِ ظِـلالَ حُـبٍّ ... قـد انْـتَظَمَ الأقـاصِيَ والأداني

(*) بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد الملك فاروق الثامن عشر الذي وافق ١١ فبراير (حيث كان مولده سنة ١٩٢٠) .(المحقق).

« سُـهَيْلٌ » في ركابـكَ « والثُّريـا » بِمُجْتَمَـعِ الـشَّآمي بـالـيَماني
فَقُـمْ وانهـضْ بعـصرٍ أنـتَ فيـه مَنـاطُ العهـدِ مِـنْ ذي عُنْفُـوَانِ
وَسِرْ بالنـاسِ في سُـبُلٍ وِضـاحٍ يَـسِيرُوا والعُـلا فَرَسَـىْ رِهـانِ
وخُـذْ للـذِّين عَهْـداً مِـنْ سـلامٍ لِيَـأمَنَ مَجْـدُهُ حـرْبَ الزَّمـانِ !

◆◆◆

دعـوتُ الـشعرَ فيـك فـما عَـصَاني ولان قيـادُهُ بعـد الحـرانِ
أتـى «جِبْريلُـهُ» وأسرَّ وحيـاً إليَّ ، كأنـهُ «الـسبع المثـاني»
خففتُ إليـكَ ، أمسِ ، أزف عقـداً مـن الـدرِّ المنـضدِ والجـمانِ
ركبـتُ مطيـةَ الإلهـامِ حتـى قطعـتُ الـدهرَ في عمـرِ الثـواني
طويـتُ لـكَ الزمـانَ، ولـيس بِـدعاً طويـتُ لـك الزَّمـان ، ومـا طـواني
رَجعـتُ لكـرخِ بغـداد «النُّواسي» وعجتُ بطيـب أنـدلُس ابـنِ هـاني
وأرسـلتُ الروائـعَ فيـكَ سـحراً تـألقَ بـين إعجـازِ المعـاني
أنـا البـادي المعيـدُ لـكَ القَـوافي فـمالي في ابتـداعِهنّ ثـانِ
مـآثِرُكَ العُـلا أغنـتْ خيـالي ففـاضَ عـلى المـوَشي مِـن بيـاني
لقيـتُ ببابَـكَ الـدنيا جميعـاً جنانـاً ذاتَ أثـمارٍ دوانِ
ولم أبـرحْ رحابـكَ في دعـاء جَـرَى ، نحـو الـسَّماء عـلى لِساني
رَعـاكَ اللهُ تَـنْعَمُ في ظِـلال بُـسِطْنَ عـلى ضَـفافٍ مـن أمـانِ
ولا زالـت لـكَ العليـاء تـسموُ عـلى الـذرواتِ مـن شُـمِّ الرِّعـانِ
أقـول لـصاحبينِ: همـا خيـالٌ، وحُـبٌّ ثابـتٌ مـلء الجنـانِ
إليَّ، وقـد دعـوتُكما ، إذا مـا سـعيتُ لمنـبري ، لا تخـذُلاني

وإن هتفت بنا الأعيادُ يوماً فبالغرِّ الروائعِ أسعفاني
إذا «الفاروقُ» أعيادٌ تراءتْ له، والقولُ منطلقُ العنانِ
ولم أظفرْ من الأدبِ المصفَّى بآياتٍ، منمقةٍ، حِسانِ
فلا كان البيانُ، ولا القوافي ولا بَلَغ الخلودَ «الأخمدانِ»

◆◆◆

مليكَ الواديينِ، لكَ التحايا تردَّدُ في ترانيم الأغاني
لنا في كلِّ آن بثُّ شكوَى يُشَبُّ لهيبُها في كلِّ آنِ
أقامَ القاضِيانِ على خِلافٍ وضاع العدلُ، نعمَ القاضيانِ!
وباتَ المرشدانِ على عَدَاء وقد ضَل الرشادَ المرشدانِ!
وكلٌّ في البلادِ له نَصِيرٌ وأخصامٌ تواصلوْا بالطِّعانِ
يروح الرأي مضطربا ويغدو كما اضطربت غصون الخيزران
ويَشْتجِرُ الروائحُ والغَوَادِي على غيرِ المبرةِ والصِّيانِ!
تناسوْا صالح الأوطانِ لما مَضوْا قُدُماً إلى حربٍ عوانِ
وضجَّ ضجيجهُمْ في كلِّ أرضٍ نَذِيرَ فجيعةٍ قبْلَ الأوانِ
أيهدمُ بعضهمْ بُنيانَ بَعْضٍ مُباعَدَةٌ على أمَلِ التداني؟!
ولم يفْتأْ لكَ الرأيُ المعلَّى إذا ضلَّ الهدايةَ شيعتانِ
فَأطْلعْ من سَناكَ على دُجاهمْ شُعاع هُدًى لِقاصٍ أو لِدانِ
وذكِّرْهُمْ بأنَّ المجدَ يُبْنى وليسَ لهادِمٍ إعلاءُ بانِ!!
مَليكَ الوادِ بينِ: أجِزْ بَياني وشَكْوَى صاحبَتْ رُسْلَ التَّهاني
وحَسْبُكَ من فمِي نفثاتُ حُبٍّ تصايحُ في أغاريدِ البيانِ
وحَسْبِيَ من سَخاءِ الوحْيِ أني دعَوْتُ الشعرَ فيكَ فما عَصَاني!

عيد الجلوس

مرفوعة إلى سدة مولانا الملك المعظم فاروق الأول

بلغَ المجدُ شأوَهُ، في شَبابِك	وَأقَامَ النَّدَى عَلَى أبوابِك
وَأعَدَّتْ لَكَ المعالي مثالاً	حازَ في حُسْنِهِ مَدَى إعجابِك
وحَبَتْكَ المُنى شرَاباً طَهوراً	فاضَ يُرْوي الظماءَ، من أكْوابك
وَرَوَتْ عنكَ ألْسُنُ الحَقِّ ما لم	يُرْوَ للمالكينَ، من آدابِك
وترَضَّاكَ قلبُ هذي الليالي	علَّهُ أنْ ينالَ فضلَ ثوابِك
وتَغَنَّتْ بكَ القَوافي، وسارت	تَنْثُرُ الدُّرَّ غالياً، في رِحابِك

◆◆◆

يَا مَليكَ الشَّبابِ، وَالشعرُ فَنٌّ	يَقْبِسُ النُّورَ، مِنْ سَناءِ شِهَابِك
قد رَأينا الزمانَ بَعضَ مواليك	وَهذِي الأقْدارَ مِنْ حُجّابِك
كُلَّما لُحتَ، شَارَفَ النَّاسَ عِيدٌ	سَجَّلَ المجدُ ذِكْرَهُ في كِتابِك
وَإذَا غِبْتَ عن عَبيدِكَ ظَلُّوا	يُضْرِمُ الحُبُّ شَوْقَهُمْ لإيابِك
ما رَأَتْ قبْلَكَ الحَياةُ مَليكاً	وَصَلَ المجد، من عُلا أسْبابِك
لَقِيَ الدينُ مِنْ لَدُنْكَ التِفاتاً	قدسِيّاً أعَزَّهُ في جَنابِك
أنتَ أعْلَيْتَ شَأنَهُ بتُقَاةٍ	وصلاةٍ، تُقَامُ في محْرابِك
وبَعَثْتَ التاريخَ، فجراً سَنِيّاً	لاحَ باليُمْنِ، مِنْ ثَنَايَا شَبَابِك
عادَ للنيلِ في زمانِكَ ماضِيـ	ـهِ، يجُرُّ الذُّيُولَ تحْتَ قِبَابِك
ورَأتْ مِصْرُ عرشَها، يَتَعَالَى	بالكريم العَريقِ، مِنْ أحْسَابِك

(*) بمناسبة احتفال البلاد بالذكرى الثانية لتولي الملك فاروق مقاليد الحكم الذي تولاه في ٢٩ يوليو ١٩٣٦.

تحية الشباب لعيد الميلاد

بَلَـغَ المجـدُ شـأوَهُ في شـبابِهْ وأقـامَ النَّـدَى عـلى أبوَابِـهْ
وأعَـدَّتْ لـهُ المعـالى مِثَـالاً حـازَ في حُسنهِ مَـدَى إعجابِـهْ
وسَـقَتْهُ المُنـى شرابـاً طَهُـوراً فـاضَ يُـرْوِى الظِّماء مـن أكوابِـهْ
وترَضَّـاهُ قلـبُ هـذِى اللَّيـالي عَلَّـهُ أنْ ينـالَ فـضلَ ثوابِـهْ
ورَوَتْ عنـه ألْسُنُ الخلـقِ مـا لم يُـزْوَ للمالكـينَ مِـنْ آدابِـهْ
وتَغَنَّـتْ بـه القَـوَافي وسـارَتْ تنشـرُ الـدُّرَّ ؛ غاليـاً ؛ في رحابِـهْ

◆◆◆

ذا مليـكُ الـشبابِ ، والـشعرُ فَـنٌّ يقبسُ النورَ مـن سَنىٌّ شِـهابِهْ
لكـأنَّ الزَّمـانَ بعـضُ مواليــــهِ ، وهـذِى الأقـدارَ مـن حُجَّابِـهْ
كلـما لاحَ ، شـارَفَ النـاسَ عيـدٌ سـجَّلَ المجـدُ ذِكـرَهُ في كتابِـهْ
وإذا غـابَ عـن عيـونِ البرَايـا أَضْرَمَ الحـبُّ شـوقَهم لإيابِـهْ
مـا رَأَتْ قَبْلَـهُ الحيـاةُ مليكـاً وَصَلَ المجـدَ مِـن عُلَى أسبابِهْ
لَقِـيَ الـدِّينُ مـن لَدُنْـهُ الْتِفاتـاً قُدُسِـياً أعَـزَّهُ في جنابِـهْ
هـو أرْسَـى أركانَـهُ بِتُقَـاةٍ وصـلاةٍ تُقَـامُ في مِحْرَابِـهْ
وأعـادَ مِـصْرُ عرشَـها يتـسامى بـالرفيع العريـقِ مـن أحـسابِهْ
ردَّ للنيـلِ عهـدُهُ حُـسْنَ ماضيـهِ يجـرُّ الـذيولَ حـولَ ركابِـهْ !
مَـنْ كفـاروق ، في خلائقـه الغُـرُّ وفي خلقـهِ وضـاحِي شـبابهْ؟!

(*) تحية الشاعر لعيد ميلاد الملك فاروق التاسع عشر الذي يوافق ١١ فبراير ١٩٣٩، ويلاحظ أنها نفس قصيدة «عيد الجلوس» مع تغيير القافية ، مع تغيير ضمير المخاطب لضمير الغائب.

ملكٌ لاحَظتْهُ عينُ السماوات | فباتَ الزمانُ من أسلابهْ
صورَ الشعرُ من معاليهِ فنًّا | تتناجى به مُنى أصحابهْ!!
والأمانيُّ سرُّ كلِّ نشيدٍ | إن تغنّى الصدوحُ في أسرابهْ
ولكمْ خلدَ القريضُ على الدهرِ | حديثاً وعاهُ في أحقابهْ!
كيف ينسى الأنامُ مُلكَ بنى حمدانَ | في عِزِّهِ وراسي قبابهْ
عَوَّذَتْهُ روائعُ المتنبيِّ | بتعاويذَ ما لهنَّ مُشابهْ
حفظتْهُ من الغناءِ، فظلتْ | آيةُ الخلدِ، ملءَ غضِّ إهابِهْ!!

◆◆◆

يا مَليكَ الشبابِ، عصرُكَ عيدٌ | كلُّ أيامهِ، فيا سعدنَا بِهْ
عليمَ اللهُ كم ضَرَعْنا إليهِ | بِدُعاء علياكَ بَعضُ جوابهْ
ولقد مَنَّ، فاستجابَ، فأضحيْتَ | شِفاءً للنيلِ من أوْصابِهْ
وأتيناكَ بالتحايا لَطافاً | يحتويها ولاؤُنا في وِطابهْ
زُمراً من شبابِ واديكَ يحدُو | رَكْبنا الحبُّ للمقامِ النّابِهْ
نَتَغَنّى في عيدِ مَولدِكَ اليُمْنِ | بلحنٍ ينسابُ في إطرابِهْ
ونُناجي الآمالَ في الموكبِ الفَخْم | وقد ضَمَّنا محيطُ عُبابِهْ
مَنْ كهذا الشباب حَولَ جَناحيْكَ | رضاءُ الفاروقِ أحلى رِغابهْ؟
إنَّ فيهم لشاعراً تُشرقُ الدُّنيا | إذا ما أتاكَ سِحْرُ خِطابِهْ
أُلهمتْ فيكَ رُوحهُ نَغَمَ السِّحْر | فحاكي داودَها في عِذَابِهْ
حملَ الجوُّ صوتَهُ يملأُ الشَّرْقَ | يدوِّى في سهلِهِ وهِضابه
أنصتَ الناسُ في البقاعِ جميعاً | لأهازيجِ شَدْوِهِ وعُجَابِهْ

مُتنَـادينَ بالـصِّبى الغـضِّ يختـالُ فريــــداً بفنِّـــــهِ في بابِــــهْ!
مـا يـرومُ البيـانُ مـن ثَمَـرٍ جَـفٍّ ألمْ يكفــــهِ جنــــىَ أرطابــــهْ؟!
هــو لــولا الــشبابُ يكفــلُ دنيـاهُ طواهـــا الفنــاءُ في أنيابـــهْ!
عبقــريٌّ المثـال، يـسعى إلى المجـد فَتَعْنُــو لـــه وُجــوهُ صِــعابهْ
وكـذا المجـدُ ، يـشغَفُ الفـنَّ حبـاً فَتُعَنَّـــى بـــهِ مُنــــى أربابـــهْ!
هــو في مــضرَب المثــالِ بعيــدٌ وقريـبٌ ، بالجـدِّ ، مِـن طُلَّابِـهْ!!



خطرتان

إلى طيف .!

« كثيراً ما يرى النائم في أحلامه صوراً جملية يحبها كعناقٍ أو تقبيل أو غير ذلك ؛ حتى إذا صحا من نومه ندم على الحلم الجميل وودَّ لو أنه ظل نائماً ليستمتع به آخرَ العمر ؛ وهذه الأبيات من وحي بعض تلك الحالات ... وهي موجَّهة إلى الطيف الزائر في الرؤيا نفسه » ..

يا زائري بين الهواجس والرُّؤَى ... في لحظةٍ خُلِسَتْ من التسهيدِ

أَنسِيتُ أحزاني لديك ، فليتني ... أَبقَى لديك العمر غير بعيدِ !

ورُزقتُ من نعم الجمالِ وسحرِهِ ... طِبَّ العليلِ ، وتوبةَ العربيدِ !

◆◆◆

فصحوتُ مقترحاً على زمني الذي ... أبداً تراني فيه غيرَ سعيدِ ...

أن تقْفِزَ الدنيا ، من الدنيا ، سوى ... هذا الذراعِ ؛ وقد أحاطَ بجِيدِي .!



(٢)

الوجد العزيز.!

« يلوم الكثيرون من الأصدقاء والمعارف صاحِبَهُم حين يرون عليه سِمَاتِ الحزن، بينما قد يبلغ من ضيق الرجل بدنياه أن يعدمَ فيها كل شيء سوى هذه السمات الحزينة؛ التي قد يجد فيها - من حيث لا يدري - معنى من العزاء ».

لقد سلبتني الحادثاتُ فلم تَذَرْ
سوى الوجد، يُغرِى بي السقام وما يجدي
ومن عجب حِرْصي عليه، كأنني
أخاف زماني أن يُغيرَ على وَجْدِي !

بعد الشباب(*)

(١)

للأستاذ خليل شيبوب (١)

لما نَظَرْتِ إليَّ - أمس - مُليحةً
بينَ الجُمُوع؛ بلَحْظِكِ المُرْتابِ
وَجَرَتْ على شَفَتَيْكِ نَسْمَةُ حائرٍ
ما بينَ شِبْهِ رِضًى وَشِبْهِ عِتابِ
أَبْصَرْتُ في عَيْنَيْكِ عُمْرِيَ كلَّهُ
وَعَرَفْتُ أنّي قَدْ أَضَعْتُ شَبَابي

(*) مناظرة أجرتها مجلة الموظف بين ثلاثة من أنبغ شعراء العصر هم: خليل شيبوب، وإبراهيم ناجي، وأحمد فتحي حول خواطرهم حول الحب بعد إدبار الشباب (المحقق).

(١) خليل شيبوب (١٨٩٢ - ١٩٥١) شاعر سوري مجدد عاش في مدينة الإسكندرية منذ سنة ١٩٠٨، وأصدر بها ديوانه الوحيد «الفجر الأول» سنة ١٩٢٣، وتوفى ودفن بها.

(٢)

للدكتور إبراهيم ناجي [1]

ذهبَ الشبابُ فجئتِ بعدَ ذهابهِ … تُذكينَ ما أطفأتِهِ بيَدَيْكِ !
إني لتَلْفَحُني النَّسائِمُ كلما … حَمَّلْتِهَا حُرَقَ الغرامِ لَدَيْكِ
ألقَى لها وهجاً على خَدَّيْكِ … وأرى لها جَمْراً على شَفَتَيْكِ
لا تُذْمِني نَظَراً إليَّ، فوالذي … جَعَلَ الهوَى قَدَراً على كفَّيْكِ
ما تلتقي عيني بعينكِ لحظةً … إلَّا رَأَيْتُ صِبايَ في عيْنَيْكِ !!

(٣)

للأستاذ أحمد فتحي

ذَهَبَ الشبابُ وأدبَرَ الإشْرَاقُ … ومضَى الربيعُ وجفَّتِ الأوْرَاقُ
والحبُّ يذكيهِ الشبابُ، وبعده … تخبو ضرامُ القلبِ، والأشواقُ
قمرٌ، ولكنْ ضَنَّ حينَ تمامِهِ … وأتاحَ وصلا، حينَ جَدَّ محاقُ
هيهاتَ، لا وصلٌ يُرَامُ؛ وقد وَفَى … بينَ الضلوعِ الواجبُ الخفَّاقُ !!

---

(١) إبراهيم ناجي (١٨٩٨ - ١٩٥٣) شاعر وجداني رومانسي مجدد، له ديوان: وراء الغمام (١٩٣٤)، وليالي القاهرة (١٩٥٠)، وصدر له ديوان الطائر الجريح سنة (١٩٥٧).

استرحام

انظـــري لـــونَ شـــحوبي   أنـــا شـــمسٌ في الغـــروبِ
ودَّعـــتْ أفـــقَ مناهـــا   وانحنـــتْ نحـــو المغيـــبِ

◆◆◆

مـــا تراهـــا العـــينُ إلا   ذَهبـــاً في الـــبزجِ ســـالا
يحمـــلُ الـــشاطئُ منهـــا   لمحـــاتٍ وظـــلالا
فـــإذا لاح خميـــلٌ   للـــسنا العـــابرِ مـــالا
يمـــلأُ الـــوادي فتونـــاً   وشـــجونا وخيـــالا

◆◆◆

فاســـمعي هـــاتفَ حبـــي   وارحمـــي لوعـــةَ قلبـــي
واذكـــري صـــفوَ ليالينـــا   عـــلى بُعـــدٍ وقـــربِ

◆◆◆

إنـــما الـــذكرى حيـــاةٌ   لهوانـــا وبقـــاءُ
هـــي عـــشٌّ جمَّلتْـــه   للمحبـــين الـــسماءُ
ظلـــه ســـحرٌ وطهـــرٌ   وحنـــان وهنـــاءُ
ولياليـــه عتـــابٌ   ودلال ووفـــاءُ

◆◆◆

آه مـــن ســـهدِ الليـــالي ... عــذّب الــشوقُ خيـــالي
وأنـــا الحـــائرُ في حـــالٍ ... مـــن الحـــب وحـــالِ

◆◆◆

حـــين تبـــدين الرضـــا ... الـــسمحُ فأشـــدو وأغنـــي
وتناغيـــك عيـــوني ... بأغاريـــدي وفنـــي
ثـــم ألقـــاك تميلـــين ... إلى دنيـــاكِ عنـــي
وتظـــلُّ الـــروحُ حـــيرى ... بـــين يـــأسٍ وتمنٍّـــى

◆◆◆

انظـــري لـــونَ شـــحوبي ... أنـــا شـــمسٌ في غـــروبِ
ودَّعـــتْ أفـــق مناهـــا ... وانحنـــتْ نحـــو المغيـــبِ



غنائيات أحمد فتحي المجهولة (١٩٤٠-١٩٤٣)

طيور المساء[1]

طـــيري إلى النيّـــلِ طـــيري	وارتعي
في شـــــطِّه المـــــسحورِ	وارجعي
ارجعـــــــي للغـــــصونْ	حـــين يـــدنو الغُـــروبْ
أي سرٍّ مـــــــــــصونْ	في حنايـــــا الغُيـــــوبْ
كـــــلٌّ بُعـــــدٍ يهـــــونْ	لـــــو يعـــــودُ الغريـــــبْ

◆◆◆

الغريـــــبُ الـــــذي قـــــضى	عُمـــرَه يـــسكبُ الـــدموعْ
كيـــف ينـــسى الـــذي مـــضى	وشـــبابُ المنـــى يـــضيعْ
أمـــــلٌ راح وانقـــــــضى	مـــثلما ينقـــضي الربيـــعْ

◆◆◆

كلـــــما لاح جبـــينُ الـــشفق	وبكـــى مـــن دمـــه في الأفـــقِ
مـــيلي مـــع الغـــصن مـــيلي	وانظري
فـــرار لـــون الأصـــيلِ	واسهري
إلى الـــــصباح البليـــــلِ	واذكري

اذكري ساهرَ العيون

---

(١) لحن وغناء رياض السنباطي.

اذكري عهدنا

اذكـــري عهـــدَنا وحنِّـــي إليـــه — إنـــما الـــذكرياتُ كـــلُّ عزائـــي
واذكـــري ســـاعةَ الـــرضى إذ تهـــادى — زورقـــي باســـماً لوجـــه الـــسماءِ
ضـــمنا الليـــلُ في رداءٍ مـــن الطُّهـــر — بعيـــداً عـــن أعـــين الرقبـــاءِ
تتنـــاجي منَّـــا العيـــونُ بـــصمتٍ — هـــاتف بالنِّـــداءِ بعـــد النـــداءِ

◆◆◆

كـــم توســـلتُ بالـــدُّموع وبالـــشوقِ — إلى طيفـــك البخيـــل النَّـــائي
ضـــارعاً للـــسماء لـــو أبـــصرتني — في ضـــنى لـــوعتي عيـــونُ الـــسَّماءِ
أتمنـــــى ينـــــامَ عنـــــي زمـــــاني — ســـاعةً أو ينـــام عنِّـــي قـــضائي
فـــأرى أوجـــهَ المنـــى في جـــواري — وأرى وجهَـــك الـــصبوحَ إزائـــي
عنـــدها تـــصبحُ الـــسعادةُ ملكـــي — وتكـــــونين أول الـــــسُّعداءِ



(*) غناء / رجاء عبده ، ألحان / حليم الرومي.

حنين

مهـــد أحلامـــي وحبـــي ههنـــا فتعـــالي يفـــرحُ الليـــلُ بنـــا
بـــين زهـــرِ عطْـــرَ الـــوادي لنـــا وطيـــورٍ تتنـــاجي مُثلنَـــا
وتُغنى بهواها حولنا

◆◆◆

ليلُنـــا يحلـــمُ بـــالفجرِ القريـــبِ (١) والنَّدى يلتـفُّ بالغـصنِ الرَّطيـبِ
المنـــى ظمـــأي إلى ثغـــرِ حبيـــبِ وفـــؤادي حـــائرٌ بـــين القلـــوبِ
وأنـــا يـــا منيـــةَ الـــروح أنـــا ســـاهرٌ بـــين الـــروابي هاهُنـــا
فتعالي يفرحُ الليالُ بنا

◆◆◆

حـــدَّث الـــوردُ بـــما شـــاء نـــداه وحكـــي المـــوجُ إلى الـــشطِّ هـــواه
ودنـــا الـــصبحُ بلـــماح ســـناه فـــصغى النيـــل إلى وقـــع خُطـــاه
وأنـــا يـــا نـــورَ عينـــيَّ أنـــا ســـاهرٌ بـــين الـــروابي هـــا هنـــا
فتعالي يفرحُ الليلُ بنا

◆◆◆

بعـــث النُـــور عـــلى وادي الغـــصونِ وجـــرت أذيالُـــه بـــين الغُـــصونِ
هاتفـــاً بـــدعائي وحنينـــي تُـــنعشُ الفرحـــةُ في جـــوٍّ فتـــوني
وأنـــا يـــا نـــورَ عينـــيَّ أنـــا ســـادرُ الآمـــال وحـــدي هـــا هُنـــا
فتعالى يفرحُ الكونِ بنا

(*) غناء / حياة محمد ، ألحان / أحمد عبد القادر .

(١) في الأصلي «الصبح يحمل» وقد غيرناها إلى «ليلنا يحلم» لضرورة الوزن (المحقق).

على ضفاف النيل

يـا ضـفافَ النيـلِ أقبلـتُ إليـكِ أنـشدُ الراحـةَ والـسلوى لـديكِ
وأداوي لــوعتي بـين يـديكِ وأنــاجي أمــلي في شــاطئيكِ

◆◆◆

كــلُّ أحلامــك مــوجٌ وشراعُ ولياليــك لقـــاءٌ ووداعُ
ومنــي دنيــاك راحٌ وســماعُ وأغاريــدُك حُــبٌ والتيــاعُ

◆◆◆

يــا رُبــى الآمــالِ كنــا هاهنــا بــأزاهيرك نبنــي عــشَّنا
فرَّقــتْ أيــدي الليــالي بيننــا وأنــا في وحــدتي أحنــو عليــكِ

◆◆◆

مــا تــرى عــينُ خيــالي يــا ضــفافي موكـبٌ للـدهر بالـذكرى يـوافي
ورُبــىً تــسكبُ أنــوارَ الــسلافِ وفــمٌ يمــلأُ جــوِّي بالهتــافِ

◆◆◆

عــادني الــشوقُ إلى المــاضي وعــادا عــبراتٍ وحنَيناً وســهادا
ونــشيداً في ســمائي يتهــادى فاســمعي أنغامــه في أذنيــكِ

◆◆◆

(*) لحن وغناء رياض السنباطي .

- بدلنا كلمة «وعين تسكب» إلى «وربى تسكب لينسجم الوزن ، كما تكررت كلمة يسبى العيون ويدلناها «هز السكونا» (المحقق).

لـــك يـــا نيـــلُ وفـــاءُ العاشـــقينا		وصـــفاءٌ رائـــعٌ يَـــسْبي العُيونـــا
وجـــلالٌ وادعٌ هـــزَّ الـــسكونا		وجمـــالٌ يبعـــث النـــشوةَ فينـــا

◆◆◆

يـــا ضِـــفاف الـــسحرِ هوّنـــت عليـــا		آه لـــو ترجـــعُ أيـــامي إليـــا
وأرى دنيـــا الهـــوى مـــلء يـــدَّيا		وأداوي لـــوعتي بـــين يـــديكِ
وأروّي ظمئـــي مـــن شـــفتيكِ



على البحيرة

المساءُ السمحُ وافاك ، فعودي بأغاريدِك يا أطيارُ عودي

أهجعي في كنفِ العشِّ السعيد واصحَبي ليلك في حلمٍ جديدِ

◆◆◆

رقص العشب على مهدِ التلالِ وصغى قلبي إلى همسِ خيالي

حين أغضى الكون والنجمُ حكى لي ذكرياتٍ من عصورٍ وليالي

◆◆◆

وأنا نشوان أشكو من سقاني فتنةَ العمرِ بأكوابِ الأماني

حبي الأول . هل للحب ثاني ؟ ليته كان على البعد يراني

◆◆◆

مرقدي غربةُ روحي والضَّنى تلتقي الأجفانُ حولي وأنا

ساهرُ الأجفانِ وحدي ها هُنا أستقي الدَّمع وأقتاتُ المنى

◆◆◆

حدثيني يا ضفافي وأعيدي ما ترى عيني على الأفقِ البعيدِ

بأنه طيفٌ بأسرارِ الوجُودِ هاتفٌ أقبلَ في خطوٍ وئيد

◆◆◆

(*) لحن وغناء / جلال حرب .

- جاء في الأصل رقب العشب وبدلناها إلى «رقص العشب» ليستقيم المعنى والوزن ، كما أضفنا بعض الكلمات الساقطة من الأصل مثل الكون والدمع (المحقق).

أيُّ فجــرٍ طــرّز الــدوحُ نــداهُ		ومــشى يحتــضن الكــونُ ســناه
جمعــتْ فيــه قلــوبٌ وشــفاهُ		وتنــدَّت أعــينٌ لــيس تــراه

◆◆◆

ســاحرٌ مــا تعــشقُ الأرواحُ غــيرَه		كلــما أوفى عــلى شــطِّ البُحــيرة
في أهـــاريجِ شــبابي منــه نــبرَه		وعــلى وشــى الــروابي منه نُـضرَه

◆◆◆

لاحــت الــشمسُ عــلى هــام الرُّبــى		واكتــسى المــشرقُ لونــاً عَجبــا
عــانق النــرجسُ فيــه الــذهب		فــشدا المــوجُ وغنــى طربَــا

◆◆◆

نبِّهــي يــا طــيرُ نعــسانَ الــورودِ		وارتعي ما شئتِ في وادي الخُلـودِ
واصــدحي في جانبيــه بالنــشيدِ		في محيَــاك إلى الــصُّبحِ الوليــدِ



وحي جديد

هـــذه الـــسمرةُ العجيبــةُ مـــاذا ... راح يغـــرى بوصـــفِها الحـــاني

أيــن شــعري منهــا وأيــن خيــالي ... هـــي فـــوق الخيـــال والتبيـــانِ

أنــا منهــا في مهـبطِ الـوحي مهـما ... عقــد الحــبُّ في ذراهــا لــساني

غـير أني مـستلهم سـحرَ عينيـك ... المعـــاني ويـــا لهـــا مـــن معـــاني

لا تغــضي عنــي جفونــك حتــى ... أتلقـــى عـــنهن آي امتنـــاني

اســعديني بنظــرة منــك تــشفي ... غلـةَ الـصدر مـن شـجيٍ عـاني

وأتيحـــي لنـــاظريَّ متاعـــا ... عبقريـــا مـــن حـــسنك الفتـــانِ

وهبينـــي ســـويعة مـــن وصـــالِ ... بعـــد عمـــر قـــضيتُ في حرمـــانِ

اضجعي رأسَك الجميلَ على صدري ... واصـــغي لهاتِـــه الألحـــانِ

ودعينـــي أســـكبْ بأذْنيـــك أنغـــام ... جـــريحٍ شـــدا عـــلى الأغـــصانِ

لا تميـــلي عنـــي بوجهـــك أفديـــه ... بـــدنيا مـــن باســـماتِ الأمـــاني



(*) لحن وغناء محمد بخيت.

المرحلة الأخيرة (١٩٥٩ـ١٩٦٠م)

همس الأمواج

قلتُ لموجِ البحر يا موكباً
تراه عيني بين حينٍ وحينْ
أمواجُك الزرقاءُ تروي لنا
قصةَ حبٍّ عاش ملءَ السنينْ
هو الهوى الخالدُ، يسعى به
إلى ضفافِ الشكِّ همسُ اليقينْ
وهو .على قلةِ علمي به .
آيةُ جُبارِ الخطى مستكينْ
يوحي إلى الزورق أحلامَه
فيهجعُ الليلُ وراء السكونْ
ولي، شراعٌ، سابحٌ، لونُه
كلمحةِ الفجرِ يضئ العيونْ

يهمسُ للشاطئ في رِقةٍ

تذوبُ فيها عَبراتُ الحنينُ

ما بالُ هذا الرملِ حَّياته

تسمعُ مِنَّا كلَّ رجْعِ السنينْ

نشكو إليها بادراتِ الأسى

فيما يكونُ اليوم أولا يكونْ

ونسكبُ السرَّ على سمعها

وقد تصون السر أو لا تصوْن



صيف ضاع

يــا رُبــى الــشاطئ مــا الــسِّحرُ الــذي

ردلي ، في مغــرب العُمـــر ، ضَــحايا

أهـــو الحـــبُّ الـــذي آياتـــهُ

لم تـــزلْ في خـــاطري منـــه بقايـــا ؟

أم هـــو الـــسقمُ الـــذي أجـــرى عـــلى

قلمـــي ، ضـــعْفي ، ودمعْـــي ، ورَجايـــا

أم هـــو الـــذّكرى ، وقـــد طافـــتْ بهـــا

ســـاعة التوديـــع ، مـــن حـــولي شَـــجايا

◆◆◆

رحـــــم اللهُ زمـــــاني في الرُّبـــــى

وعفـــا عـــن نـــزواتي ، والخطايـــا

فاســـألي الأمـــواجَ ، هـــل لي عـــودةٌ

لـــصفاها ، بـــصفائي ، ومُنايـــا

أم يـــضيعُ العُمْـــرُ منِّـــي قبـــل أنْ

تـــسمعَ الأمـــواجُ همْـــسي ، ودُعايـــا ؟



أراهبة أم ملاك ؟

« كان الشاعر يجري عملية جراحية بالمستشفى الإيطالي بالقاهرة وخرج من المستشفى ومعه ذكرى الملاك الأبيض » .

أجـل والمـسيح الحـي والجـسدُ الفـاني
لقـد عـاشَ في قلبي ، مع الحبِّ ، طيفـانِ
رجـاءٌ وشـيكُ الـبرءِ ، تـرقصُ روحُـه
بخفـــةِ مفتـــونٍ ، ونـــشوةِ فتـــانِ
ويـــأسٌ قريـــرُ العـــينِ ، يرنـــو خيالُـــهُ
إلى جنـــةِ الفـــردوسِ في العـــالم الثـــاني
فـلا تجزعـي ، يـا أختُ ، إنـك خـاطرٌ
يُطـــلُّ عـــلى حـــاني ، ليـــسمع ألحـــاني
ومـــا اللحـــنُ إلا معبـــدي ، وبقدسِـــه
أقـــيمُ صـــلاواتي ، وأخلـــوا بـــإيماني
وهبْـــتِ صـــباه للـــسَّماءِ ، فطهَّـــرت
حمـــاكِ ، فلـــم يـــدنسْ بقـــاصٍ ، ولا دانِ
وزهـــدُك في دنيـــا الـــورى ، ومتاعهـــا
تبلـــور نفـــساً ترتـــضي كـــلَّ حرمـــانِ

ويـا أخـتُ : هـذا الزهـدُ آيـة نعمـةٍ
مـن الله ، تـوحي باحتـسابٍ ، وغُفـرانِ
فـداوى سـقامَ النـاسِ ، وابتـسمى لهـم
بلطـفِ سـماحٍ ، أو بـشاشة إحـسانِ
فـإن الثـوابَ الحـقَّ ، لـيس ينالُـه
سـوى قلـبِ وافٍ ، لا يـضُّن بقربـانِ



قصتنا

تسألُ عن حالي، وأنت الذي
يصنعُ حالي، ويعين الزمانْ
سل نفسَك اليوم، فبي كلُّ ما
تريدُ، من برحِ الجوى والهوانْ

◆◆◆

أو .. لا تسلْ .. واتركْ ظلالَ الأسى
منطوياتٍ بين ما كنا، وكانْ
قصتنا: أنك خنتَ الهوى
وأنني أرعاه، في كلِّ آنْ
صفحةُ أيام حسانٍ، لها
في خاطري، لمحٌ، كلمح البيانْ
سطورها عمري، وفيها أرى
مشرقَ روحي، في الرضا والحنانْ
فلا تعكِّر صفوها، بعد أن
لاذ شراعي، بضفافِ الأمانْ
وحدي، كما تعلمُ، أحيا، وفي
وحدةِ قلبي الآن، عليا الجنانْ

عام جديد

قــال لي ، والليــلُ يُــسري بيننــا

نغــمٌ يــسري ، ســؤالا ، وجوابــا

مــا تــرى الأيــامُ في آثارنــا

مــسرعاتِ الخطــو ، تنــسابُ انــسيابا ؟

مــا لنــا ننكــرُ .. مــن موكبهــا

أنــه يــدهم شــيبا ، وشــبابا

◆◆◆

قلــتُ والفجــرُ جبــينٌ مــشرقٌ

وجنــاحُ الليــلِ في الأنــوارِ ذابــا

هكـــذا الـــدنيا ، وفي حالاتهــا

حــيرةُ الفكــرِ ، يقينــا ، وارتيابــا

ذهــب العــامُ الــذي روّعنــا

منــه ، مــا روّع ، سُــقماً ، وعــذابا

مــا تــراني طمــستْ آثــاره

في خيــالي لوعــةٌ ، الــروح ، عِقابــا

لم أعــدْ أرجــو ، ولا أخــشى

ولا أحــسبُ اليــوم ، لأعــوامي ، حِــسابا

◆◆◆

وداع الشتاء

مال عني الشتاء، في شفق العمر
ومالت بشمسه الأنواءُ
رعدةٌ، من برودةٍ، وذبولٍ
من جفافٍ، قد طال فيه العَناءُ
وأعاصيرُ ذكرياتٍ، كما تعوي
ذئابٌ، يخافُ منها الفضاءُ
وشقاءٌ تدبُّ، في جَسدٍ ذاوٍ
عليلٍ، يسعى إليه الفناءُ

◆◆◆

قال لي صاحبي، سَلِمتَ، وهل
يَسلمُ، طيفٌ أعضاؤه أشلاءُ؟
قلتُ: ما لي وللربيع، وروحي
غصنُ بانٍ، أوراقه صفراءُ
دعْ أزاهيرُه، لغيري، وما أكثرَ
ما تنتشي بها الأهواءُ

ثـــم دعنـــي ، ووحـــدتي ، فلعـــلي
تـــرحمُ الأرضُ وحـــدتي والـــسماءُ
لـــيس عنـــدي إلى الـــصَّدى ، ولـــدَى
النـــاسِ ، هتـــافٌ ، مجلجـــلٌ ، وغنـــاءُ
وبهـــم فرحتـــي إذا فـــرح القـــومُ
ســـواء إن أحـــسنوا ، أو أســـاؤوا



إليها ...

أنا لستُ أعفو عنكَ ، إنك ظالمٌ
والظُّلمُ لا أرضى ، ولا أخشاهُ
إن كان بي ضعفٌ إليكَ ، فقد مضى
عهدي به ، بشقائهِ ، ورضاهُ
أنتَ الذي أحرقتَ سِفرَ غرامِنا
بجمالِه ، وضلالِهِ ، وهُداهُ
ورسمتْ لي هذا الطريقَ ، فلم يَعُدْ
لي من طريق في الحياةِ ، سواهُ
أمضي به وحدي فبَعْدكَ لم يكن
لي غيرُ وحْشَتِهِ ، وطول ضناهُ
عثراتُهُ لا تنتهي ، وظلامُهُ
لا ينقضي ، وأقول : أين مداهُ ؟
مهما يطل بي السير فيه ، فإنني
مترقبٌ لظلالِه ، وصداه
ولك الثناءُ بما صنعتَ بُمهجتي
فلقد كشفت عن الفؤادِ ، عَماهُ
وأعدتَ لي نفسي ، فكم مِنْ غائبِ
قد ردَّ غُربتَهُ اشِتدادُ جواهُ

قطرات المطر

صحوتُ على قطراتِ المطرْ
تُداعبُ نافذتي في السحرْ
فقمتُ إليها وبي رعدةٌ
طواني المساءُ بها ثم فرْ
وأرسلتُ عينَيَّ عبر الفضاءْ
إلى حيث دمعُ السَّماء انهمرْ
رأيتُ ، على البعدِ ، أيامَنا
تجددُ سَيرتها ، في حذرْ
وتروي على مسمعي قصةً
صداها أليمٌ ، كوخز الإبرْ

◆◆◆

وقال الهوى ، أتراهُ جرى
على سمعِهِ الصوتُ لمّا عبرْ
وهل أيقظته هتافاتُنا
بذكرى الليالي الخوالي الأخرْ

وهـــل عـــاش مثـــل جِراحاتنـــا
يـــداوي العـــذابَ بطُـــولِ الـــسَّهرْ
فقلـــتُ : هـــو الغـــدرُ ، فـــيما أرى
لـــه صـــورةٌ ، لا ككـــل الـــصورْ
ســـئمنا تجاعيـــدها في الوجـــوه
فـــضقنا بكـــلِّ وجـــوه البـــشرْ



ذكريات صيف

ذات مساء .. عاتبني قلبي ولم تنمْ عيني
والصيفُ جاء يسألُ عن حُبِّي أين مضى عنِّي
همس وفاء من عالمِ الغيبِ ينسابُ كاللَّحنِ

◆◆◆

سهرتُ أرعى لمحاتِ الجوى
في خاطري ، والليلُ ، ساجٍ ، ينامْ
واشتعل الوجدُ ، وراح الهوى
يسكبُ في الأضلعِ نارَ الهيامْ

◆◆◆

ولم يزلْ بي السهدُ حتَّى جرى
دمعي ، ولاح الصُّبحُ لي ، بعد حينِ
وانتفضَ القلبُ على ما يرى
من ذكرياتٍ ، عبرت بي سنينْ

◆◆◆

سعيتُ إلى النيلِ أشكو لهُ
غرامَ الفؤادِ ، وأهوالهُ
ورنّ هتاف الربى مالهُ ؟
ترى غيّرَ العشق أحوالهُ ؟

فهـــل روّع الوجـــد آمالَـــه

وهل حطم الصيفُ تمثاله ؟

◆◆◆

وضـفافُ النيـلِ مَغْنـاي ، ومرعـايَ ، وفيهـا

أنـس روحـي ، وعـلى سرحتِهـا عـاد شـبابي

وعـــذابي ، وغرامـــي ، وجروحـــي

وأنـــا ابـــنُ النخيـــل ، والنيـــلِ ، والطـــلِّ

وخـــضر الـــروابي ، ونجـــم الـــصباحِ

يـــسمعُ الفجـــرُ آهتـــي آخـــرَ اللّيـــل

ويـــسري عـــلى المـــساءِ نـــواحي

وبـدمعي يبكـي الغـمامُ ، ومـا بحـثُ إليـه

يـــــــسرى المكنـــــــونِ

وبأنفـــاس لـــوعتي تُـــسرعُ الـــريحُ

خُطاهـــــا إلى عنـــــاقِ الغـــــصونِ

◆◆◆

يــا باعــث الــشجون ومــوقظَ العيــونِ
بالوجــد والحنــين والــسُّهدِ والأنــينِ
عنــك أداري الــشوقَ لكــنها
تبــوحُ بالأشــواقِ لي ، وحــدتي
وأشربُ الــدمعُ ، فــيروي الظــما
وتنطــوي بالأوهــامُ عــن ليلتــي

◆◆◆

أنــت غــدى ، والأمــسُ ، والحــاضرُ
فــلا تقــل لي : أمــس أضــحى بعيــدْ
ركنــك هــذا الهــادئ العــاطرُ
أم ذكريــاتي فيــه ، ليــست تعــودْ ؟



ربيع حائر

وجـــاء الربيـــعُ شـــبابُ الزَّمـــانْ

وحـــدَّثني ، ثـــم أصـــغى ليـــا

روى لي حكايتـــــهُ ، كُلَّهـــــا

وأردف في بـــــسمةٍ راضـــــيْه

وأنـــت تـــرى زهـــراتي عـــلى

جبـــينِ الخميـــلِ عـــلى الرابيـــه

جـــواهرُ ، تقـــبسُ منهـــا العُيـــونُ

ســنَا الحــسنِ ، والنعمــة الــضَّافية

تباكُرهـــا قطـــراتُ النَّـــدى

فُترشـــفُ أقـــداحَها الـــصَّافية

ويـــسعى إليهـــا النـــسيمُ العليـــلُ

وعلَّتُـــــه ، أبـــــداً ، باديـــــه

ويُنـــشدُها الطـــيرُ ألحانَـــــهُ

فتطـــربُ آذانُهـــا الـــصاغيه

وتـــوقظُ في مُهـــج العاشـــقينَ

عِلالاتهـــم ، والمنـــى الغافيـــه

◆◆◆

وقلـــتُ : أراهــــا ، ولي فرحـــةٌ
برؤيتهــــا ، غــــضَّةٌ ، زاهيـــه
وألمـــحُ فيهـــا خُطـــىً ، كالمقـــادير
رائحـــــةً بيننــــا غاديـــــهْ
وأســـمعُ في هَدْهــــدات النَّـــسيم
نـــــذيرا بعاصـــــفةٍ آتيــــه
وتهـــربُ نفـــسي إلى عُـــشِّها
بوحـــدَتها الحلـــوةِ القاســـيه
وأطـــوي فـــؤادي عـــلى الــذكرياتِ
وأقنـــع بالمتعـــة الماضـــيه
فقـــد زهــدَ العمــرُ أيامَـــهُ
وبـــات عـــن النَّـــاسِ في عافيـــه
وأســـمعُ في هدهـــداتِ النَّـــسيم
نـــذيراً بعاصــــفةٍ آتيـــهْ



بائعة الورد

عيني مع النورِ على عهدِها
لا تغمضُ الجفنَ، ولا تغفُلُ
والنفسُ مهما زاد من وَجدها
لا ترهبُ العشقَ ولا تخجلُ

◆◆◆

بائعةُ الوردِ على خدِّها
وردةُ حسنٍ، ليتها تذبلُ
كي ترحمَ الناسَ، فمن ودِّها
أن يصرعَ الناسُ، وأن يقتلوا



أحبك

أحبكِ جهد الحب ، بل فوق جهده
وأطوى إلى يوم اللقاء اللياليا
أحب خيالي فيك ، أبيض ناصعا
وأخضر ريان ، وأحمر قانيا

❖ ❖ ❖

مكانك عندي ليس عندي سوى المنى
بذلت قصاراها على الوصل ، والهجر
وعندي لك الدنيا ، فإن عدت
علينا الليالي ، فالمثوبة للصبر

❖ ❖ ❖

رمت بي إلى دنيا هواك المقادر
فلا أنا معذور ، ولا أنا عاذر



الليالي

الليـالي أنـستك حبـي، ويـا ليـت

... فـؤادي ينـساك بعـض الليـالي

آه مـن طيفـك الحبيـب، أمـا يـبرح

... يختـال مـاثلا في خيـالي؟

إن يـومي ضـنى ولـيلى سـهاد

وجراحـي تـشكو جنـون النـصال

وحنينـي إليـك هـم مقـيم

مـلء قلـب مـن حبـه غـير سـال

ودمـوعي منهلـة غـام فيهـا

أفـق لاح كالـضباب حيـالي

وظنـوني لئيمـة الهمـس تـترى

مرجفـات بكـل قيـل وقـال

يا ترى من عرفت بعدي، ومن يلقاك

... في يـوم موعـد لوصـال؟

ومـن الـشاعر الـذي يتغنـى

لـك بالحـب في أسـى وابتهـال؟

(*) استوحى أحمد فتحي هذه القصيدة من وحي تجربة عاطفية عاصفة أبكته وهو في الأقصر وأرسلها الشاعر ضمن رسالة خاصة بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩٤١ إلى صديقه أنور أحمد.

يا جارتي الحسناء (١)

يا جارتي الحسناء ما لك موضع
في القلب، بعد تفرق الأحباب
في ناظريك من الصبا وجماله
يبدو سؤال ظامئ لجوابي
لكن مشغول الفؤاد بعوذ من
سحر العيون بدمعه المنساب
لي في ربى مصر العزيزة صاحب
واف، فديت شبابه بشبابي



(*) أثناء عمل أحمد فتحي مع قوات الحلفاء في الصحراء الليبية، أعجب الشاعر بفتاة حسناء وذلك في مطلع سنة ١٩٤٣، فكتب هذا المطلع من القصيدة في مايو من نفس العام، لكنه بعد فترة انقطع خيط إعجابه بهذه الجارة، لأن قلبه كان مع ملهمته في القاهرة، وهو بعيد عنها، فكتب قصيدته في صورتها الكاملة النهائية في شهر يونيه ١٩٤٣، وقد وردت القصيدة في إحدى رسائله لصديقه أنور أحمد في ٢/ ٧/ ١٩٤٣ (المحقق).

يا جارتي الحسناء (٢)

أشرقــت في ليــل أراق ظلامــه

في خــاطري، ليزيــد فيــه عــذابي

فرأيــتُ ثغــرك ضــاحكًا عــن دُره

متألقًــا في بــشره الخــلاب

وتبــسمتْ روحــي إليــكِ ، وعادهــا

طيــفُ التغــزل بعــد طــول غيــاب

وشــكا فــؤادي ظلــم مــا حملتــه

ليــصون عهــد أحبتــي الغيــاب

وجــرت عــلى شــفتي ظــلال تحيــة

تــسعى إليــك بهمــسة الإعجــاب

فهتفــت والــذكرى يلــم خبالهــا

فــيرد آثــامي عــلى الأعقــاب

◆◆◆

يــا جــارتي الحــسناء ، مالــك موضــع

في القلــب بعــد تفــرق الأحبــاب

(*) هذه القصيدة في صورتها الثاني النهائية التي أبدعها في شهر يونيه ١٩٤٣ وهو مجند مع قوات الحلفاء في الصحراء الليبية بعيدًا عن أرض مصر. (المحقق).

في ناظريك من الصبا وفتونه

يبدو سؤال ظامئ لجوابي

لكن مشغول الفؤاد يعود من

سحر العيون بدمعه المنساب

◆◆◆

لي في رُبى الوادي السعيد فريدة

في حسنها ، تشتاق يوم إيابي

عندي لها باقي الوفاء، وعندها

لهواي إعزاز وحسن ثواب

ولعلنا بعد النوى أن نلتقي

فتقرُّ عين شبابها وشبابي



يا لسان الوطن

المجاهد يوسف الجندي

نغـم طـاف عـلى الـوادي صـداها
وثـب الظـن فلـم يـدرك مـداها
صـاغها البـين شـجونا وجـوى
ودموعـا وجراحـات وآهـا
فـسرت بـين الليـالي لوعـة
تـوقظ الأعـين مـن حلـو كراهـا
صرعـت كـل فتـى أصـغى لهـا
ومـضت عنـه وقـد تاهـت وتاهـا
سـكبت أوجاعهـا في خـاطري
وأراقـت في دمـي حـر لظاهـا

◆◆◆

آه مـن ناعيـة المجـد الى
سرحـة النيـل وآسـاد شراهـا
سـلبت فجـر الـروابي نـزره
فتبـدت وحـشة سـاج دجاهـا
ولقـد علمـت الطـير عـلى

(*) قيلت سنة ١٩٤٢ في رثاء القطب الوفدي الكبير يوسف الجندي، والتي جعلها معارضة لقصيدة شوقي في رثاء سعد زغلول:
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها. (المحقق).

أفــــرع الـــدوح أفـــانين بكاهـــا

فـــإذا الـــوادي أهـــازيج أســـى

ذابـــت الأنفـــس في رجـــع صـــداها

◆◆◆

مـــدره الـــوادي، قـــضاء مـــبرم

في البرايـــا، كـــل نفـــس بقـــضاها

لـــيس بالدافعـــة عـــن غـــرض

جـــزع الـــدار ولا طهـــر دعاهـــا

نقلـــة الحـــي إلى غايتـــه

رحلـــة لا يعـــرف الـــوهن خطاهـــا

بواتـــك الخلـــد نفـــس حـــسرة

يبهـــر الآفـــاق لمـــاح ســـناها

ســـطعت بـــين الـــدياجي ســـاعة

مالهـــا قـــد غربـــت راد ضـــحاها؟

ســـعدت أخـــراك، لم تبـــق لنـــا

صـــور الـــدنيا ســـوى أون شـــفاها

مـــا تـــرى الأعـــين إلا حومـــة

وصـــناديد يـــشبون وغاهـــا

شـــيبت فـــود الليـــالي محـــن

وشـــعوب يطحـــن البغـــى قواهـــا

جنـــت الـــدنيا، فغنـــت ناســـها

في المناحـــات أغاريـــد هواهـــا

تخـــذت نـــوح الـــضحايا نغـــما

واستعارت دمهم دنيا جناها
وأقامت عرسها في ساحة
قد رأينا أرضها فوق سماها

◆◆◆

أيها الشيخ الفتي انظر تجد
أمة فزعها ثكل فتاها
راعها منك ارتحال باكر
سبق الأنجم في سيل ضياها
لم تزود بوداع حبها
حين لبيت من الأخرى نداها
مال عنها ركبك الساري إلى
جنة الخلد وموعود رباها
منك أقوت رحبها ، إلا صدى
لهتافاتك باق ما جفاها
ملء سمعيها مدو عاصف
كان صوت الحق رنان الهدى
فيصلا بين خصومات حماها
طالما أرسلته في فقرة
من بوادي الفكر فاستل هداها
ثائر الأمس تأنى ، ووهت
همسة غض الردى من غلواها
أدركت شمس الذرى سامية
وسعى فوق السماكين مضاها

ليت شعري، كيف قرت وثوت
وارتضت بعد الميادين وناها؟

◆◆◆

عطل المنبر من مفترع
يطلع الحكمة من قبل خباها
صحب الدهر شبابا ريقا
لم تنل منه الليالي وعناها
ساهرا قد رد «سبحان» على
أمم الضاد بيانا فسباها
وأعار الصحب من شعلته
قبسا لاح عيونا وشفاها
فإذا القوم حياة بعثت
بقواها ومناها وحجاها

◆◆◆

يا لسان الوطن الغالي إذا
ألجم الألسن رهاب عداها
دونك الدرة قم في إيكها
صيدحا يصغى إليه مشرقاها
وترنم بلياليك التي
هي أبقى في الليالي من بقاها
وأرو ذكري من صراع بارع
طرب المجد إليها فوعاها
للبطولات حديث، أنت في

سـفره الخالـد فـصل يتبـاهى
كـم رأينـا العجـب العاجـب مـن
وقفـات لـك هالـت مـن رآهـا
خـاب فـأل الحاسـدي مجـدك ، هـل
يحسد الأكمـة شمـسا مـا دارهـا؟
شـيدوا تحتـك أرضـا كنـت في
صـدرها لـو عرفـوا ، قطـب رحاهـا
فتماسـكت ، ومـن حولـك مـا
يـدع الأطـواد تهـوى مـن ذراهـا
خـادعوا عنـك عيونـا لم يطـل
في غيابـات الأباطيـل عماهـا
روحـك العـذراء لاحـت دره
حيـث كـانوا سـاقيات وحـصاها

◆◆◆

مـصر ، يـا أوفى بنيهـا ، ضربـت
فيـك أمثـالا لمـأثور وفاهـا



الكتاب الأسود

(إلى مكرم عبيد)

مضى عنهمو سعد، فكنت لهم سعدا
مقيما لهم كيما تقيم العلا مجدا
فما بالهم حادوا وداسوا وضيعوا
عهود وفي ما أضاع لهم عهدا؟
أيرميك من بالأمس رشت سهامه
ويهجوك من علمته القول والردا؟[1]
ويجفوك في الوادي فتى كنت وده
فلم تبق أحداث الليالي له ودا؟
شقاء لقوم أبغتك قلوبهم
وبعدا لآمال الحمى فيهمو بعدا
وتعسا لدار يبرم الحمق أمرها
ويرسى لها ركنا ويعلى لها بندا
فما أمة تبني بأنقاض ولدها
بأبقى على ريب الزمان ولا أهدى
لقد راح بالأرجاف شأنيك أو غدا
فليس له فينا مراح ولا مغدى

(*) قيلت سنة ١٩٤٣ بعد انشقاق مكرم عبيد (١٨٨٩ - ١٩٦١) عن زعامة مصطفى النحاس للوفد، ثم أصدر الكتاب الأسود في مارس ١٩٤٣ حيث ذكر فيه أخطاء زعماء الوفد من مخالفات واستثناءات. (المحقق)

(١) إشارة إلى ما قيل من أن مكرم عبيد، وهو الذي كان يعد لمصطفى النحاس خطبه وبياناته.

لقد وضح الحق المبين لناظر
إذا لم يحمل قلبه الغل والحقدا
مضى الأسد الجبار من غاب ذلة
وخلف في آجامه الفهد والقردا
ألا ليت شعري، كيف أزجي يتيمة
إليك ترى ثوبا لحبي أو بردا
وعندي لك الحب الذي لو كسوته
شيات نجوم الليل ، مزقها زهدا
ولو فم راود، أقام بسحره
يغنيك ، لم يبلغ مناي ولا القصدا
ولكن علام الجهد ، حيث لغاية
بلغت مداها ، ما بذلت لها جهدا؟
وإني لأستحي بيانك خجلة
وإن كان ما أزجي لك اللؤلؤ الفردا
فخذ من بياني كل ما أنت سامع
على ضعف ما تلقى وقلة ما تهدى
وسيان صمت للمحب ومنطق
إذا شهد الأهوال والموقف الكدا!
فما كل معسول الحديث أمينه
وإن زف في ألفاظه الورد والشهدا
ولا كل خطار السحاب بماطر
وإن راقنا برقا ، وإن راعنا رعدا

من الشعر الفكاهي:

ندوة لم تتم!

هـل تخـذتم مـن السماكين داره
وأقمـتم لكـم عليهـا أمـاره؟
أم صـنعتم بـين الدساكر مجـدا
بالأغـاني طـورا، وبالـشعر تـاره؟
سـامرا تحـسد النجـوم لياليـه
... وتـدنو محبـة أنـواره
ونـديا كأنـه مجلـس المـأمون
... قـد خلـد الـورى أسماره
أصـبح الكفـر في داركـم كبغـداد
... بهـاء وروعـة وحـضاره
مـستطيلا عـلى العواصـم في الـوادي
... مـذلا بأهلـه أمـصاره

◆◆◆

حـدثوني، مـن ذلـك الـشيخ أرسـى
ركنـه في العـلا وشـاد ديـاره؟
ولقـد بـات ذكـره يمـلأ الـسمع

(*) اصطحب الأديب أنور أحمد صديقه أحمد فتحي إلى مدينة كفر الشيخ ليجمعه هناك بنفر من أصدقائه الأدباء في ندوة إخوانية لطيفة، وقد وزع الأصدقاء المناصب والألقاب على أنفسهم على سبيل التفكه، فجعلوا عمر «أمير المؤمنين»، وشيخ العرب عبد القوي بريشة صدرا أعظم، والقاضي الشرعي الشيخ محمد خليفة مفتيًا، أما طاقم الشعراء فكان ثلاثة من أطباء المدينة هم: إبراهيم، سالم، الدمرداش (المحقق).

... ويختـــال ليلـــه ونهـــاره

ولقــد شــاقنا الــذي تنقــل الألــسن

... عـــنكم، فهــل لنـــا في زيـــاره؟

إن بخلــتم بهــا علينـــا فـــما نبخـــل

... يومـــا بـــأجرة الـــسياره[1]

قـــد وعـــدتم بـــالأمس أن تـــسعدونا

وتجيئـــوا طنطـــا عـــلى طيـــاره

ثـــم لم تحـــضروا ، وكـــان عجيبـــا

إنـــما الوعـــد دائـــن أحـــراره

فخففنـــا إليكمـــو نحمـــل الـــشوق

... ونطـــوي بـــين الجـــوانح نـــاره

فليقنـــا الـــذي ســـمعناه عـــنكم

قطـــرة البحـــر لم تـــبن أغـــواره

ورأينـــا لكـــم بـــساحة كفـــر الـــشيخ

... دنيـــا عتيـــدة جبـــاره

دولة ركنها الأمير[2] يقــضى بهــا شــد

... فيقـــضي مـــن العـــلا أوطـــاره

قـــاهري الآفـــاق يـــشرق في واد

مـــضيء مـــشاكل أقـــماره

خلدتـــه عـــلى الزمـــان قـــواف

---

(١) قصة ذلك أن هذه الصحبة كانت قد وعدت بالحضور إلى طنطا لتأخذ أنور أحمد –وهو يومئذ وكيل للنيابة بطنطا – وصاحبه إلى كفر الشيخ ، ولكنها لم تفعل.

(٢) أي أمير المؤمنين في الندوة .

صـــاغها شـــاعراه صـــوغ المهـــاره

يـــنظم الـــدر واليواقيـــت ابـــراهيم[1]

.. عقـــدا يـــضفي عليـــه اقتـــداره

ويغنـــي بـــما يـــشاء مـــن الفـــن

... فيحيـــى مـــن مـــسلم تـــذكاره

كـــم شـــفى أعينـــا مراضـــا فـــصحت

فرمتـــــه لحاظهـــــا الغـــــداره

ولقـــد يبـــدع القـــوافي حـــسانا

ســـالم الـــشعر ســـابقا مهيـــاره[2]

ربـــما هاجـــه المـــشيب بفوديـــه

... تبـــدي مبكـــرا في استـــشاره

فمـــضى ينـــشد القـــصيد نواحـــا

ورثـــــاء شـــــبابه وازدهـــــاره

وهـــو في ميعـــة الـــشباب وإن قالـــت

... مرايـــاه قـــد طـــوى أســـفاره

إن ســـفر الحيـــاة يكتبـــه القلـــب

... ويمـــلي عـــلى المنـــى أســـطاره

ضـــل مـــن يحـــسب الـــسنين قياســـا

للبرايـــــا مـــــسجلا أعـــــماره

ربـــما ظلـــت الحيـــاة شـــبابا

لم يـــــودع ربيعهـــــا أزهـــــاره

(١) الدكتور إبراهيم محمد، طبيب العيون.

(٢) الدكتور سالم محمد، والإشارة إلى مهيار الديلمي.

سلك الشعر في فمي يا أبا «مي»[1]

... سبيلا فاضت شؤوني حذاره

خفت أن أطلق العنان لقلبي

فيوافيك هاتكا أستاره

تلمح الوجد فيه واللوعة الكبرى

... وترنو مكاشفا أسراره

فبقلبي من الليالي رنين

أرهف الشجو والأسى قيثاره

فانصرافا بوجه شعري عما

تشتكيه لواعجي المستطاره

واحتشادا لود قلب الدمرداش

... وفيه على الوفاء أماره

حيث ننسى جراحنا، ويداوي

طبه الروح حاجبا أكداره

فأعنا على الزمان بنجواك

... وبالحب والكؤوس المداره

إن من فيك منهلا يدع الصهباء

... في الكأس ثلجة في خياره

فتحدث بها لديك من الشهد

... المصطفى والحكمة المختاره

واعف عني إذا الشجون ألمت

ببياني، فشعبت أفكاره

(١) أبو مي، هو الدكتور الدمرداش محمد، وهو أديب وراوية.

وأقـــم دوحـــة تظـــل نـــديا
كنـــت يـــا صـــاح ليثـــه وهـــزاره
فيـــه قـــوم كـــأنما قـــد أمـــاط الفـــن
... عـــن وجهـــه لـــديهم خمـــاره
قـــرأوه مباهجـــا تمـــلأ الـــسكون
... جمـــالا وفتنـــة ونـــضاره
يـــسألون «المفتـــي» إذا اخـــتلط الـــرأي
... فيجلـــو صـــوابه وابتـــساره
ويوافيـــه شـــاعر عبقـــري
بـــالقريض المتـــاح يخـــشى انكـــساره
فيريـــه الأوزان ناقـــد خـــبر
لا يـــسوي بـــدرهم دينـــاره

◆◆◆

وأرى بيـــنكم إذا ائتلـــف الـــشمل
... همامـــا ، لـــه مكـــان الـــصداره
بـــدوي مـــن العروبـــة ينـــسى
نـــاظراه أحـــسابه ونجـــاره
ابـــن عـــم لنـــا وإن بعـــد الحـــي
... فـــإن النـــدى يـــدني مـــزاره

◆◆◆

بوركـــت داره حـــداني إليهـــا
«أنـــور» الخـــير غـــير نـــاسي الـــداره
انـــه آيـــة الوفـــاء ومعنـــى
صـــور الله فيـــه مجـــد الإمـــاره

قصة الأمس

أنــــا لــــن أعــــود إليــــكَ مهــــما
اسْــــتَرحمتْ دقّــــاتُ قلبــــي
أنــــتَ الــــذي بــــدأ الملالــــةَ
والــــصُّدودَ وخــــان حُبِّــــي
فــــإذا دعــــوتَ اليــــوم قلبــــي
للتــــصافي ، لــــن يُلبِّــــي

◆◆◆

كنــــتَ لي أيــــامَ كــــان الحــــبُّ لي
أمــــلَ الــــدنيا ودنيــــا أمــــلي
حــــين غنَّيْتُــــك لحــــن الغــــزلِ
بــــين أفــــراحِ الغــــرام الأوّلِ

◆◆◆

وكنــــتَ عينــــي وعــــلى نورهــــا
لاحَــــتْ أزاهــــيرُ الــــصبّا والفُتــــونْ
وكنــــتَ روحــــي هــــامَ في سرِّهــــا
قلبــــي ، ولم تــــدركْ مــــداهُ الظنــــونْ

◆◆◆

وعـــدتني ألا يكـــون الهـــوى مـــا بيننـــا
إلا الرضـــــا والــــــصفاءْ
وقلـــــتَ لي إن عــــذابَ النَّـــوى
بـــشرى توافينـــا بُقــــربِ اللقـــاء

◆◆◆

ثـــــم أخلفـــــتَ وعـــــودا
طـــاب فيهـــا خـــاطري
هــــل توسَّـــمتَ جديـــــدا
في غــــــرامٍ نــــــاضرِ

◆◆◆

فغرامــــــــــــــي راحَ
يـــا طـــول ضراعـــاتي إليـــه
وانـــــشغالي في ليــــالي
الـــسُّهْدِ والوجــــدِ عَلَيْـــه

◆◆◆

كـان عنْـدي ولـيس بَعْـدكَ عنـدي

نعمـةٌ مـن تـصوُّراتي ووَجْـدي

يـا تـرى مـا تقـول روحُـك بَعْـدي

في ابتعـادي وكبريـائي وزُهْـدي

◆◆◆

عِـشْ كـما تهـوى قريبـا أو بعيـدا

حـسب أيـامي جراحـاً ونواحـاً ووعـودا

وليـاليَّ ضـياعا ، وجحـودا

ولقـاء ووداعـا يـترك القلـبَ وحيـدا

◆◆◆

يسهُر المصباحُ والأقداحُ والذّكرى مَعي

وعيوُن الليـل يخبـو نوُرهـا في أدْمُعـي

يالـذكراكَ التـي عاشـتْ بِهـا

روحـي عـلى الـوهمِ سـنينا

ذَهبـتْ مـن خـاطري إلا

صـدًى يَعْتـادُني حينـاً فحينـا

◆◆◆

قِصَّةُ الأمسِ أناجيها وأحلامُ غدى

وعيونُ الليل يخبو نورُها في أدمُعي

وأمانيٌّ حسانٌ رقصَتْ في مَعْبِدي

وجراحٌ مشعلاتٌ نارها في مرقدي

وسحاباتُ خيالٍ هائمٍ كالأبدِ

◆◆◆

أنا لن أعودَ إليك مهما استرحمتْ

دقّاتُ قلبي

أنت الذي بدأ الملالةَ والصُّدودَ

وخان حُبِّي

فإذا دعوتَ اليَوْمَ قلبي

للتَّصافي لنْ يُلبِّي



مصادر قصائد أحمد فتحي المجهولة

يمكن تصنيف القصائد المجهولة للشاعر أحمد فتحي إلى مرحلتين رئيسيتين هما :

١ ـ مرحلة مطلع الشباب أو البدايات الشعرية التي تشمل قصائده الأولى في مجلة « أبوللو » ١٩٣٣-١٩٣٤ » وكان عمره حينئذ لا يتجاوز العشرين عاما ، وكان يومئذ يعمل بالتدريس في المدارس الصناعية بعد تخرجه في مدرسة الفنون والصنائع التابعة لجمعية العروة الوثقى بالإسكندرية ـ وبعد توقف مجلة «أبوللو» (١٩٣٤) أخذ ينشر قصائده هنا وهناك ، ولكن كان إنتاجه الأكثر غزارة في مجلة « الموظف » التي كانت تصدرها رابطة موظفي الحكومة ، وشهدت صفحات المجلة عدة قصائد للشاعر ما بين سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٣٩ وكانت أغلب قصائده في تلك المجلة مدائح للملك الشاب فاروق الذي تولى الحكم سنة ١٩٣٦ خلفا لوالده الملك فؤاد ، وكانت هناك آمال كبار بالملك الشاب في أن تكون فترة حكمه مليئة بالإنجازات والديمقراطية والانفتاح ، وشارك الشاعر في هذه المدائح عدة شعراء آخرين منهم : محمود حسن إسماعيل ، وصالح جودت ، ومحمود غنيم ، ومحمد الأسمر والعقاد ، وغيرهم .

أما المرحلة الثانية والأخيرة من قصائد أحمد فتحي المجهولة فهي تلك التي نظمها في سنواته الأخيرة خاصة ما بين عامي ١٩٥٩و ١٩٦٠ بعد عودته من عمله بالمملكة السعودية ونشرها في صحيفة الأهرام .

المراجع والمصادر

- ديوان قال الشاعر : أحمد فتحي (دار النيل - القاهرة ١٩٤٩).

- شاعر الكرنك : أحمد فتحي تأليف صالح جودت - كتاب الهلال - ١٩٧٣.

- شاعر قصة الأمس : تأليف محمد رضوان ، دار الكتاب العربي (القاهرة - دمشق) ٢٠٠٨.

- خليل شيبوب رائد التجديد الشعري: تأليف د. عبد الله سرور - الإسكندرية - ١٩٨٧.

المصادر: لقاءات شخصية تمت مع

- مع الشاعر صالح جودت (١٩٧٢).

- مع الشيخ محمد إبراهيم سليمان الأخ غير الشقيق لأحمد فتحي (١٩٧٢).

- مع الأستاذ أنور أحمد صديق الشاعر الحميم، الذي أطلعني على رسائل أحمد فتحي الخاصة إليه (١٩٧٢).

الدوريات:

- مجلة أبوللو - الموظف - الصباح - الأهرام - الشعب - مجلة الراديو المصري



محمد رضوان

▪ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية محافظة الدقهلية بمصر في ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م .

▪حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م .

▪ كاتب صحفي بدار الهلال ـ عضو نقابة الصحفيين ـ عضو اتحاد كتاب مصر .

▪ من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت ـ أنيس منصور ـ أحمد عبد المجيد ـ إبراهيم عيسى ـ عبد العليم القباني ـ المفكر التركي د . مقداد يالجن ـ كمال النجمي ـ كمال نشأت ـ فاروق شوشة ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ د. حسن فتح الباب ـ د. ماهر شفيق فريد) .

▪ له خبرة في الصحافة الأدبية والسياسية ، حيث عمل في سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦) ، ومديرا لتحرير مجلة « النهضة » السياسية (١٩٨٢) ، ويعمل حالياً مديراً للتحرير بدار الهلال بالقاهرة (جوال ٠١٠٠٦٧٥٩٢٢٤) .

▪ابتدع لنفسه منهجًا أدبيًا في كتابة السير سماه « المنهج الوجداني » يجمع بين الموضوعية والعاطفية ، بين التحليل الأدبي النفسي وذاتية الكاتب وذوقه الأدبي ، ولعل بداياته القصصية هي التي ساعدته في تأصيل هذا المنهج واكتسابه قاعدة طيبة من القراء ، فوصفه السفير الشاعر أحمد عبد المجيد بقوله : « حين يتولى محمد رضوان كتابة سيرة لشاعر من الشعراء نراه يدلف إلى روحه ويتسرب إلى

حياته وما اضطرب فيها من حال إلى حال ، ويتشح برداء عصره الذي عاشه ، ويتنسم ما كان يستنشقه ، فتجيء ترجمته كظل الغصن أو كرجع الصدى » .

▪ له أكثر من عشرين كتابا في أدب السير منها : صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك ـ مأساة شاعر البؤس : عبد الحميد الديب ـ اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحي ـ شاعر الأطلال ناجي ـ شاعر الجندول علي محمود طه ـ شاعر النيل والنخيل : صالح جودت ـ رحلتي مع القلم ـ شاعر الحب والحرية كامل الشناوي – اعترافات السندباد التائه (تحت الإعداد).

▪ **قام بجمع وتحقيق ودراسة :**

- ديوان شاعر البؤس عبد الحميد الديب (المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٠).
- ديوان شاعر الجندول علي محمود طه (هيئة قصور الثقافة – ٢٠١٠).

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

| الموضوع | الصفحة |